

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمة

إن الحمد لله نستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب إليه، ونعود بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين من ربه، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، وعلى كل من اهتدى يهديه واتبع سنته واقتفى أثره إلى يوم الدين.

اللهم ارض عنهم وعننا معهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد:

فهذا الكتاب محاولة لتركيز العقيدة الإسلامية جمعتها بغية تقديمها للناس في صفحات بعيدة عن التطويل والتعقيد.

فإن الحاجة ملحة إلى كتاب يحوي جوانب العقيدة الأساسية بأسلوب يسير بعيد عن العبارات الكلامية الصعبة والتقريرات الفلسفية المعقدة التي لا يزيد الناس إلا بعدها عن فهم دينهم وتتعارض والطريقة القرآنية الواضحة، وتتعارض مع بساطة هذا الدين ويسره.

فنرجوا الله أن يجعل هذا العمل صالحاً مقبولاً نافعاً للمسلمين وأن يخلص نوابانا إنه هو السميع العليم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وأصحابه ومن اتبع هداهم إلى يوم الدين.

## العودة إلى العقيدة الصافية

إن دعوة الإسلام الأولى قد تلقاها الأوائل بصفاتها ونقايتها وارتقاها بها إلى المقامات السامية والمجد والرفة، ثم لم تزل الزيادات والأفكار الدخيلة تأخذ حيزاً في ثقافة المسلمين وعقيدتهم حتى أفرطوا في دينهم وطغت هذه الإضافات والعلوم الدخيلة على عقائد الإسلام ومناهجه، مما أورث انحطاطاً فكريياً بين المسلمين كان له الدور البارز في نخلفهم.

إن هذه الأمة لن تنهض من كبوتها وغفلتها إلا بعد أن تعود إلى المصادر الأولى فتلتقي عقيدتها على نور الكتاب وما صح من السنة النبوية، من غير أن تحتاج إلى آراء أهل المنطق والكلام لتفهم عقيدتها من خلاهما، وقد كان لدخول المنطق والفلسفة أسوأ

الأثر في هدم الدين وتحريف تعاليم الأنبياء، ومن هنا وقف الصحابة بعد موت النبي ﷺ من العلوم الدخيلة موقف الحذر أن يدخل شيء منها في الدين، ويفتن بذلك المسلمين.

ذكر ابن خلدون أنه لم فتح المسلمون أرض فارس ودخلوها وجدوا فيها كتبًا كثيرة، فكتب سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب ليسأله في شأنها وتنقيتها للMuslimين، فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء، فإن يكن فيها هدى فقد هدانا الله بأهدي منها، وإن تكن ضلالاً فقد كفانا الله. فطرحوها في الماء – أو في النار – وذهبت علوم الفرس منها عن أن تصل المسلمين.<sup>(1)</sup>

فهكذا كانت غيرتهم على دين الله، وهكذا يجب على كل مسلم أن يعمل على حماية دين الله من مناهج الدخيلة التي استحسنها بعض المفتونين أو دسها بعض المغرضين، ولا مساومة على دين الله.

– إنه لا بد للأمة من تطهير تصوراتها الكلية، ومبادئها التوحيدية من أدران الانحراف وعوج المفاهيم التي اختلطت بها، ولقد صدق الإمام مالك حيث قال: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»

---

<sup>(1)</sup> مقدمة ابن خلدون 480 دار القلم.

## الدين الصحيح والأديان الباطلة

الأديان كثيرة جداً، ينتمي إلى كل دين منها كم من الناس، بعضهم يصل إلى مئات الملايين على أن الكثرة ليست دليلاً على الصحة، فإن البوذية دين وثنية يستحوذ على مئات الملايين من البشر، وتليها من حيث العدد الديانة الهندوسية وهي وثنية أيضاً.

وبين هذه الأديان قواسم مشتركة: ونقاط افتراق واختلاف، فهي تتفق على الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق المدير لهذا الكون، وتختلف على تفاصيل هذا الإيمان وكيفيته، فمن موحد لا يعبد إلا الله ولا يرضي إتخاذ شركاء وأنداداً مع الله من أصنام وأبطال وقدسيين، ومن شريك لا يؤمن بالله إلا وتره يخلط مع إيمانه شركاً ووثنية كما قال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (يوسف 106)

وليس من شك أن من بين هذه الأديان ديناً واحداً فقط ارتضاه الله لعباده لا يقبل ديناً سواه، ولا تقبل الأعمال الحسنة والعبادات إلا من خالله، يهدي الله إليه من يشاء من عباده من علم فيهم خيراً، ويضل عنه من شاء لكرهم كما قال: (أصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق) وإعراضهم: إخالدهم إلى الدنيا وإعراضهم عن الآخرة.

والدنيا دين آخر ينضوي تحته كثيرون ينتمون انتماء تقليدياً إلى المسيحية والإسلام واليهودية في حين نجد اهتمامهم الكلي منصباً نحو الدنيا التي أشغلتهم عن الآخرة وعن الاستعداد لها وعن البحث عن الدين الحق، قال تعالى (كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيمة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور)

إننا نرى اسم كل دين مشتق من اسم مخلوق إلا الإسلام.

فالمسيحية مشتقة من اسم سيدنا المسيح عليه أفضل الصلاة والتسليم، ولكن: هل كان المسيح مسيحياً؟ بالطبع لا، لقد كان متبعاً للناموس (أي توراة موسى) واليهودية مشتقة من اسم يهودا، ولكن ماذا كان دين يهوداً؟ هل كان يهوداً يهودياً؟ إننا نرى ولادة دين جديد مع ولادة المسيح ويهودا، ولو لاهم لما نشا اسم لهاتين الديانتين!

والبوذية تشتق لها اسمها من بوذا ولكن هل كان بوذا بوذياً؟ وماذا كان اسم الدين في عهده؟

ونسأل أيضاً: لماذا كان دين أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام: هل كان يهودياً أم نصراانياً وقد جاء يهودا والمسيح من نسله فيما بعد! ولم تنزل التوراة والإنجيل إلا من بعده!

ولو قلنا إن أحد هاتين الديانتين هو دين الله فما حكم الذين ماتوا قبل المسيح ولم يعرفوا دين المسيحية؟ وما حكم الذين ماتوا قبل يهودا ولم يعرفوا اليهودية؟

وللإجابة على هذه الأسئلة التي تبدو محيرة نقول: ما من شك في أن الأنبياء كلهم كانوا خاضعين مستسلمين لأمر الله، وهذا ما يسمى بالعربية(إسلاماً) أي استسلاماً وخصوصاً، وبهذا تكون قد عرفنا ما هو الدين الذي تآخى فيه الأنبياء، إنه دين الإسلام.

فإلا إسلام لا يشتق اسمه من مخلوق، وليس هو اسمًا أصلًا، إنما هو اسم دال على صفة يتحلى بها من عمل بمقتضاه، فمن خضع لأمر الله واستسلم لأحكامه وأعلن طاعته المطلقة له وولاءه الكامل له فهو المسلم.

والله لا يجعل اسم دينه مشتقاً من أسماء البشر، أو موقفاً على ولادتهم، لأن دين البشر جميعاً من لدن آدم إلى آخر مؤمن على هذه الأرض.

لقد أمر الله جميع عباده أن يسلموه فقال (وأنبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنتصرون) (الزمر 54) وقال (ومن أحسن دينًا من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً) (النساء 125) وقال (أفغير دين الله يبغون ولهم أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً وإليه ترجعون) (آل عمران 83)

لقد كان الأنبياء جميعهم أول المستسلمين الخاضعين لأمر الله، ولهذا جاء وصفهم في القرآن بأنهم مسلمون (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور، يحكم بها النبيون الذين أسلموا) (المائدة 44) (ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراوياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين).

لذا فإن الصفة التي تجمع بين الأنبياء هي الإسلام، لأنهم كانوا أكثر الناس خضوعاً لأمر الله واستسلاماً له في كل شيء، لقد كانوا إخوة في الدين الواحد، أسلموا أنفسهم الخضوع والإسلام له، ولهذا قال رسول الله «الأنبياء إخوة لعلات، أمها لهم شتى، ودينه واحد»<sup>(1)</sup>.

وبناء على هذه الحقيقة فما أبعده عن دين الأنبياء من تسمى اسمًا بالإسلام بينما لا يستسلم الله ولا يصلي له، أفيكون مسلماً مستسلماً الله من لا يقيم الصلاة ولا يؤتي الزكاة ولا يصوم رمضان ولا يحج البيت وهو مع ذلك لا يرتدع عن ارتكاب المحرمات كالذنب وشرب الخمر، وإذا كان عدم سجود إبليس لآدم أدى به إلى أن يكون شر المخلوقات، فما بالك بمن هو مأمور بالسجود لله(لا لآدم) ثم هو يستكبر ويرفض؟!

<sup>(1)</sup> متفق عليه .

## سبب تعدد الأديان

وإذا كان الأنبياء إخوة في دين واحد هو، فما سبب تعدد الأديان ومن المسؤول عن ذلك؟

إننا نؤمن بأن الأنبياء قد بلغوا رسالات ربهم على أحسن وجه، غير أن الناس اختلفوا من بعدهم وغيروا وبدلوا تعاليمهم وفرقوا دين الله إلى أديان عديدة، واشتقوا من أسماء أنبيائهم أسماء لدياناتهم الباطلة، يدعى كل منهم أنها تمثل ما كان عليه الأنبياء.

قال تعالى( كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءهم العلم بغيّاً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم)(البقرة 213)

ولقد حذرنا من أن نحن حذوهن ف قال( ولا تكونوا من المشركين، من الذين فرقوا بينهم وكانوا شيئاً، كل حزب بما لديهم فرلون)(الروم 32)

- فالأنبياء ليسوا مسؤولين عن فوضى تعدد الأديان، ولم يأمر عيسىٌ الناس أن يسموا أنفسهم مسيحيين، بل قال له أتباعه(أمنا بالله وأشهد بأننا مسلمون)(آل عمران 52) ولم يأمر يهودا الناس أن يسموا أنفسهم يهودا وإنما قال موسى( يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)(يونس 84)

ولما تنازع النصارى واليهود على إبراهيم: هل كان يهودياً أو نصراوياً؟ جاء رد الله عليهم قائلاً( ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصراوياً ولكن كان حنيفاً مسلماً<sup>(1)</sup>) وما كان من المشركين(آل عمران 67)  
**رب واحد ودين واحد**

ولهذا دعا القرآن إلى دين واحد هو الإسلام الذي هو دين الأنبياء فقال( إن الدين عند الله الإسلام)(آل عمران 19) وأنه الدين الذي ارتضاه لعباده(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديننا)(المائدة 3) لا يرضى دينًا غيره، به تتحقق الصلة بين العبد وربه ويقبل عبادته وصلاته وبره وصدقاته، فمن عبد الله من خلال دين آخر فعبادته مردودة عليه لا تزيده من الله إلا بعداً، قال تعالى(ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)(آل عمران 85)

---

<sup>(1)</sup> الحنيف هو المستقيم من غير عوج والحنفية هي الميل عن الشر إلى طريق الخير وكانت هذه الكلمة تطلق على فريق من العرب كانوا يستكرون عبادة الأصنام.

## السعادة وسبيل تحقيقها

أن كل إنسان متطلع بطبيعة إلى ما يحقق له السعادة، هذه السعادة التي يسعى كل الناس في شتى أعمالهم للحصول عليها.

- فمنهم من يسعى لمتعة دنيوية مؤقتة يحسبها سعادة حقيقة تعقبها في الآخرة شقاوة وحزن، ومنهم من علم أن طاعة الله واتباع دينه في والارتباط الإيماني به هو منتهى السعادة التي لا توازيها كنوز الدنيا ومتاعها.

\* وإذا غمرت هذه السعادة قلب العبد المؤمن عاش في الدنيا كأنه في الجنة، فهو لاء هم السعادة حقاً.

وأي سعادة أعظم وأجمل من التذلل لله وعبادته والسعى في كسب رضاه والفوز يوم القيمة بجنته والنجاة من عذابه؟! ليس السعادة في مال زائل ولا دنيا فانية إن المؤمن يعيش حلاوة إيمان في قلبه لو يشعر بها ملوك الأرض لقاتلوه عليها بالسيوف .

## الإنسان بين غذاء الجسد وغذاء الروح

الإنسان محتاج دائماً إلى الغذاء اليومي لنماء جسده وسلامة بدنـه، ولو توقف عن هذا الغذاء وقتاً من الزمن لانتابه المرض شيئاً فشيئاً، وربما أدى به ذلك إلى الـهلاك، غير أنه محتاج في نفس الوقت إلى غذاء من نوع آخر، ألا وهو الغذاء الروحي الذي يغذي القلب.

\* ومن المؤسف أن الناس يحرصون على الغذاء الأول الذي فيه سلامـة أجـانـهم، من غير أن يكونوا حريصـين على الغذـاء الثـاني الذي به حـيـاة قلـوبـهم وسلامـتها.

إن حاجة القلوب إلى الغذاء الإيماني كـحاجـة الـبدـن لـالـغـذاـء المـاديـ، فأـمـراضـ الـذـبـحةـ الـقـلـبيـةـ وـتـصـلـبـ الـشـرـاـبـينـ وـغـيرـهـ لـيـسـ بـأـقـلـ فـتـكـاـ بـالـقـلـبـ مـنـ الـأـمـراضـ الـرـوـحـيـةـ كـالـرـيـاءـ وـالـشـرـكـ وـالـكـبـرـ وـالـنـفـاقـ وـقـسـوـةـ الـقـلـبـ التـيـ تـقـعـ نـتـيـجـةـ هـذـهـ الـآـفـاتـ.

ولـوـ أـصـيـبـ هـذـاـ الغـافـلـ بـمـرـضـ مـادـيـ فـيـ بـدـنـهـ لـهـرـعـ إـلـىـ الـمـسـتـشـفـىـ خـوـفـاـ عـلـىـ نـفـسـهـ مـنـ الـهـلاـكـ، بـيـنـمـاـ لـاـ يـهـرـعـ لـمـدـاـوـاـةـ قـلـبـهـ وـصـيـانـتـهـ مـنـ أـمـراضـ خـطـيرـةـ كـالـشـكـ وـالـشـرـكـ وـالـنـفـاقـ وـالـحـسـدـ وـالـقـسـوـةـ وـالـكـبـرـ وـالـتـعـلـقـ بـالـدـنـيـاـ، وـكـأـنـ الـخـطـرـ عـلـىـ الـقـلـوبـ مـقـتـصـرـ عـنـهـ عـلـىـ الـجـانـبـ الـمـادـيـ فـقـطـ.

\* إنـ الشـرـكـ بـالـهـلـكـ أـعـظـمـ الـأـمـراضـ فـتـكـاـ بـالـقـلـبـ، وـأـعـظـمـ سـبـبـ فـيـ خـسـارـةـ الـدـينـ وـالـدـنـيـاـ، وـدـوـاـوـهـ تـوـحـيدـ الـهـلـلـ وـالـإـخـلـاصـ لـهـ وـالـاـرـتـبـاطـ بـهـ ظـاهـراـ وـبـاطـناـ.

\* فلا عجب بعد ذلك أن يصير التوحيد دعوة الإسلام الأولى وشعاره (لا إله إلا الله) كلمة الحق التي هي:

- مفتاح الدخول إلى الإسلام في الدنيا ومفتاح الدخول إلى الجنة في الآخرة.

- وهي أفضل ما تحركت به الألسن وأفضل ما قاله الأنبياء، قال رسول الله «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلـيـ: لا إله إلا الله»<sup>(1)</sup>

- وهي أفضل كلمة يختـمـ بها العـبـدـ كـلـامـهـ عـنـ الموـتـ، قال ﷺ: «من كان آخر كلامـهـ لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(1)</sup>

\* هذا ولا يقتصر الإسلام في مسألة التوحيد على مجرد الإقرار لله بوحدانيته في خلق السماوات والأرض وما بينهما، وإنما يأمر بتـوـحـيدـ اللهـ فـيـ الـعـبـادـةـ<sup>(2)</sup> فلا يتقرب في العبادة إلا إليه ولا يقدم الصلاة والصيام إلا إليه.

- بل إن عدم التوكـلـ عـلـىـ اللهـ وـعـدـمـ التـحـاـكـمـ إـلـىـ شـرـعـهـ وـالـخـشـيـةـ مـاـ سـوـىـ اللهـ، وـمـحـبـةـ مـاـ سـوـىـ اللهـ أـكـثـرـ مـنـ اللهـ أوـ مـثـلـ حـبـ اللهـ وـالـتـطـيـرـ بـالـأـرـقـامـ وـالـطـيـورـ وـغـيرـهـ عـلـامـةـ.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى (3579) بإسناد حسن لغيره .

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود (3116) والحاكم 1/351 وصححه ووافقه الذهبي.

<sup>(2)</sup> العبادة هي: كمال الحب لله مع كمال الذل والخضوع.

على وجود الشرك وعلى عدم صفاء التوحيد في قلب العبد، هذا مع كونه يشهد أن لا إله إلا الله، إذ لا تخلو هذه الآيات من مناقضة لمفهوم(لا إله إلا الله) وشروطها ومقتضاها.

- بل قد حذر الإسلام من الشرك الخفي الذي قد يخفي على صاحبه وحذره من الوقع في الرياء سواء أكان داخل الصلاة أو خارجها.

أما في الصلاة فمثل أن يحسن المرء الصلاة ويظهر الخشوع حين يشعر بمراقبة صديق أو أخي له، ولذلك أوصى الإسلام المتصدق أن يخفي صدقته حتى لا تعلم شملاته ما تتفق يمينه، وأن يسرّها عن أعين الناس لأن الله «لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه».

كل ذلك لينزع عنه كل أشكال الشرك المتعارضة مع التوحيد ليكون عمله خالصاً لله وحده.

## يا أيها الناس اعبدوا ربكم

هل فكرت يوماً في سر وجودنا؟ من أين جئنا؟ ولماذا خلقنا الله؟ ماذا يريد منا؟ ولماذا أوجدنا على هذه الأرض؟

هل فكرت يوماً لماذا نموت؟ وأين يذهب بنا وما سيكون حالنا بعد موتنا؟

هل تفكرت في نفسك: لماذا جعل الله الدنيا وما فيها في يد الإنسان، سخر له الجبال والليل والنهار والشمس القمر؟ كما قال(الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم، وسخر لكم الفلك لجري في البحر بأمره، وسخر لكم الأنهار وسخر الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وأتاكم من كل ما سألتموه)(ابراهيم 33)

- ما الذي كان مطلوباً منه في حياته؟ وما الذي أخذه معه يوم أن خرج من الدنيا راغماً؟ أليس من حكمة وراء ذلك كله؟ أم أنه لا حكمة وإنما نعيش في هذه الدنيا كالأنعام نأكل ونشرب ونتمتع ثم نموت كمن قال:

جئت لا أعلم من أين ولكنني أتيت  
ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت  
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت  
كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟  
لست أدرى... لست أدرى لست أدرى

هل خلقنا الله لمجرد الطعام والنكاح أم أن هناك هدفاً أسمى من ذلك يغفل عنه كثيرون؟ إن أكثر الناس لم يجسروا أنفسهم عناء البحث عن جواب لهذه الأسئلة فإن هم من صبة نحو الحياة الدنيا فقط من غير أن يتذكروا في يوم تنتهي فيه حياة الناس.

والله تعالى لم يترك البشر يتذمرون في بحر من ال羥رة من غير أن يبيّن لهم سر وجودهم على هذه الأرض إذ قال(أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) المؤمنون 110 ولم يتركهم هملاً(أيحسب الإنسان أن يترك سدى) القيامة 36 وإنما أنزل الكتب وأرسل الرسل وأقام الميزان بالقسط بين الناس اختباراً لهم ليعبدوه وفق شرعيه وحكمه(أحسب الناس أن يترکوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا ولیعلمن الكاذبين) العنكبوت 1

\* فهذه الدار دار اختبار وامتحان، دار عمل ننتقل منها إلى دار جراء لا عمل فيها، إنها دار ثواب أو عقاب، دار حصاد لما زرعناه في الدنيا، عندها يحصد الناس ما كانوا قد زرعوا من العمل حين كانوا في دنيا العمل(يومئذ يصدر الناس أشتاناً ليروا أعمالهم، فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) الزلزلة 6

ولذا قيل: الدنيا مزرعة الآخرة، ثم يكون الناس يومئذ فريقان: إما سعيد في الجنة وإما شقي في النار.

\* فالغاية الأسمى من خلق الله لنا هي عبادته وحده(وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) الذاريات 57

\* ولكن أ يريد منا أن نلازم المساجد وأن لا نفارقها أبداً؟ أم يريد منا أن نعبده بطاعته وامتثال أمره، فالصلوة والصوم عبادة، وترك المحرمات عبادة، وإعانة الناس والإحسان إليهم عبادة والإإنفاق على الزوجة والولد عبادة، والعمل الحلال عبادة، والسعى في الإصلاح بين الناس عبادة.

وهكذا كل شأن من شئون الحياة عبادة وليس الصلاة والصيام فحسب، إن مفهوم العبادة في الإسلام أوسع من ذلك المفهوم الضيق الذي يفهمه أهل الديانات الأخرى. قال رسول الله «وفي بعض أحدهم صدقة، قالوا: يا رسول الله: أبأتي أحدهنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: أرأيتم إن وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا بلى، قال: فكذلك إذا وضعها في حلال كان لها أجر.

## قاعدتان ثمينتان

يعطينا القرآن قاعدتين هما شرطان مهمان في قبول العبادة، قال تعالى (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (الكهف 110) هذه الآية تبين لنا شريطتين لقبول العبادة:

أولهما: إخلاص النية لله تعالى (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) (الكهف 110) وقال نبينا

p «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه»<sup>(1)</sup> ولا يقتصر الأمر على رد عمله إذا كان مشركاً فحسب، بل يجعله الله هباءً منثوراً (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً) (الفرقان 23) ثم يعاقبه على عدم خلوص النية وإن كان ظاهر العمل الصلاح لأن الله لا يطلع على ظاهر العمل فحسب، إنما يطلع على باطنها فيعلم صلاح القلب أو فساده.

\* لقد تلا الفضيل بن عياض قوله تعالى (الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أياكم أحسن عملاً) (المالك 2) ثم قال «أحسن العمل أخلصه وأصوبه.

فقيل له: ما معنى ما تقول يا أبا علي؟

قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً صواباً.

1- والخاص أن يكون ابتنغي به وجه الله تعالى.

2- والصواب أن يكون موافقاً لكتاب والسنة.

وجاء في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن النبي p في حق من حسن عمله وساعته نيته «أن أول الناس يدخل النار يوم القيمة ثلاثة نفر:

1- عالم جمع القرآن، أي حفظه.

2- مجاهد قتل في سبيل الله.

3- وغني كثير المال.

فأول من يدعى للحساب قارئ القرآن فيقول الله له:

ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي؟

قال: بلـي يا رب.

قال: فماذا عملت فيما علمت؟

قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار رجاء ثوابك.

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان قارئ

وقد قيل ذلك، اذهبوا به إلى النار.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله: ألم أوسع عليك حتى لا أدعك تحتاج إلى أحد؟ قال

: بلـي يا رب.

قال: فماذا عملت فيما آتيتـك؟

فيقول: رب قد رزقـتـي مـالـا فـوـصلـتـ بـهـ الرـحـمـ، وـتـصـدـقـتـ بـهـ عـلـىـ المـساـكـينـ رـجـاءـ

ثـوابـكـ وـجـنـتـكـ.

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت، ويقول الله: إنما أردت أن يقال فلان

جواد وقد قيل أـيـ قـيلـ فـيـكـ مـاـ كـنـتـ تـرـجـوـ أـنـ يـقـولـهـ عـنـكـ اـذـهـبـواـ بـهـ إـلـىـ النـارـ.

<sup>(1)</sup> رواه النسائي في الجهد (59) بإسناد حسن.

ثم يؤتى بالذى قتل فى سبيل الله فيقول الله: لماذا قتلت؟  
 فيقول: رب خرجت فى سبيلك فقاتلتك حتى قتلت رجاء ثوابك وجنتك.  
 فيقول الله كذبت، وتقول الملائكة كذبت، ويقول الله، إنما كنت تقاتل ليقال إنك  
 جريء وشجاع، وقد قيل، خذوا به إلى النار.

قال رسول الله ﷺ «يا أبا هريرة أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيمة»<sup>(1)</sup>.

فهاتان القاعدتان دعامة التوحيد الخالص كما جاء به الإسلام: عبادة الله وحده على نور من كتابه وسنة نبيه ﷺ ومن عمل بهما بريء في عبادته ممن الشرك والابتداع في الدين، فالشرك في عبادة الله والابتداع في دينه هما السببان اللذان ضللت الأمم بهما.

---

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى والحاكم 3/111 وقال هذا حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبى.

## الحاجة إلى علم التوحيد

التوحيد حق الله على عباده الذين خلقهم من العدم وسخر لهم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وقد تكفل لمن قام بهذا الحق أن يدخله الجنة كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ»يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟ قال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعبد من لا يشرك به شيئاً»<sup>(1)</sup>.

\* فالتوحيد أشرف العلوم لتعلقه بالله وأسمائه وصفاته وهو ما كان يدعو إليه الرسل(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)(الأنبياء25) وتعلمها واجب على كل مسلم ومسلمة، لأن صلاح دين المرء مرتبt بصلاح عقيدته.

وقد حرم الله الجنة على المشرك، وحرم الخلود في النار على كل موحد، لذا كانت حاجة البشر إلى التوحيد تفوق حاجتهم إلى الطعام والشراب، فإن يك في فقدان الطعام والشراب فقدان مقومات الحياة.

فإن في فقدان التوحيد فقدان مقومات السعادة في الدنيا والآخرة، وفقدان حلاوة الإيمان وطمأنينة النفس بصلتها بالله الواحد، وإن العبد لا يسكن قلبه إلا بصلته بربه وبالنقرب إليه بما يرضيه والابتعاد عما يسخطه.

\* فما من خير إلا التوحيد أصله، ولا شر في الدنيا والآخرة إلا الشرك سببه، وما من شدة من شدائد الدنيا إلا وبالتوحيد زوالها، فبكلمة التوحيد نجا يونس حين نادى وهو في بطن الحوت(لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) وقد جعلها الله تعالى نجاة كل مكروب.

---

<sup>(1)</sup> رواه البخاري(7373).

## مزايا عقيدة التوحيد

إن عقيدة التوحيد مميزات عديدة منها:

\* أنها تقوم أولاً على الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، خلق السماوات والأرض وما بينهما، وتقوم على الإيمان به إلهًا واحدًا لا شريك له في ألوهيته.

\* أنها عقيدة سهلة خالية من التعقيبات والفلسفات لا تخللها غوامض ولا أسرار.

\* أنها تحرر الإنسان من الشرك وتخوجه من عبودية العباد إلى عبادة الإله الواحد، قال تعالى(إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه) فالحاكم والمحكوم محكومان تحت حكم الله وحده، وقد قال الخليفة والحاكم الأول بعد رسول الله ﷺ حين تقلد زمام الخلافة«أطيعوني ما أطعنت الله فيكم، فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم».

\* أنها عقيدة ملائمة للفطرة لا تصادم بينهما، فالفطرة ودين الله يشدا إلى التوحيد، فلا ثالوث ولا شريك ولا وثن ولا وسائط ولا بدع.

\* أنها ثابتة واضحة المعالم لا تتطور بمرور الأزمان وتعاقب الأجيال.

\* أنها مبرهنة تقيم البراهين والحجج على صحة كل مبدأ منها، ولذلك أن تتأمل هذه الآيات:

\* (يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له)، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له، وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه، ضعف الطالب والمطلوب(الحج 73)

\* (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)، فسبحان الله رب العرش عمما يصفون(الأنبياء 22)

\* (مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت)، اتخذت بيناً، وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون(العنكبوت 41)

\* (قل أفرءيت ما تدعون من دون الله إن أرادي الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟ قل حسيبي الله عليه يتوكل المتكلون)(الزمر 38)

\* (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنت صادقين)(الأعراف 194)

\* (أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعي بخلقهن قادر على أن يحيي الموتى ، بل إنه على كل شيء قادر)(الأحقاف 33)

\* أنها تدعو إلى نبذ التقليد الأعمى للأباء والأجداد وإلى التأمل والتدبر وطلب الحق بتجرد وإنصاف(وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإننا على آثارهم مقتدون)(الزخرف 22)

\* (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفينا عليه آباءنا أول كان آباءهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون)(البقرة 170)

\* أنها تدعوا دائمًا إلى الوسط فلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا إجحاف، وقد كان للغلو في الدين أسوأ الأثر، فالإسلام وسط بين من سموا المسيح وأذوه حتى رفضوه، وبيم من أفرطوا في محبته حتى عبده، وليس المسيح كذاباً كما قالت اليهود ولا ربًا كما ادعت النصارى وإنما هو عبد الله ورسوله.

وهناك ترابط لا يتجزأ في العقيدة الإسلامية بمعنى أن سلاسل الاعتقاد مرتب بعضها ببعض غاية الارتباط بحيث أن إنكار شيء منها يعتبر إنكاراً لكل شيء، فلا ينفع إيمان من آمن بـمحمد ﷺ وكفر بال المسيح ﷺ ولا ينفع إيمان من آمن بالله وكفر باليوم الآخر، ولا ينفع إيمان من آمن بالقرآن وكفر بالتوراة والإنجيل، ولا ينفع إيمان من آمن بـمحمد ﷺ وكفر بعيسى أو موسى.

ولا يزال اليهود والنصارى يؤمنون ببعض ويكررون ببعض، يكفر اليهود بعيسى ﷺ ويكرر النصارى بـمحمد ﷺ، وبينما نرى النصارى يطالبون اليهود أن يؤمنوا بالMessiah، نجدهم يقفون من بـمحمد ﷺ موقفاً شبّهـا بموقف اليهود من عيسى ﷺ بل إن كلا الملتين تتفقان على الكفر بـمحمد ﷺ أما الإسلام فإنه يدعو كلا الطائفتين إلى الإيمان بكل الرسال وبكل الكتب، وجعل لك ركناً من أركان الإسلام.

\* إن النصارى لن يطالبوا المسلم بالإيمان بعيسى أو بموسى عليهما السلام، لأن المسلم يعلم أن الإيمان بعيسى وموسى شرط من شروط الإيمان، ولا يقبل الله إيمان من آمن بـمحمد وكفر بالأنبياء الآخرين، لأن إنكار نبوةنبي واحد كفر لا ينفع معه إيمان بنبي آخر، ولعل هذا معنى قوله تعالى (كذبـت قوم نوح المرسلين) وقوم نوح لم ي肯ـدوا كل المرسلين وإنما كذبـوا نوحـاً فقط، لكن الله اعتبر ذلك بمثابة تكذـيب كل المرسلين، لأن الكفر بنـوح لا ينفع معه الإيمان بباقي الأنبياء.

ولهذا قال تعالى(إن الذين يكرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخدوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا) ثم انتقل السياق إلى المؤمنين فقال (والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتـهم أجورـهم وكان الله غفوراً رحيمـا)

- غير أن المسلم لا يزال يطالب اليهود والنصارى أن يؤمنوا بـمحمد ﷺ وهم لا يزالون يستكـرون عن الإيمان بـنبـوته<sup>(1)</sup> فشعار المسلم دائمـاً لا نفرق بين أحد من رسله وشعار غيره التـرقـيق.

<sup>(1)</sup> ذكر بأن اسم نـبـينا محمدـ موجود إلى الآن في الكتاب الذي بأيدي اليهود (سفر نـشـيد الأـنشـاد 16/5).

## الإيمان بالله

ويتضمن قضايا رئيسية ثلاثة:

(1) الله هو رب الخالق الرازق المحيي للميت وهذا أمر بديهي لا يحتاج إلى دليل، فإن شئون الخلق والرزق والملك والتدبیر بيد الله لا يشاركه فيها أحد من المخلوقات ، وهذا أمر مركوز في الفطرة البشرية، اللهم باستثناء من أنكر ذلك مكابرة واستهزاء فإن سريرته تشهد بوجود الله تعالى وإن ظاهر بالإنكار والجحود كما قال تعالى عن فرعون وقومه (وَجَدُوا بِهَا وَاسْتِيقْنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظَلْمًا وَعَلَوْا) (النمل 41)

ومع أن فرعون كان يسأل بسخرية وتتجاه (وما رب العالمين) إلا أن موسى لم يكن يزيد على أن يقول له (لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) (الإسراء 102)

ولذلك كان أول ما يدعو إليه الأنبياء: عبادة الله (أَعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ) ولو كان الدليل على وجود الله غير فطري وإنما يكون بالتعليم لكن أول ما دعوا إلى الإيمان بوجود الله قبل الدعوة إلى عبادته، ولذلك حين سئل أعرابي عن الدليل على وجود الله قال: سبحان الله! البعرة تدل على البعير، والأثرة تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، أفلا يدل ذلك على العليم الخبير؟!

\* والدليل العقلي شاهد على أن كل شيء موجود دال على وجود الخالق، فإنه ما من مخلوق إلا وله خالق أو جده من العدم إلى الوجود، ولا يمكن أن يكون خلق نفسه، فلم سبق إلا أن يكون لها موجود أو جدها من العدم.

لذا كان وجود هذه الموجودات دليلاً بنفسه على وجود الخالق، قال تعالى (أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالقُونَ) (الطور 35) بل إن الدليل كامن فيما قاله فينا كما قال تعالى (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا يَبْصُرُونَ) أليست أطوار الرحم آية من آيات الله؟ أليست الأوعية الدموية والشرايين والقلب واختلاف بصمات أصابع كل واحد من البشر عن الآخر لدليل عظيم على وجود هذا الخالق العظيم؟

ولكننا لسنا إلا دليلاً صغيراً بالنسبة لهذا العالم الكبير الذي خلقه الله عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) (غافر 57)

أنظر إلى هذه الكواكب السابحة التي تعد بالملايين وإلى سيرها الدقيق المنظم، لا يصطدم بعضها ببعض على كثرتها وسرعتها الهائلة التي تذهل العقول، أنظر إلى الكواكب الأرضية من يحملها على ما فيها من بحار وجبال وبشر وحيوان من يمسكها من الهوى والدمار؟ أنظر إلى شمسنا من يمدّها بالوقود ويبقيها على درجة واحدة من الاشتغال وعلى مسافة محددة ومقدرة طيلة قرون طويلة؟ لو اقتربت قليلاً لمات أهل الأرض احترافاً، ولو ابتعدت قليلاً لماتوا برداً، هل يحتاج مع هذه الأدلة إلى دليل آخر على خالقها؟

إن الله الذي (خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدِرَهُ تَقْدِيرًا) هو خالق هذا الكون وباريته وملائكته، لا شريك له في خلقه وأمره، وكل ما سوى الله مملوك مخلوق لا حول له ولا قوة إلا بربه الذي خلقه، والذي لا راد لما قضى ولا معقب لما حكم.

\* وقد كان المشركون الذين بعث فيهم نبينا محمدَ يعتقدون بوجود الله وأنه خالق كل شيء وملكيه، لا ينكرون ذلك أبداً، وإنما كانوا ينكرون أن يدعوهم أنبياؤهم إلى إله واحد فقط هو الله ونبذ الآلهة الباطلة التي ورثوها عن آبائهم، ولهذا قالوا (أجعل الآلهة إليها واحداً إن هذا لشيء عجائب)

فهذا سبب النزاع بين الأنبياء وبين قومهم، ولذلك قال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) وقد كانت أول كلمة يدعو الرسول إليها (عبدوا الله ما لكم من إله غيره) ولم يدعهم إلى اعتقاد أن الله رب الخالق الرازق المحيي المميت لاستقرار ذلك في نفوسهم، ولو أرسل الله الرسل لتعليم قومهم وجود الله ووحدانيته في الخلق والرزق والإيجاد لم يحصل اختلاف بين الأنبياء وأقوامهم بتاتاً لاتفاقهم على ذلك بالضرورة الفطرية.

غير أن القرآن يلزم المشركين بما أقروا به من وحدانية الخالق كدليل على وحدانية المعبد سبحانه، بمعنى فإن اعتقادتم أن الله هو الخالق وأن ما سواه مخلوقون فلماذا لا تتوجهون إلى معبد واحد هو الخالق نفسه؟  
وتتأمل قوله تعالى (أَمْنَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَا فَأَنْتُمْ بِهِ حَدَّاقُ ذَاتٍ بِهِجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرًا، إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ يَذْكُرُ الْمُشْرِكِينَ بِمَا يَعْرَفُونَ بِهِ – من أنه خلق السموات والأرض – ليصل بهم إلى ما ضلوا عنه وهو إفراده وحده بالعبادة والكفر بأصنام لا تنفع ولا تضر - ولهذا ختم الآية بقوله (إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ أَيُّ يَعْرَفُونَ أَنَّهُ الْخَالقُ وَحْدَهُ وَتَشْرِكُونَ مَعَهُ مِنْ لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَلَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا؟!)

وقوله (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نَعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهٌ إِلَّا هُوَ فَإِنَّى تَوْفِكُونَ) (فاطر 4) فهو يذكرهم بوحدانيته في الخلق ثم تنتهي الآية بتقرير وحدانيته في العبادة لا إله إلا هو.

### إعراض عن الله وليس إنكاراً

إن الإلحاد الذي يعم الغرب إنما هو في الحقيقة إعراض عن الله تحدث الله عنه (وإذ أنعمنا على الإنسان أعراض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) (فصلت 51) (والذين كفروا عما أنذروها معرضون) (الأحقاف 46) (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون) (الأنبياء 1)

وهو لاء ينسون إلحادهم إذا وقعوا في مأزق وشدة.  
فهؤلاء معرضون متناسون لربهم في الحقيقة وليسوا ناسين، فالله أخذ الميثاق علىبني آدم جميعهم الاعتراف بأن الله ربهم ولم تستثن الآية فرعون ولا ماركس ولا غيرهم من أئمة الدعاة إلى نفي وجود الله.

## (2) الرب واحد: الله واحد

وذلك أن الله هو الإله الواحد المستحق للعبودية وحده، لا نعبد إلا إياه، ولا ندعوا إلا إياه كما علمنا في القرآن أن نقول (إن صلاتي ونسكي ومحببائي ومماتي لله رب العالمين) (الأعراف 162) وكل معبد اتخذ الناس من دونه فهو معبد بالباطل، لا يخلق شيئاً ولا يملكه كما قال تعالى (ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل) (لقمان 30) فإن الإله هو (المألوه) أي (المعبد).

وإذا كان الله هو رب الناس وحده، مالك الناس وحده، كان هو الله الناس وحده. ولذلك نرى هذه الحقيقة تتجلى في الثلاث آيات الأولى من سورة الناس (قل أَعُوذ برب الناس ملك الناس إِلَهِ النَّاسِ).

ويكون من حقه على عباده حينئذ أن يعبدوه وحده، وأن يتوجهوا إليه وحده بالدعاء والرجاء والخوف والتوكيل والإنابة والخضوع والذبح والنذر.

وهذا هو المقصود الأعظم من بعثة الرسل عليهم السلام، وهو الذي بسببه وقعت بينهم وبين قومهم الخصومة والعداوة فأرسل الله إبراهيم إلى قومه الذين كانوا يعبدون الأصنام التي ترمز إلى جماعة من صالحٍ قوم نوح والنحوم التي يعتقدون أنها مجسمات للملائكة، ويستخدمون من دون الله أنداداً ووسائل وشفاعاء لم يأذن الله لهم، ليجعلوا منهم قربة إلى الله فقط! وكان القرآن ينذر بهم.

- (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفاعونا عند الله) (يونس 18)

- (ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات والأرض شيئاً ولا يستطيعون) (النحل 73)

- (قل أرأيتم ما تدعون من دون الله، أرأوني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات، إن تووني بكتاب من قبل هذا أو أثاره من علم إن كنتم صادقين، ومن أضل من يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيمة وهم عن دعائهم غافلون) (الأحقاف 5)

- (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضرر هل هن كاذبات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته؟ قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون) (الزمر 38)

- (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله، لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض) (سبأ 22)

- (ذلکم الله ربکم له الملك، والذین تدعون من دونه ما يملکون من قطمير، إن تدعوه هم لا يسمعوا دعائکم ولو سمعوا ما استجابوا لكم، ویوم القيمة یکفرون بشرككم ولا ینبئکم مثل خیر) (فاطر 14)

- (ولا تدع من دون الله ما لا ینفعك ولا یضرک، فإن فعلت فیاک إذا من الظالمین) (يونس 106) أي من المشركين، فإن الشرك بالله أعظم الظلم، وهو ظلم موجه إلى خالق السموات والأرض.

فلا يکفي في التوحيد اعتقاد وحدانية الله ولكن لا بد من إخلاص التوحيد ظاهراً من دعاء وذبح ونذر، وباطناً في تصحيح النية والحذر من دخول لشرك عليها كالرياء.

**غاية الإيمان بالله.**

وليس غاية الإيمان بالله مجرد الاعتقاد بوجوده فإن هذا متفق عليه بين المؤمن والكافر، وبين الصادق والمنافق، وبين الموحد والمشرك، فإن إبليس يعتقد أن الله موجود،

وقد أقسم بعزة الله أمام الله أنه سيغويبني آدم كما يبين لنا القرآن ذلك (فبعزيزتك لأغويينهم أجمعين) وإنما توحيد الله هو إخلاص العبادة لله والحرص على أن تصرف العبادة لله خالصة، فما يؤمن أكثر الناس إلا وهم مشركون يتخدون شركاء بحجة أنهم شفعاء ووسطاء مع الله هذا هو الشرك المصيبة التي هلك كثير من الخلق بها.

### روح العبادة<sup>(1)</sup>

«والعبادة لها روح ولها جسد، روحها العقيدة التي دفعت إليها، والغاية التي عملت من أجلها، وجسدها عمل الجوارح من لفظ اللسان وحركات الجسم، فإن لم يكن الدافع إلى الصلاة والزكاة والحج والصيام والجهاد محبة الله وابتغاء رضوانه كانت الصلاة جسداً ميتاً لا روح فيه» والقلب الذي يعلم أن النفع والضر والتحليل والتحريم كله بيد الله، يمتلك بتعظيمه وستشعر معنى «الله أكبر» فيصغر معه كل شيء في جنب الله لذا كان فساد العمل مرجعه إلى فساد في العقيدة.

### الله الأسماء الحسنى

إن هذه التسمية (توحيد الأسماء والصفات) تسمية مهمة ومع ذلك فقد يعترض البعض على إدراجها ضمن مسائل التوحيد، ولكن الخوض في هذا الباب بغير علم قد يؤدي إلى الشرك والكفر.

\* فمثلاً تجد اليهود قد كثروا فيهم وضلالهم فيه مع زعمهم أنهم يمتازون على النصارى بالتمسك بالتوكيد، كقولهم أن يد الله مغلولة، وأنه تعب فاستراح بعد ستة أيام من خلق السموات والأرض، وأنه خلق الإنسان على شبيهه، وأنه كان يندم ويحزن ويبكي ويصفق حتى زعموا أنه نزل إلى الأرض وصار عذراً يعقوب فصرعه يعقوب.

\* وتجد النصارى يجعلون من صفات الآبوبة و يجعلون له جزءاً ويسوؤن الله بغيره حتى صارت صفات الله عندهم لا تختلف عن صفات البشر.

ولذلك تجد القرآن يحيى بعض أقوال أهل الباطل ثم ينزع نفسه عن باطلهم فيقول (سبحان الله عما يصفون) وهؤلاء ينكشف لهم ضلالهم يوم القيمة فيقولون لمن كانوا معهودين عندهم (تالله إن كانوا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين) (الشعراء 98) فهذا شرك بالله فيما يختص له من الأسماء والصفات.

وإن من تسوية صفات الله بصفات البشر إعطاء المخلوقين صفات يختص الله بها دون سواه كرفع الأيدي بالدعاء إلى غير الله لقضاء الحاجة ودفع الكربات والمصائب واتخاذ قبور الأنبياء والصالحين أمكنة للدعاء والعبادة اعتقاداً منهم أنهم يسمعون، ولو لا اعتقادهم فيهم أنهم يسمعون \_ وهو في قبورهم \_ كل من يناديهم وأنهم ينفعون سائلهم ويضررون عدوه يشفعون له عند الله ما دعاهم ولا أتى إلى قبورهم طالباً تحقيق الحاجة منهم.

ولو أن النصارى ألغوا الاعتقاد بألوهية المسيح وبالثالوث ولم يبق إلا أنهم يسألون المسيح ومریم والقديسين من دون الله لكانوا ما زالوا يعبدونهم من دون الله.

<sup>(1)</sup> هذا الفصل مأخوذ من كتاب تعريف عام بدين الإسلام لفضيلة الشيخ علي الطنطاوي 79.

هذه حقيقة يغفل عنها كثيرون: وهي أن النصارى لا يعبدون المسيح فقط، وإنما يعبدون كل قسيس وقديس يسألونه مع الله ولهذا قال تعالى للمسيح(ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله) وعلومن أن النصارى لا يقولون أن مريم إله من دون الله، ولكنهم عبدوها بأفعالهم وإن لم يصرحوا بذلك هيتها فالعبرة بحقيقة الشيء لا باسمه.

من هنا كان موضوع توحيد الله في أسمائه وصفاته من أهم المسائل التي يجب التتبّع لها. ولا ننسى أن أعظم آية في كتاب الله (آية الكرسي) ليس فيها إلا أسماء الله وصفاته، وأن سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن وليس فيها إلا أسماء الله وصفاته.

### ثلاث قواعد في الأسماء والصفات

هذا ويرتكز موضوع الأسماء والصفات على ثلاث قواعد:

**الأولى:** تحريم الخوض في صفات الله بغير علم ولا هدى فإنه لا سبيل إلى معرفة أسماء الله الحسنى وصفاته بالعقل لأن ذلك من شئون الغيب لا سبيل إلى العقل في العلم بها إلا من خلال ما علمنا الله إياه كما قال(ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء)

فطريقة أهل السنة: الإيمان بما ثبت وصف الله به من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ من غير تحريف له أو زيادة عليه، إذ هو أعلم بما يليق به منا، فلو كانت الصفات التي أوحها لا تليق به لما وصف بها نفسه، ولذلك قال الإمام أحمد «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والسنة»

لذا فلا يقدر أحد أن يحصي أسماء الله أو يحد لها عدداً، فإن من الأسماء ما استأثر الله بعلمه لا يعلمه أحد من خلقه ولا أنبياؤه كما قال رسول الله ﷺ « اللهم... أسألك بكل اسم هو لك، سميتك به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلفك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن يجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ونور صدرى»<sup>(1)</sup>.

وأما قوله ﷺ «إن الله تسعه وتسعين اسمًا من أحصاها دخل الجنة» فقد اتفق أهل العلم أنها غير محضورة في هذا العدد، وإنما المعنى أن من أسماء الله ما إن أحصاه العبد دخل الجنة، معنى الإحصاء هنا: جمعها.

\* حفظاً ومراعاة لها ومحافظة على حدودها في معاملة الله بها فمن علم أن الله سميع بصير : استحينا منه أن يعصيه وهو يعلم أنه رقيب لا يخفى عليه شيء، ولو لم يعلم الناس أن الله غفور رحيم لأصحابهم اليأس من معااصيهم فهم يرجون رحمة الله، ولو لا علمهم بأن من صفاته الجبار المنتقم لأننا عذابه وفعلوا ما يحلو لهم وهذا .  
\* دعاء الله بها، كما أفاده الحديث السابق، ولقوله تعالى(ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها).

**الثانية:** تنزيه الله عن مشابهة الخلق وعن أي نقص، وهذا معنى قول القائل(سبحان الله) أي تعالى عن كل نقص وعيوب مما يليق بالمخلوقين.

**الثالثة:** قطع الطمع عن إدراك كيفية هذه الصفات ، وعدم الخوض في السؤال عن الكيفية فلو قال لك قائل: كيف ينزل الله إلى السماء الدنيا؟ فنقول له: كيف هو ؟ فسيقول: لا أعلم كيفية، فنقول له حينئذ: وأنا لا أعلم كيفية نزوله، إذ العلم بكيفية الصفة يتطلب العلم بكيفية الموصوف بهذه الصفة.

فما أعلمنا الله إياه من خلال وحيه علمناه، وما لم يعلمنا إياه فلا سبيل إلى التوصل إليه بعقولنا، إذ ليس للعقل قانون ثابت، بل قد تختلف العقول والأمزجة، فيرى صاحب هذا العقل ما لا يراه صاحب ذاك العقل، قال تعالى(ولو اتبع الحق أهواههم لفسدت

<sup>(1)</sup> رواه أحمد 1/391 وهو حسن.

السموات والأرض ومن فيهن) وهذا ما حدث بالفعل حين تضاربت عقول من اتفقوا على تقديم العقل على النصوص الشرعية ورأى كل منهم فساد عقل صاحبه.

فبعضهم قالوا: يستحيل عقلاً رؤية الله يوم القيمة لذا اضطررنا إلى تأويل قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) فقال لهم المخالفون لهم « بل إن رؤية الله ممكنة عقلاً » وهذا لا يعني إبطال دور العقل فإن للعقل وظيفة وطاقة محددة.

فليس من العقل إطلاق العنان للعقل في أمور غيبية لا يكاد يطيقها ويعجز عن تحملها، فأين دور العقل في التعرف على سر أرواحنا الملازمة لنا صباح مساء، إنه عاجز عن التوصل لأدنى المعلومات عنها، فكيف يجوز تحكيمه فيما هو أعظم من ذلك؟ وهل نتصور أن تتحاكم نصوص القرآن والسنّة إلى محكمة العقل والآقوال مختلفة متاخرة؟ وليس من العقل تقديم عقل الإنسان القاصر على شرع الله الكامل.

**قاعدة مهمة:** إن مثل العقل من النقل (النصوص الشرعية) كمثل العين من الشمس، فإن استعمال العين ضروري للرؤية، ولكن لا يمكن للعين أن تؤدي وظيفتها من دون الشمس التي تمدها بالضوء، وكذلك استعمال العقل ضروري وإنما يعمل العقل على نور من وحي الله \_ الكتاب والسنة \_ ولا يستقل العقل عن هذا النور الإلهي إلا كان مآلـه التخبط والضياع.

والله أعلم بنفسه وبما يليق به من الصفات، وهو أقوم قيلاً وأحسن وأصدق حديثاً، ولا يصف نفسه بصفات تماثل صفات البشر، وإنما يوصف بالصفات التي تليق بعظمته وقدرتـه، كما أن العباد يوصـفون بما يليـق بهـم من صفات الضعف والـفقر، غير أن هـناـك أـسـماءـ كـلـيـةـ مشـترـكـةـ إـذـاـ أـضـيـفـتـ إـلـىـ أحـدـ مـاـ أـخـتـصـ مـعـنـاهـاـ بـمـنـ أـضـيـفـتـ إـلـيـهـ،ـ مـثـلـ ذـلـكـ:

«القدرة»: وهي صفة وصف الله بها نفسه فقال (والله على كل شيء قادر) ووصف بها عباده (إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم) ومع ذلك فشتان بين قدرة الخالق وقدرة المخلوق.

فهذه الصفة لما أضيفت إلى الله صار لها معنى مختصاً بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد، ولما أضيفت إلى العبد صار لها معناها الخاص بالعبد والذي يتزهـهـ الله عنهـ،ـ وهذا حاـصلـ بـالـنـسـبةـ لـالـمـخـلـوقـينـ أـنـفـسـهـمـ،ـ فإـنـاـ نـجـدـ أـسـمـاءـ يـشـتـرـكـ فـيـهـاـ نـوـعـانـ مـنـ الـمـخـلـوقـاتـ،ـ وـمـعـ ذـلـكـ فـلـاـ يـزالـ كـلـ مـنـ الـمـخـلـوقـينـ مـخـتـلـفـاـ عـنـ الـآـخـرـ تـامـاـ،ـ لـاـ تـشـابـهـ وـلـاـ تـمـاثـلـ.

\* فالإنسان حي، النبات حي، ومع ذلك فحياة الإنسان مختلفة عن حياة النبات، فإذا كان التماثل والتشابه في الكلمة الواحدة بين المخلوقين لا يلزم معه أن تكون حقيقة أحدهما مثل حقيقة الآخر، كان ذلك في حق الخالق من باب أولى.

\* ونحن نعلم الفرق بين عسل الجنة وبين عسل الدنيا، وبين أنهار الجنة وأنهار الدنيا، وبين فاكهة الجنة وفاكهـةـ الدـنـيـاـ،ـ وـبـيـنـ خـمـرـ الجـنـةـ وـخـمـرـ الدـنـيـاـ،ـ فإذاـ كانـ لـيـسـ فـيـ الدـنـيـاـ مـاـ فـيـ الجـنـةـ إـلـاـ الأـسـمـاءـ<sup>(1)</sup>ـ فـكـذـلـكـ لـيـسـ فـيـمـاـ وـصـفـ اللـهـ بـهـ نـفـسـهـ مـاـ وـصـفـ بـهـ

<sup>(1)</sup> قاله ابن عباس في تفسير (وأتوا به متشابهاً).

عباده إلا الأسماء، أما الحقيقة والكيف فـ«ليس كمثله شيء» فإن حقائق الصفة المشتركة بين مخلوق ومخلوق مختلفة وكيف بين المخلوق والخالق؟

فإذا فهمنا هذه الحقيقة نجينا من التأويلات والأوهام التي وقع فيها كثيرون ممن خاضوا في صفات الله حتى انتهى بهم خوضهم إلى الحيرة وبآخرين إلى التحرير ووصفوا الله بصفات النقص ظناً منهم أنها الدواء من أوهام التشبيه، وإنما يصف الله نفسه بصفات الكمال.

أما من رغب عما وصف به نفسه وأثر طريق التأويلات والظنيات: فسيصف ربه بصفات النقص كما قال بعضهم ان الله «ليس بذي طول ولا عرض وليس من المطعومات ولا من المشروبات ولا يستوي ولا ينزل ولا يشار إليه، وأنه ليس فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه» فهذا من صفات العدم.

\* وهذه الطريقة السلبية التي تبدأ دائمًا بـ(ليس) تخالف المنهج القرآني الذي يذكر ما يليق بالله من الصفات الإيجابية بالتفصيل ولا يأتي على صفات السلب إلا بشكل مجمل ومقترن في نفس الوقت مع صفات الإيجاب المفصلة كقوله «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» فابتداً بالسلب (ليس كمثله شيء) ردًا على الذين يشبهونه بخلقه، وانتهى بالإيجاب (وهو السميع البصير) ردًا على الذين ينفون ما وصف به نفسه بحجة الهروب من التشبيه.

\* والصفات السلبية إذا تجردت عن الصفات الإيجابية فلا تثبت مدحًا ولا ثناءً، والله يصف نفسه بما يستوجب مدحه والثناء عليه، كما قال ﷺ «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أنتيت على نفسك»<sup>(1)</sup> فلو أنك وصفت ملكاً من الملوك بأنه ليس جاهلاً ولا غبياً لأمر بمعاقبتك مع أنك ما تقصد إلا تنزيهه عن النقائص، إن هذا التنزيه المزعوم تنقيص في صورة تنزيه أخطأ من استعمله في حق الله جل وعلا.

فالمنهج السليم إثبات ما أثبته الله لنفسه وما وصفه به رسوله ﷺ من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحرير ولا تكديب، بمعنى آخر: نثبتها الله إثباتاً بلا تشبيه وتزيهاً بلا تعطيل، فك كل وصف ثبت للمخلوق وأمكن اتصاف الخالق به<sup>(2)</sup> فالخالق أولى بهذه الصفة من مخلوقاته.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى (3561) وأبو داود (1427) وهو صحيح.

<sup>(2)</sup> وهذا القيد إذ ليست كل صفة كمال للمخلوق كمالاً بالنسبة للخالق، العبد الذي يأكل وينام وينجب أكمل حالاً من الذي لا يستطيع أكلًا ولا نوماً ولا إنجاباً، مع أن هذه الصفات صفات نقص إذا أضيفت إلى الله.

## أنواع الصفات

صفات الله على نوعين:

\* **الصفات الذاتية:** وهي التي لا تتفاوت عن الله أبداً وابداً كصفات العلم والحياة والقدرة والسمع والبصر والكلام والعظمة والكثيراء والرحمة.

\* **الصفات الفعلية:** وهي ما تتعلق بمشيئة الله وقدرته، كالكلام الذي تكلم الله به، والاستواء والنزول والمجيء والرضا والغضب... الخ.

### التأويل داء المرضى لا دواهُم

إن أعمال التأويل في أسماء الله وصفاته داء وقع فيه نوعان من الناس:

\* **النوع الأول:** قوم التبس عليهم الأمر وخافوا من الواقع في تشبهه الله بخلقه فظنوا أن التأويل ينجيهم من ذلك، غير أن التأويل لم ينفع المشكلة، فقد وقعوا في شر مما ظنوه شرًا وهردوا منه.

\* **النوع الثاني:** وهم قوم مفتونون أصلاً، فتنتهم علوم المنطق وتراث أرسطو وأفلاطون وغيرهم من المتكلمين وفلاسفة اليونان الذين خاضوا في الذات الإلهية خوضاً فلسفياً بغير سلطان ولا هدى من الله.

وقد وقعت الفتنة بعدما تمت ترجمة كتبهم إلى العربية، وأدخلت علوم الفلسفة في أخطر باب من أبواب أصول الدين الإسلامي وهو باب صفات الله عز وجل، ثم اتخذ المفتونون منها قواعد جدلية ظنواها يقينية سليمة تساعدهم على تنزيه الله، وإنما كان في الحقيقة سموماً أضرت في دينهم وحاولوا التوفيق بينها وبين نصوص الإسلام الشرعية، ثم ما لبثت أن أوقعتهم في تعطيل الصفات التي وصف الله لها نفسه، وكان لذلك أكبر الأثر في تفرق المسلمين.

## التأويل بدعة متأخرة

ولا شك أن مرض التأويل لم يظهر قبل ذلك وإنما ظهر بظهور كتب المنطق والفلسفة والكلام، وقد مضت قرون الإسلام الأولى ولم ينقل لنا عن أحد تأويل صفة من صفات الله تعالى، ولو كان التأويل هو الصحيح لسبقونا إليه وألوجبه الله ورسوله ﷺ ، إذ الله أعلم من عباده فيما يليق بجلاله من التنزيه كما قال (قل ءأنتم أعلم أم الله) فكيف يقال بعد هذا إنها تحتاج إلى تأويل كشرط للتنزيه وإلا لزم من إثباتها تشبيهاً لله بخلقه.

وهل دعا النبي ﷺ إلى هذا التأويل ودلنا عليه؟  
فإما أن يكون التأويل هو الحق وقد فاته هذا الحق! وإما أن يكون قد علمه ولكن كتمه عن الناس.

وكلا الأمرين محال، فلم يبق إلا أن يكون التأويل هو الباطل، فنسخ الوساوس والأوهام التي يلقاها الشيطان ليس بإعمال التأويل في آيات الله، وإنما بنسخ ما يلقاها بالآيات المحكمة (ليس كمثله شيء) (ولم يكن له كفواً أحد) (هل تعلم له سميها) فالمحكمات تننسخ الوساوس كما قال تعالى (فيننسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم آياته).

## شهادة التوحيد ميزة هذا الدين

التوحيد هو أول شرط في دخول الإسلام، وكفى بها عالمة على صحة هذا الدين وبطلان ما سواه من الأديان، فإنه ما من دين يشترط عليك هذا الشرط ولا يعترف بعضاوتك فيه إن لم تستوف هذا الشرط.

إن (لا إله إلا الله) هي مفتاح الجنة وسر النجاة من النار، ومن يأت يوم القيمة من دون هذا المفتاح فلا نجاة له من النار ولا دخول له إلى الجنة حتى وإن آمن بمحمد وقرأ القرآن وصلى وصام وأمن بكل شيء.

بل إن الله قد بين لنا أن من أشرك بالله حبط عمله ولو كاننبياً أو رسولاً، فوجه الله هذا الخطاب إلى نبيه ﷺ كما وجهه إلى الأنبياء من قبله (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحيطن عملك ولتكونن من الخاسرين، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين) (الزمر 65) وقال (ولو أشركوا الحبط عنهم ما كانوا يعملون) (الأنعام 88)

\* لا إله إلا الله: هي كلمة الإخلاص الطيبة، وأساس التوحيد وعنوان الإسلام ومقدمته، وهي منهاج الحياة المتكامل، ومفتاح كل سعادة وخير في الدنيا، وسر النجاة في الآخرة.

\* لا إله إلا الله: أصدق الكلام وأفضله كما قال رسول الله «أفضل ما قاته أنا والنبيون قبلي: لا إله إلا الله»<sup>(1)</sup>.

\* لا إله إلا الله: كلمة تحرر الإنسان من عبودية العباد والخضوع والتذلل للسلاطين والمتالهين لتجعل منه عبداً لمن خلقهم وحده.

\* لا إله إلا الله: تعني خلع العبادة عن كل ما سوى الله، وإثبات هذا الحق لله الحق وحده.

\* لا إله إلا الله: شعار التوحيد الذي هو روح الإسلام وجوهر عقيدته، فلا قيمة للعبادة عند الله ولا قبول له من غير شعار التوحيد.

\* لا إله إلا الله: أول ما كان يدعوا إليه الرسل قومهم (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبdenون) (الأنبياء 25)

والنفي في هذه العبارة (لا إله) مقدم على الإثبات (إلا الله) ذلك أنه لا يتم الإيمان بالله إلا واحداً بعد الكفر بالآلهة الباطلة الأخرى المعبودة من دونه، كما قال تعالى ( فمن يكفر بالطاغوت<sup>(1)</sup> ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) (البقرة 256) وكما قال رسول الله ﷺ «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله»<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى (3579) بسند صحيح.

<sup>(2)</sup> الطاغوت هو كل وسيلة تؤدي إلى الطغيان ومجاوزة الحد، فكل ما عبد من دون الله فهو طاغوت، وكل من أمر بعبادة غير الله فهو طاغوت، فالشيطان طاغوت والصنم طاغوت وكل من دعا إلى نبذ حكم الله وتحكيم غير الله من دون الله فهو طاغوت.

---

<sup>(2)</sup> رواه مسلم رقم(32) في الإيمان.

## شروط لا إله إلا الله

ولا يكتفي بمجرد التلفظ بلا إله إلا الله من غير فهم لمعناها وعمل بشرطها كما هو حال العديد من المسلمين اليوم من لا يخضعون لأمر الله ونهيه، ولا يتحاكمون إلى شرعه، يضيئون الصلاة ولا يؤتون الزكاة، ويأكلون الربا، ويظنون أن مجرد قولهم (لا إله إلا الله) ضامنة لنجاتهم، لقد كانت قريش تعلم أن (لا إله إلا الله) لها شروطاً ومقتضاها بما يجب الالتزام به، ولهذا لم تستجب لها، ولو كانت مجرد قول باللسان لقالتها ولو فرا على أنفسهم الويلات والقتل والحروب.

### فمن شروطها:

1- العلم بحقها وبما تقضيه، قال تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) وقال رضي الله عنه «من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة»<sup>(1)</sup> وفي رواية «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

\* وهذا مسألة مهمة وهي أن التثبت على التلفظ بالقول الثابت (لا إله إلا الله) من عند الله الذي هو أعلم بمن يستحق أن تكون آخر كلامه كما قال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين، ويفعل الله ما يشاء) (ابراهيم 27) فمن كانت أعماله مخالفة لمقتضاها وشروطها لن يثبته الله على التلفظ بها عند الموت، بل لا يثبته على الجواب عن أسئلة القبر.

2- اليقين بها من غير شك فيها، قال رضي الله عنه «من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه» (وفي رواية) غير شاك فيها (وفي رواية) بصدق ويقين، دخل الجنة<sup>(2)</sup> (وفي رواية) يواطئ قلبه لسانه: دخل الجنة.

3- التلفظ بكلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) بإخلاص، ومن قالها مخلصاً من قلبه رزقه الله الإخلاص في العبادة، قال رضي الله عنه «أسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»<sup>(3)</sup>.

4- القبول لما تقضيه قوله لا إله إلا الله باللسان واعقاداً بالقلب وعملاً بالجوارح، فإن المنافقين يقولون بأسنتهم ما ليس في قلوبهم.

5- الانقياد لما تقضيه هذه الشهادة من العمل بما أمر الله به والانتهاء عما نهى عنه، وأن يطاع الله ولا يعصى، وأن تقدم طاعته على طاعة غيره، فلا يطاع غير الله في معصية الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»<sup>(1)</sup>.

وقال رضي الله عنه «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضي عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس»<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (26).

<sup>(2)</sup> جمع هذه الروايات الشيخ ابن رجب رحمه الله.

<sup>(3)</sup> رواه البخاري رقم (6570).

<sup>(1)</sup> رواه أحمد 432/4 بسند صحيح (السلسلة الصحيحة) 179.

والعمل نتيجة الإيمان وثمرة من ثمراته، ولذلك قرن الله الإيمان بالعمل الصالح  
 دائمًا (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات)

---

<sup>(2)</sup> رواه القضاوي في مسند الشهاب بإسناد حسن وصححه الألباني في شرح الطحاوية (299).

## نواقض الشهادة

**النواقض جمع ناقض وهو المفسد، وقد يكون الناقض للشهادة من أصلها، وقد يكون ناقضاً لأشياء منها تقدح في كمالها، ومن هذه النواقض:**

**أولاً: الناقض القولي:** كـ (سب) الله أو سب الرسول أو سب دين الإسلام أو الاستهزاء بالدين.

**ثانياً: الناقض الفعلي كالسجود لغير الله والصلوة لغيره، والتحاكم إلى غير دين الله.**

**ثالثاً: الناقض الاعقادي:** وهو الشرك المنافي للتوحيد، كالاعقاد بوجود إله آخر، أو أن هناك من يستجيب الدعاء ويكشف السوء ويعلم الغيب ويملك الضر والنفع غير الله.

**رابعاً:** إنكار أسماء الله وصفاته أو سب الله أو أحد رسله أو إنكار شيء مما جاءوا به من الرسالات.

**خامساً:** الجهل بمعناها واعتقاد معانٍ أخرى مخالفة لمعناها الحقيقي كما يعتقد أن معناها (لا موجود إلا الله) أو (لا رب خالق إلا الله) أو (لا معبود إلا الله) وقد يقولها قائل وهو جاهل بها فيحتاج إلى تعليم وتنذير، وال الصحيح أن معناها (لا معبود بحق إلا الله) أي أن كل معبود سوى الله فهو معبود بباطل.

**سادساً:** الترك لمعناها ولفظها جملة وتفصيلاً، كمن لا يصلني ولا يصوم ولا يزكي ولا يحج، وهو يتمنى على الله في الوقت نفسه أن يرتفع إلى أعلى مقامات الجنة.

**سابعاً:** موالة الكفار والمشركين ومظاهرتهم على المسلمين قال تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم أو التحاكم إلى غير ما أنزل الله والسرور والعرفة.

**ثامناً:** الغلو في الدين وسيلة الانحراف وأحد الأسباب المؤدية إلى الشرك، إن مبدأ الغلو والبالغة في الدين سبب كل فتنـة وأصل كل انحراف، قال رسول الله ﷺ «إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»<sup>(1)</sup> و قال ﷺ «لا تطروني كما أطربت النصارى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله»<sup>(2)</sup>

<sup>(1)</sup> رواه النسائي في الحج 268 وإسناده صحيح.

<sup>(2)</sup> رواه البخاري 478/6.

## علمات التوحيد الصحيح

من علامات التوحيد الصادق أن يشتمل على ما يلي:

\* الإخلاص لله في العمل: وهو «أن يقصد الإنسان بقوله وعمله وجهاده وجه الله ورضوانه وابتغاء ما وعد له من الثواب واجتناب ما توعد عليه من العقاب، غير ناظر إلى مغنم أو جاه أو لقب أو شهرة وغيرها من أمور الرياء والشرك المحبطة للعمل» كما قال ربنا(وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حفقاء)(البيعة 5).

وكما قال رسولنا ﷺ «إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغى به وجهه»<sup>(1)</sup>.

فإن توحيد العبادة مبني على إخلاص العبادة له.  
«وقد يكون العمل صالحًا في ذاته ولكن لم يصح المقصد منه، ولم تسلم النية ولم تكن خالصة لله، فيتتحول صلاحه إلى فساد، وحسناته إلى فبح»<sup>(2)</sup>

\* التحاكم إلى شرع الله: وذلك بأن يجعل العبد من وحي الله وشرعه منهجاً للحياة ودستوره الذي يتحاكم إليه في أي شأن من شؤون دينه أو دنياه، قال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم (الكافرون) (الظالمون) (الفاسقون)) بمعنى آخر: إفراد الله بالحكم دون سواه من الأحكام الوضعية التي يشرعنها البشر لأنفسهم، والتي يضطرون إلى تعديلها كل يوم ومع ذلك لا يستقيم ميزانها.

أما الله فإنه هو الذي خلق الدنيا وهو أعلم بشؤون تصريفها، وخلق البشر وهو أعلم (منهم) بما هو خير للعباد في دينهم ودنياهم قال تعالى (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير) (الملك 14) وقال (إن الحكم إلا لله) (يوسف 40) وقال (أفحكم الجahلية يبغون؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) (المائدة 50).

فإله أحل الحلال وحرم الحرام، وليس هناك طريق آخر يعرف به الحلال والحرام إلا من خلال ما أوحى الله به إلى رسوله ﷺ

1-إما بنص من الكتاب والسنة.

2-إما بقواعد مستتبطة من نصوص الكتاب والسنة.

فمن اتبع غير الله في تحليل ما حرم الله، أو تحريم ما أحل الله فقد أشرك بأحكام الحاكمين حاكماً آخر.

قال تعالى (ألم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله) (الشورى 21)

### شرك الطاعة فيما كان معصية لله

ومن الشرك الذي وقع فيه اليهود والنصارى أنهم (اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) (التوبه 31) وقد أثارت هذه الآية تساؤل الصحابي عدي بن حاتم حين أسلم - وكان نصراانياً - فقال «يا رسول الله ما كنا نعبدهم!» فقال النبي ﷺ «ألم يكونوا يحلون لكم الحرام ويحرروا عليكم الحلال فاتبعتموهם؟» قال: بلـ، قال فتلك عبادتهم» وفي رواية «أنهم

<sup>(1)</sup> رواه النسائي رقم (3140) بسند حسن كما قال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء 384/4.

<sup>(2)</sup> تعريف عام بدين الإسلام 91.

لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئاً استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئاً حرموه»<sup>(1)</sup>.

\* **محبة الله:** وتقضي تقديم محبة الإله على ما سواه وتقدم ما يحبه ويريده من خلقه على ما تحبه النفس وتهواه، وأن يفوق حبنا الله حب المال والأهل والولد، قال تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حباً لله) (البقرة 165).

ففي الآية توبيخ لمن تكون محبته لغير الله مثل محبته الله، فكيف الحال فيمن هو أشد حباً لغير الله من الله! وقال تعالى (قل إن كان آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقرفتموها وتجارة تخشون كсадها ومسكان ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترقصوا حتى يأتي الله بأمره) (التوبه 24).

وقال م «إذا تباعتم بالعينة<sup>(2)</sup> وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزل عه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم» - وكذلك لا يكمل إيمان أحد حتى يكون رسول الله أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين، وأن يكون محبًا لما يحبه الله ورسوله، ويحب المرء لا يحب إلا الله.

### علامات المحبة الصادقة

ومن علامات صدق محبة الله: أن تتعلق القلوب بخالقها فلا تفعل إلا ما يرضيه ويتجنب ما يسخطه ويغضبه، ولا يتوكلاً إلا عليه ولا تخشى إلا إياه، ولا تدع إلا إياه، ولا تدل ولا تتضرع إلا إليه، ولا تحب ولا تبغض إلا فيه.

\* **الخوف من الله:** إن من أعبد الناس وأقربهم إليه وأشدهم منه خشية قال تعالى (وَاللَّهُ يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة ولملائكة وهم لا يستكبرون، يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون) (النحل 50) وقال (إِنَّ الَّذِينَ يخشون رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) (المالك 12) ونهى عن مخافة الناس فيما لا يجوز الخوف فيه إلا من الله فقال (فَلَا تَخْشُونَ النَّاسَ وَاخْشُونَ) (المائدة 44) ووبخ قوماً كانوا يطلبون قتال العدو فقال (فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلَ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشُونَ النَّاسَ كَخْشِيَّةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدُ خَشْيَّةً) (النساء 77) فقال لهم (أَتَخْشُونَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ أَحَقُّ أَنْ تَخْشُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) (التوبه 13).

\* **التوكل عليه حق التوكل** وهو الثقة بالله والاعتماد عليه وتفويض الأمور إليه والاستعانة به في أمور الرزق، مع الأخذ بالأسباب التي جعلها الله بحكمته موصلة إلى مسبباتها كما قال (وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكُّلْهُ) (هود 123) وقال (قَلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) (الزمر 38) وقال ؓ «لَوْ تَوَكَّلْتَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ التَّوَكُّلِ لَرَزَقْكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خَصْمًا وَتَعُودُ بَطَانًا»<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى (3094) بساند حسن بمجموع طرقه.

<sup>(2)</sup> نوع مكره من أنواع البيوع يشبه الربا، والحديث رواه أبو داود 3462 بسند صحيح.

<sup>(1)</sup> رواه أحمد 1/33 والترمذى رقم (2345).

\* الإنابة إليه كما قال (وأنبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تتصررون) وذلك في السراء والضراء لا في السراء فقط كما قال ربنا (إذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبياً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل وجعل الله أنداداً ليضل عن سبيله) (الزمر 8).

\* **الخضوع له والتسليم لحكمه والتحاكم إلى شرعه** كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلیماً) وقال (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون).

\* **السمع والطاعة** وعلى المسلم أن يتلقى الأمر الإلهي كما يتلقى الجندي الأوامر في ساحة المعركة فينفذها ولا يرد منها شيئاً، ولا يكون كالذين قالوا بالست لهم (سمعنا وأطعنا) بينما أعمالهم ثبت أنهم يقولون (سمعنا وعصينا) كما كان حالبني إسرائيل من قبل، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) (الأنفال 20).

\* **دعاء الله والتضرع إليه**: في السراء والضراء (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكرون عن عبادي سيدخلون جهنم داخلين) (غافر 60) وقال (إذا سألك عبادي عنِّي فإني قریب أحبب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وللؤمنوا بي لعلهم يرشدون) (البقرة 186).

\* أما التوجّه بالدعاء إلى الله عند المصيبة فقط مع الإعراض عنه بعد زوالها فليس من شأن المخلصين، قال تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونئا بجانبه، وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) (فصلت 51) وقال (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أو قاعداً أو قائماً، فلما كشفنا عنه ضره مرَّ كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) (يونس 12) وقال (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) (العنكبوت 65).

والدّعاء عبادة الله لا يجوز أن ترتفع الأيدي بالدعاء إلا إليه وحده، كما قال (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون) (غافر 14)

\* ومن تأمل أكثر الآيات المتعلقة بالشركين وجدها تنكر عليهم دعاءهم لغير الله: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) (سبأ 22).

(قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلًا) (الإسراء 56).

(إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوه فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين) (الأعراف 194).

(لَا يَسْمَعُوا دُعَاءكُمْ وَلَا وَسَمَعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفَّرُونَ بِشَرْكِكُمْ) (فاطر 14).

(وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونَ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَحِي بِلَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ) (الأحقاف 5).

وَهَذَا الشُّرُكُ فِي الدُّعَاءِ شُرُكٌ فِي الْعِبَادَةِ قَالَ تَعَالَى إِنَّمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] (الأنعام 56).

ولما قال إبراهيم لقومه [وَأَعْتَرْلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوكُمْ رَبِّي] عقب الله على ذلك فقال [إِنَّمَا اعْتَرَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ] (مريم 48) وبين أن دعاءهم غير الله شرك في عبادة الله.

ولهذا قال النبي ﷺ "الدعاء هو العبادة". وقال<sup>(2)</sup> "أدعوا إلى الله وحده الذي إن مسك ضر كشفه عنك، والذي إن ضللت بأرض قفر دعوته رد عليك، والذي إن أصابتك سنة<sup>(3)</sup> فدعوته أنت عليك" وقال<sup>(4)</sup> لابن عباس - وكان غلاماً - "إذا سألت فاسأله، وإذا استعن فاستعن بالله".

**دوام ذكر الله: وحقيقة الذكر** "حضور المذكور في قلب الذاكر. والذكر هو أفضل العبادات كلها فإنها ما شرعت إلا لتعين على ذكر الله عز وجل"<sup>(5)</sup>.

وإذا كان الناس يذكرون ما ينشغلون به. فإن المؤمن يذكر ربه لأنه منشغل به وبذكر اليوم الآخر. فهو على موعد قريب مع دار أخرى وعالم آخر. وما هذه الدنيا إلا محطة من محطات ارتحاله إلى تلك الدار. يقول تعالى "أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه"<sup>(1)</sup>.

\* تذلل القلب له وتعقله به خوفاً من عذابه وطمئناً في رحمته. قال تعالى {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا ثُلِيتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادُهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال 2].

وقال {إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّداً وَسَبَحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ، تَتَجَافَى جُلُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَذْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَئِنًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفَهُونَ} [السجدة 16].

وقد اجتمعت هذه المعاني في دعاء عظيم كان يدعو به النبي ﷺ في تهجهde "اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت"<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود (1479) والترمذى (3244) وهو صحيح.

<sup>(2)</sup> رواه أحمد في المسند 5: 64 وسنده صحيح.

<sup>(3)</sup> معناها الجدب والقطط.

<sup>(4)</sup> رواه الترمذى وصححه (2518) وأحمد 1: 293 و303.

<sup>(5)</sup> دعوة التوحيد 50 خليل الهراس.

<sup>(1)</sup> البخارى (7505) ومسلم (2675) والترمذى (3598).

<sup>(2)</sup> رواه البخارى ومسلم.

## مصادر تلقي العقيدة

العقيدة الإسلامية من الأمور التي لا يصح الاجتهاد فيها بمجرد الرأي، وإنما تؤخذ من الكتاب والسنة وبالطريقة التي تلقاها السلف الصالح. وأول مصادر أهل السنة في تلقي عقيدتهم هو القرآن الكريم الذي أنزله الله على محمد ﷺ خاتم النبيين. ثم السنة النبوية. والقرآن والسنة لم يفصل شيئاً مثل تفصيلهما لأمور العقيدة: ما يجوز اعتقاده وما يحرّم.

### القرآن الكريم

لم يلق كتاب على وجه الأرض عناية مثل عنابة الأمة الإسلامية لهذا القرآن. فقد كانت تنزل الآية فيحفظها النبي ﷺ ثم يتلوها ساعة نزولها على المحظيين به، ثم يأمر كتبة الوحي بتدوين ما أنزل إليه ثم يأمرهم بتردیدها على مسمعه. وكان هو يحتفظ بنسخة مما كتب في داره.

وقد ورد في وصفه أنه "كتاب الله: فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل. من تركه من جبار قسمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المtin، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه. وهو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا {إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَّبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمَّا بِهِ} من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم".

القرآن الكريم خاتم الكتب السماوية الذي جعله الله مصدقاً لما تقدمه من الكتب ومهيمناً عليها {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضْلُلُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} (يوس 108).

### القرآن المعجزة

الذي لا يقدر بشر أن يأتي بمثله أو بشيء من مثله مهما أوتي من نبوغ وبيان وفصاحة. كتاب نزل بين فصحاء العرب وبلغائهم وشعرائهم فبهتوا لدى سماع آياته وخرست ألسنتهم وأذعنوا لعظمته. لكنهم لم يلبثوا أن كابروا وجدوا متجاهلين ما أقرت به أنفسهم زاعمين أنه من قبيل السحر والشعر الذي ليس من الصعب الاتيان بمثله. فتحداهم الله تعالى أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة على الأقل. وقد جاء فيه التحدي الموجه إلى كافة الخلق انسهم وجنمهم {فَلَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُونَ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لَبَعْضٌ ظَهِيرًا} (الإسراء 88).

وقد مضى على هذا التحدي ألف وخمسمائة سنة، وحتى الآن لم يتقدم أحد ليقف أمام هذا التحدي. قال تعالى {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلَهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطْعُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (يوس 38).

وقد تكفل الله بحفظه وصونه عن أن تتمد إليه أيدي العابثين فقال {إِنَّا نَحْنُ نَرَلَّا  
الْدُّكَرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر 9) ولا يقتصر الإعجاز القرآني على الناحية البلاغية فحسب بل ما من زمن إلا ونكشف فيه أوجه أخرى من الإعجاز لم يعرفه أسلافنا من قبلنا.

والاليوم وفي عصر العلم والتكنولوجيا نجد المتعلمين المنصفين من أبناء اليهود والنصارى يعترفون بالتوافق بين نصوص الآيات القرآنية وبين ما أثبته العلم الحديث. مع أن النبي ﷺ كان بعيداً عن المحيط العلمي ولم يكن ليعرف شيئاً عن العلوم التي تم اكتشافها اليوم وإنما كان على صلة بخالق هذه العلوم سبحانه.

قال تعالى {أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَبَّقَانِا هُمَا وَجَعَلَنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٌّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ} (الأنبياء 30).  
وقال {سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكُنْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (فصلت 58).

والمتأمل يجد في القرآن آيات تتحدث عن علوم لم يفطن لها العلم الحديث إلا منذ قرن أو قرنين. فتجد في القرآن:

- هناك آيات تتحدث عن الفلك وال مجرات السماوية {وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ 38 وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَا هُنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونَ الْقَدِيمِ 39 لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبُحُونَ} (يس 40).

- وأيات أخرى تتحدث عن خلق الله للحاجز المائي بين البحرين وهو ما اكتشفه العلم الحديث في بداية هذا القرن فقط {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خَلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا} (النمل 61).

- وأيات تتحدث عن تركيب السحاب وجمعه وإنزال المطر {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُبَزِّحِي سَحَابًا لَمْ يُؤْلِفْ بَيْنَهُ لَمْ يَجْعَلْ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ وَيُنَزَّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصَبِّبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرُفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَابَرْقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ 43 يُقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعْبَرَةً لِأُولَئِكَ الْأَبْصَارِ} (النور 43).

- وأيات تتحدث عن طبقات الأمواج في البحار: طبقة فوق سطح البحر وطبقة داخله. وهو ما تم اكتشافه في هذا القرن فقط {أَوْ كَظَلَمَاتٍ فِي بَحْرٍ لَجِيٍّ يَعْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظَلَمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكُدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ ثُورًا فَمَا لَهُ مِنْ ثُورٍ} (النور 40).

- وأيات تتحدث عن مراحل نمو الجنين في بطن أمه وتسمى كل مرحلة من هذه المراحل بأسماء مشتقة من الحالة التي تكون فيها تلك المراحل {وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ 12 لَمْ جَعَلْنَاهُ ظَفَّةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ 13 لَمْ خَلَقْنَا الْأُطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلْقَةَ مُضْعَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْعَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا لَمْ أَنْشَأْنَاهُ حَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} (المؤمنون 12).

إن هذا البيان التربوي لمراحل خلق الإنسان – كما في هذه الآية وغيرها – هو ما  
حدا واحد من أبرز علماء الأجيال في العالم واسمه Keith More إلى الاعتراف في  
**كتابه : THE DEVELOPING HUMAN**

بأن القرآن الكريم قد سبق جميع العلوم المكتشفة حول هذا الموضوع. وأن جميع  
من تكلم بعده فهو عالة عليه.

## صفحة فارغة

## السنة النبوية هي المصدر الثاني

السنة أصل مهم في تلقي العقيدة وفهمها لأنها:

شارحة للقرآن ومفصلة لمجمله ومقيدة لإطلاقه، ومفسرة لكثير من آياته. مثل ذلك قوله تعالى {لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزَيَادَةً} (يونس 26) فجاءت السنة وبيّنت أن المراد بالزيادة هنا: النظر إلى وجه الله في الجنة. ومثاله قوله تعالى {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} ولم يذكر عدد الصلوات ولا عدد ركعات كل صلاة ولا أركانها وواجباتها. وقال {وَأَتُوا الزَّكَاةَ} ولم يفصل مقدارها. وإنما فصلت السنة ذلك. بل فيها تحريم وتحليل ليسا في القرآن.

لذا أجمع المسلمون على أن السنة هي المصدر الثاني من مصادر الدين الإسلامي الحنيف.

وببيان ذلك ما يلي:

- أن النبي ﷺ قال <sup>(1)</sup>"تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما: كتاب الله وسنتي".
- أن الله عز وجل أمر بطاعة نبيه فقال {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ} ( النساء 80). وإذا كانت طاعة الله تعني اتباع ما أنزله من القرآن. فطاعة الرسول تكون في غير القرآن، وهو التزام سنته. قال تعالى {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْمُّبِينِ رَسُولًا مُّنْهَمْ يَنْهَا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} (الجمعة 2) والحكمة: هي السنة كما أجمع على ذلك سلف الأمة وأئمتها.
- أن الله قال {وَمَا أَنَّاكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الحشر 7). وقال ﷺ "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"<sup>(2)</sup>. فمن رفض السنة التي آتانا نبينا ﷺ فقد عصى الله بمقتضى هذه الآية ولم يأخذ ما آتاه الرسول.

وهذا نص الحديث "لا ألفين أحدكم متکناً على أريكته، يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدرى، ما وجدنا في كتاب الله اتبغناه! ألا وإنني أوتيت القرآن ومثله معه"<sup>(1)</sup> وفي رواية ألا إن رسول الله قد حرم مثل ما حرم الله. ويصدق ذلك قول الله تعالى {فَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} (التوبه 29) وكذلك إخباره عن النبي الأمي ﷺ بأنه {يُحَلُّ لَهُمُ الطَّيَّبَاتُ وَيَحْرَمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَّاثَ} (الأعراف 156). ففي الآيتين دليل على أن رسول الله يحرم كما حرم الله.

إذن ففي السنة تحريم وتحليل لا يوجد في الوحي الأول الذي هو القرآن. ولا بد من ثبوتهما بالسند الصحيح لأن الله تعالى حرم التحليل والتحريم بمجرد الظن.

- مثال التحريم: تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير وأكل لحوم الحمر الأهلية، وتحريم لبس الذهب والحرير على الرجال دون النساء.

<sup>(1)</sup> رواه مالك في الموطأ والحاكم 1: 93 بسند حسن .

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى وقال "حسن صحيح" انظر المشكاة 1: 57 .

<sup>(1)</sup> الحديث بهذه الرواية متفق عليه.

- ومثال الإباحة: إباحة ميّة السمك من دون أنواع الميّة الأخرى التي حكم بتحريمها فيها بقوله {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ} فجاءت السنة وخصّت الحكم وبينت أن حكم ميّة السمك مستثنى من الآية.

- أن الله تعالى قال {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أَسْوَأُهُوَ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب 21) وكيف يتأسى المسلم به إن هو رفض سنته وتخلّى عنها؟

- أن السنة تقيد مطلق القرآن. فلقد قال تعالى {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْفَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى} ثم جاءت السنة وقيّدت هذا الحكم بما إذا كان القاتل مسلماً والمقتول كافراً. فإنه "لا يُقتل المسلم بالكافر" كما قال رسول الله ﷺ .

## تاريخ تدوين السنة النبوية

يخطئ من يظن أن الله تكفل بحفظ القسم الأول من وحيه (القرآن) من دون الجزء الآخر من وحيه (السنة). وبسبب هذا الخطأ انحرف من أسموا أنفسهم القرآنيين حين نفوا حجية السنة ودعوا إلى الاقتصار على القرآن.

ويخطئ من يظن أن قوله تعالى {إِنَّا هُنَّ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} متعلق بالقرآن دون السنة. فإن السنة من جملة الذكر الذي أنزله الله وكلاهما داخل في الوعيد بالحفظ.

ومن يستعرض سعة حافظة الحفاظ واستعالم طيلة حياتهم بحفظ الحديث والعناية به سندًا ومتناً تبين له أن الله حافظ - مع قرائه - سنة نبيه ﷺ.

ولم يكن النبي ﷺ يأذن في أول الأمر بكتابه وتدوين أقواله وذلك خشية أن يختلط كلامه بالقرآن. ولذلك رروا عنه أنه قال "لا تكتبوا عني غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه، وحدثوا عني ولا حرج، ومن كتب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"<sup>(1)</sup>.

وهذا النهي عن الكتابة إنما كان في أول الأمر، فلما وعت قلوب الصحابة القرآن وحفظته الصدور أذن النبي ﷺ بكتابه حديثه. قال أبو هريرة "ما من أصحاب النبي ﷺ أكثر حديثاً عنه مني إلا ما كان من [عبد الله] بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب"<sup>(2)</sup>.

وكان النبي ﷺ يخطب على المنبر فاستأنه رجل اسمه أبو شاه أن يكتب حديثه فقال النبي ﷺ أكتبوا لأبي شاه<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (3004).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري (113) والترمذى (2670).

<sup>(3)</sup> البخاري (112) أبو داود (455).

## التثبت من روایة الحديث

كان الحديث في عصر الصحابة يُكتب ولا يشترط تبيين سنته. غير أنه لما انتشر الإسلام في البلاد ودخل الناس في دين الله أفواجاً حدثت بعض البدع الفكرية كفرق القدرية والجبرية والمتضوفة والفلسفية، ونشأت فرق متناقضة منها ما يدعو إلى الغلو في الأشخاص كالشيعة ومنها ما يدعو إلى الغلو في الزهد والتوكّل والتخلّي عن المال والأهل والولد.

وظهر الكذب في الحديث حتى صارت كل طائفة تختلف من الحديث ما يوافق آراءها وبدعتها. حينئذ اتّخذ الصحابة ومن بعدهم موقفاً حازماً من هذه الفوضى في الحديث. ونشأ ما يسمى بعلم التراجم والمعروف بعلم الجرح والتعديل وهو علم يدرس ويتابع أحوال رواة الحديث ومدى صدقهم وأمانتهم في روایة الحديث وأخلاقهم ومتابعتهم للسنة والزمن الذي عاشوا فيه ومكان وجودهم وحتى أسماء آبائهم وأبنائهم ومشايخهم وتلاميذهم.

وقسموا الحديث إلى صحيح وضعيف وموضوع بحسب أسانيدها وتتوفر شروط الصحة فيها. قال ابن سيرين: لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت تلك الفتنة قالوا: سموا لنا رجالكم، فيُنظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، ويُنظر إلى أهل البدع ولا يؤخذ حديثهم<sup>(1)</sup> وقال ابن المبارك: الإسناد من الدين، ولو لا الإسناد لقل من شاء ما شاء<sup>(2)</sup>. قال بعض أهل العلم "وعلم الإسناد مما خصّ الله به أمّة محمد ﷺ وجعله سلماً إلى الدراسة".

- فأهل الكتاب لا إسناد لهم يؤثرون به المنقولات.
- وكذلك المبتدعون من هذه الأمة أهل الضلالات.
- وإنما الإسناد لمن أعظم الله عليه الملة أهل الإسلام والسنة يفرقون به بين الصحيح والسفه وبين المعوج والقويم.
- وغيرهم من أهل البدع والكفار إنما عندهم منقولات يؤثرونها بغير إسناد وعليها من دينهم الاعتماد. وهم لا يعرفون فيها الحق من الباطل، ولا الحالي من العاطل<sup>(1)</sup>.
- ونستطيع أن نتصور مدى الدقة والحرص في تتبع نقاد الحديث للرواية وقصصهم أحوال الرواية وذلك بتأمل نموذج من ذلك. فقد فرقوا بين الكاذب والكذاب. فالكافر هو الذي عرف عنه الكذب لكن لم يثبت أنه كذب على رسول الله ﷺ ، فهذا حديثه منكر. أما الكذاب فهو الذي اشتهر بالكذب على رسول الله ﷺ فهذا حديثه مردود مرفوض وهو شر أنواع الحديث الموضوع.

وقد عني كثير من علماء الحديث بجمع الأحاديث الموضوعة في مصنفات خاصة مع بيان الحكم عليها بالوضع بغية تحذير الناس منها. وجاء هذا التحري وهذه الدقة عملاً

<sup>(1)</sup> مسلم 15/1 والمجموعين لابن حبان 27/1 والكافية 122 .

<sup>(2)</sup> مسلم 15/1 الجرح والتعديل 2م 16 وشرف أصحاب الحديث 41 .

<sup>(1)</sup> مجموع الفتاوى 9/1 .

بقول النبي ﷺ : كفى بالمرء إثماً أن يحدث بكل ما سمع<sup>(2)</sup> وقال الشافعي "مثل الذي يطلب الحديث بلا إسناد كمثل حاطب ليل يحمل حزمة حطب وفيه أفعى وهو لا يدري"<sup>(3)</sup>. وكان هو وغيره من الأئمة يقولون الحديث الصحيح مذهبنا غير أن الناس خرجوا عن مذهبهم حين صار قول الرجال هو المذهب وإن خالف الحديث الصحيح الثابت عن النبي ﷺ . ثم جاء بعدهم من جعل هذا الذي نهوا عنه واجباً.

قد حفظ الله بهذا الإسناد سنة النبي ﷺ فقيد لها نقاداً حفاظاً لم يعرف العالم لهم مثيلاً في سعة حفظهم حتى بلغ الحفظ ببعضهم إلى مليون حديث بأسانيدها ومتونها.  
- لقد وضعوا القواعد العلمية لقبول الحديث وهي أصح القواعد للإثبات التاريخي وأعلاها دقة: فجدير بالأمة بعد هذا أن تعود إلى النهج الأول فتثبت من الرواية عن النبي ﷺ ، ولا تحدث بما تسمعه إلا بعد التوثيق من صحته.  
فمن قال: (قال رسول الله) فعليه أن يتأنّك: هل قاله رسول الله حقاً؟

ومن أراد التبليغ فليحذر أن يكون التبليغ تبليغاً عن كذب على النبي ﷺ وليس تبليغاً عنه ﷺ . قال رسول الله ﷺ "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين<sup>(1)</sup> وقال: من كذب على متعمداً فليتبواً مقعده من النار".

لقد تساهل كثيرون في رواية الحديث، ورغب أكثر مصنفي الكتب الإسلامية عن بيان درجة الحديث. بل قد يروون الحديث الموضوع والمكتوب، ويكتفون بإحالته:  
- إما إلى مصادر أصيلة تحوي الصحيح والضعيف وبما الموضوع. وفي هذه الحال لا يكفي أن يقال (رواوه أحمد) أو (رواوه الترمذى) الخ. بل يجب أن يبين معه درجة الحديث والحكم على إسناده كأن يقول (رواوه أحمد بسند صحيح).  
وإما مصادر غير أصيلة: ككتب الفقه وغيرها التي تنقل عن الترمذى أو النسائي الخ.

وإن من أسباب التساهل في رواية الضعف ما ورد عن بعض أئمة الحديث رحهم الله أن الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال، غير أنهم مع ذلك اشترطوا في رواية الحديث:

- 1 - أن لا يكون شديداً الضعف.
- 2 - أن يندرج تحت أصل معمول به حتى لا يكون غريباً عن قواعد الإسلام.
- 3 - أن لا يعتقد الرواوى صحته.
- 4 - أن يكون في فضائل الأعمال كالوعظ والترغيب والترهيب لا في العقائد والأحكام.

5 - أن لا يقول: قال رسول الله وإنما يرويه بصيغة التمريض كقوله (روي). ومع ذلك فقد ذهب العديد من العلماء كيجيى بن معين وابن العربي والبخاري ومسلم أن الحديث الضعيف لا يروى أبداً. وأن التساهل في رواية الضعف في فضائل الأعمال معناه: الأعمال التي ثبتت مشروعيتها بما تقوم الحجة به أصلاً.

<sup>(2)</sup> رواه مسلم 10/1 في المقدمة وأبو داود (4992).

<sup>(3)</sup> فيض القدير 1/433.

<sup>(1)</sup> أي حكمه حكم الكاذب الأول الذي اخْتَاقَ الحديث لمجرد روايته عنه حديثاً يعلم عدم صحته.

6 - أن الله لم يقيد للسنة هؤلاء الحفاظ إلا لتكون الروايات الصحيحة بديلاً عن الضعيف والموضوع، ومن هنا لا تُقبل تبريرات البعض في رواية الحديث الضعيف فإن الله قد أغنانا بالحديث الصحيح عن الضعيف.

## الصحابة أعلم بمعاني الكتاب والسنة

ولقد بين النبي ﷺ لأصحابه لفظ القرآن ومعناه فكان ذلك ميزة لهم على من جاء بعدهم من الخلف، فهم أعلم الناس بكلام رسول الله ﷺ ومعانيه.

وإن فهم الصحابة لنصوص الوحي وعملهم بها حجة على من يدعى لنفسه فهماً خاصاً للنصوص يخالف المعنى الحق الذي فهموه. فإذا اختلف اثنان في فهم نص من آية أو حديث رجعنا إلى فهم السلف لهذا النص. وهذا يقطع الطريق على أصحاب الأفهام الرديئة الذين يفسرون النصوص بغير علم وبمقتضى الهوى.

وقد جاء في كلام أحدهم – وهو عبد الله بن مسعود "من كان منكم متأسياً فليتأس ب أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم أبر هذه الأمة قلوباً، وأعظمها علماء، وأقلهم تكلاً وأقومهم هدياً، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم فإنهم كانوا على الصراط المستقيم".

## المحافظة على صفاء المصدر واجتناب البدع

على المسلم أن يكون غيره على دينه غيره تفوق الغرة على أي شيء آخر. فيحافظ على صفاء المصدر الذي يتلقى منه دينه وعقيدته وأن يصونه من الزيادة والإضافة والبدع، فإنه ما من شيء أضرَّ على الدين من اثنين: **بدعة وشرك**. وما من شيء يقرِّب العبد من ربه إلا وقد شرعه الله وأمر به. فالبدع لا تقرب العبد إلى ربه بل تزيده عن ربه بعداً.

لأن الله قد أكمل دينه، وأتم نعمته، وفصل لنا كل سبل العبادة التي تقربنا إليه كما قال {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِيَنَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيَتُ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِيَنًا} (المائدة 3). وقال الرسول ﷺ "ما تركت شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا شيئاً مما نهاكم عنه إلا وقد نهيتكم عنه"<sup>(1)</sup>. وإذا كان الأمر كذلك وجب الاقتصار على ما شرعه الله لنا من غير زيادة وصار الاتباع واجباً والابداع محرّم.

ومن المتفق عليه أن عبادة النبي أفضل العبادات ولم يشرع لنا ﷺ هذه الزوائد والبدع المنتشرة اليوم بين الناس. ألا يكفينا ما اكتفى به رسول الله أم أننا نطلب عبادة الله بما يزيد عما فعله رسوله ﷺ وأصحابه؟ وهل نحن أكثر عبادة الله منهم؟

إنه لا شك في أن الواحد منا سيموت قبل أن يتم عبادة الله حسبما شرعه له، فلماذا يلجا إلى البدع؟ هل أتم كل العبادات المنشورة ثم جلس يطلب ما زاد على المشروع؟ أيعقل أن يكون قد أتم كل الواجبات والمندوبات والمسنونات على وجه الكمال حتى يطلب المبتدع من العبادة؟

\* ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "اتبعوا ولا تبتعدوا فقد كفيتكم"<sup>(2)</sup> أي قد شرع الله لكم ما يكفيكم، وقال حذيفة رضي الله عنه "كل عبادة لم يتبعها رسول الله ﷺ فلا تعبدوها".

إن قليل عبادة موافقة لشرع الله خير من كثير عبادة مبتدعة، بل إن هذا الكثير المبتدع لا يقبل الله منه شيئاً كما قال رسول الله ﷺ "من أحدث من أمرنا هذا<sup>(1)</sup> ما ليس منه فهو رد"<sup>(2)</sup> وفي رواية "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد"<sup>(3)</sup> أي مردود على صاحبه، بل يعاقب عليه.

<sup>(1)</sup> أخرجه الشافعي في سننه 14/1 والرسالة 87 والأم 289 والخطيب البغدادي في الفقيه 1/93 وهو صحيح بمجموع طرقه.

<sup>(2)</sup> رواه الطبراني والدارمي 1: 69 بسنده جيد واللакائي في اعتقاد أهل السنة 90:1 وأحد 139:1.

<sup>(1)</sup> أي في ديننا.

<sup>(2)</sup> متفق عليه.

<sup>(3)</sup> أخرجه مسلم.

## آخر الوصايا النبوية

لقد ودع النبي ﷺ أصحابه بموعدة بلغة أبكتهم وأشعرتهم بقرب ارتحاله عنهم إلى الدار الآخرة. قال العباس بن سارية "وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِدَةً دَمَعَتْ مِنْهَا الْأَعْيُنِ، وَوَجَلَتْ مِنْهَا الْفَلُوْبُ، فَقُلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَأْنَهُ مَوْعِدٌ مَوْدُعٌ فِيمَا تَعْهَدَ إِلَيْنَا؟" فقال: قد تركتم على البيضاء ليها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك. ومن يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهدبين، عضواً عليها بالنواجز وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة<sup>(4)</sup> و"كل بدعة ضلاله"<sup>(4)</sup>.

### قسمة ضيري

قوله "كل بدعة ضلاله" دليل على الذم المطلق للبدعة في الدين. ولذا لا ينبغي تحسين شيء من البدع أو تقسيم البدعة إلى حسنة وسيئة، إذ لو كانت تقبل القسمة لقسمها رسول الله ﷺ غير أنه لم يرد ذكر البدعة على لسانه إلا على مورد الذم. قال الحافظ ابن حجر رحمه الله "البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محموداً أو مذموماً"<sup>(5)</sup> وأن المعنى الشرعي للبدعة يختص بما هو مذموم فقط<sup>(6)</sup>.

<sup>(4)</sup> رواه الترمذى اللالكائى 22:1 والحاكم 1/96 وأحمد 4/126 وصححه الألبانى فى سلسلة الأحاديث الصحيحة 937.

<sup>(5)</sup> فتح البارى 13/252.

<sup>(6)</sup> فتح البارى 13/278.

وقد فهم السلف الصالح من حديث (كل بدعة ضلاله) ذم البدعة مطلقاً، ولذلك قال ابن عمر "كل بدعة ضلاله وإن رأها الناس حسنة"<sup>(1)</sup>. وقال ابن الماجشون "سمعت مالكا يقول "من ابتدع في الإسلام بدعة ويراها حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة، لأن الله يقول {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيتك لكم الإسلام ديناً} فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً، ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"<sup>(2)</sup>.

- صحيح أن البدعة تنقسم من حيث اللغة إلى نوعين بدعة حسنة، وبدعة سيئة. غير أن هذا التقسيم لا يجوز من حيث الشرع<sup>(3)</sup>:
- ألا ترى أن الصلاة في اللغة معناها الدعاء، وأما معناها في الشرع فالصلة عبارة عن أقوال وأفعال مخصوصة تبدأ بالتكبير وتحتتم بالتسليم.
- والإيمان في اللغة معناه مجرد التصديق. غير أن معناهما في الشرع يختلف تماماً فإن الإيمان في الشرع معناه التصديق والقول والعمل. وأما معناه اللغوي فهو التصديق فقط. ومن هنا سقط المرجئة وضلوا بذلك حين حملوا المعنى اللغوي على الشرعي.
- والمبتدعون والمخترون في أمور الدنيا كثيرون، منهم من تكون بدعته حسنة كاختراع السيارات والطائرات والعلوم الطبية والهندسية، ومنهم من تكون بدعته شرراً كاختراع القنابل واستحداث وسائل الرذيلة. فمن زاد في شرع الله شيئاً فقد نسب نفسه مشرعاً مع الله. قال تعالى {ألم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله} (الشورى 21).
- فالزيادة في الدين قبيحة لأنها تعديل واستدراك على الله ورسوله ﷺ . ونقض صريح لقوله تعالى {أكملت} و{أتممت}.
- والله تعالى لا يبعد بالأهواء والعادات وإنما يبعد بما شرع. ولا يقبل الله تعالى التقرب إليه بالبدع وإنما يقبل التقرب إليه بما شرعه هو لا بما مال إليه هو.
- ثم إن إحداث بدعة يؤدي إلى إهمال سنة. قال حسان<sup>(1)</sup> بن عطيه "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليه إلى يوم القيمة".
- ومبدأ البدعة مرفوض سواء كانت بدعة صغيرة أم كبيرة. فإن الشيطان يزين للناس صغار البدع ويروّضهم عليها، حتى إذا وجدت عندهم قبولاً، وصار مبدأ البدعة مقبولاً ومستساغاً استدرجهم بخطواته إلى بدعة أكبر منها. قال تعالى {يا أيها الذين آمنوا لا تَنْبِغُوا حُطُوا الشَّيْطَانَ} (النور 21). فليس قبول البدعة أو رفضها بحسب حجمها وإنما لأن مبدأ البدعة مرفوض أصلاً.

### موقف السلف من الابتداع في الدين

روى الدارمي بسند جيد عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أنه رأى في المسجد شيئاً ينكره فذهب إلى ابن مسعود وقال له "لقد رأي في المسجد قوماً حلقاً جلوساً

<sup>(1)</sup> رواه الالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة 126 .

<sup>(2)</sup> الاعتصام للشاطبي 1: 49 .

<sup>(3)</sup> وهو تقسيم موهم، يستغله المبتدعة لتشريع إضافاتهم في دين الله .

<sup>(1)</sup> رواه الدارمي 1: 45: بإسناد صحيح .

ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل وفي أيديهم حصاً فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول هللو مائة، فيهلون مائة. ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال ابن مسعود: لماذا قلت لهم؟

قال أبو موسى: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك.

قال: أفلأ أمرتهم أن يعدوا سيناتهم وضمنت لم أن لا يضيع من حسناتهم شيء؟

ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليها:

فقال: ما هذا الذي أراك تصنعون؟

قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصاً نعدّ به التكبير والتهليل والتسبيح.

قال: فعُدُّوا سيناتكم، فإننا ضامن ألا يضيع من حسناتكم شيء. ویحکمْ يا أمّة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وأنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم على ملة أهدى من ملة محمد أو مفتاحوا باب ضلاله.

قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم من مرید للخير لن يصيبه. إن رسول الله ﷺ حدثنا: أن قوماً يقرؤون

القرآن لا يجاز تراقيهم. وایم الله لعل أكثرهم منكم.

ثم تولى عنهم، فقال عمرو بن سلمة: رأينا عاملاً أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج<sup>(1)</sup>.

### وفي هذا الأثر من الفوائد

- 1 ) أن الذي شرع الغاية وهي هنا الذكر لم ينس الوسيلة وهي سنة عقد التسبيح باليمين كما علمنا نبينا ﷺ .
- 2 ) أن الدبرة تذهب سنة وتقود إلى تركها. كما قال حسان بن عطيه "ما ابتدع قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لا يعيدها إليهم إلى يوم القيمة"<sup>(2)</sup> .
- 3 ) أن الشيطان يرопض الناس على صغار البدع فإذا استجابوا له انتقل لهم إلى كبارها مثلاً فعل بهؤلاء حين انتقل بهم من بدع التسبيح الحصى إلى بدعة الخروج على صحابة رسول الله ﷺ واستباحة دمائهم.

<sup>(1)</sup> رواه الدارمي بسنده صحيح 68/1 .

<sup>(2)</sup> رواه الدارمي 45:1 بإسناد صحيح .

## عاقبة انتشار البدع

ولما تساهل الناس في هذا الأمر انتشرت الفوضى والعبث في الدين وبدأت مظاهر البدع تبدو في أذان الصلوات وفي صلوات الناس وسائر عباداتهم ولم تعد تعرف لها حداً توقف عنده، وتبدل كثير مما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه. وهذا شيء لا يرضاه الله ولا يرضاه الرسول ﷺ.

وإن ما أصابنا اليوم من التخلف وتسلط أعداء الله على هذه الأمة إنما هو من عند أنفسنا وبما كسبت أيديينا، وما لم نبادر إلى الكف عن الزيادة في الدين والتعصب المقيت ونبادر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فسيبقى حال هذه الأمة ماضٍ إلى الأسوأ. وليس أفسد على دين المرء من بدعة وشرك. فإنهم ما منتهي ما يسعى الشيطان لتحقيقه.

ولقد بين الإمام أحمد أصول اتباع السنة بقوله<sup>(1)</sup> "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع. وكل بدعة فهي ضلاله. وترك الراء والجدل والخصومات في الدين".

- وهذا يبقى الاتباع مقاييس المحبة ودلائلها. فإنه لا يمكن الجمع بين محبة سنة النبي ﷺ وبين الزيادة على سنته بل وعلى كتاب ربه سبحانه وتعالى. والمحبة دعوى تحتاج إلى دليل على صدقها. وليس أدلّ على صدق المحبة من الاتباع. قال تعالى {قُلْ إِنَّ كُلَّمَا تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَيْنَاهُنَّى يُحِبِّنَاهُنَّى اللَّهُ وَيَعْفُرُ لَكُمْ دُّنْوَبَكُمْ} [آل عمران 31].

---

<sup>(1)</sup> طبقات الحنابلة 1/ 241.

## الأركان التي يقوم عليها الدين

أما الأسس التي ترتكز عليها العقيدة الإسلامية فهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، كما قال تعالى: {لَئِنْ أَنْتَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَجُوهرُكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكُنَّ الْبَرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالْبَيِّنَاتِ} [البقرة 177]. وكما في حديث جبريل الطويل المتضمن لأسئلة عديدة عن أركان الدين ومراتب الإيمان. سأله جبريل النبي ﷺ ما يلي:

\* أخبرني عن الإسلام: قال "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة وتصوم رمضان وتحجج البيت إن استطعت إليه سبيلاً".

\* أخبرني عن الإيمان: قال "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتومن بالقدر خيره وشره".

\* أخبرني عن الإحسان: قال ﷺ "الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك"<sup>(1)</sup>.

## مفهوم الإسلام ومقتضاه

والإسلام: صفة تعني الاستسلام والانقياد لله بالطاعة، والامتثال لأمره ونهيه، فكل من أسلم لأمر الله ونهيه استحق أن يوصف بهذه الصفة (الإسلام). أما من أعرض عن دين الله ولم يأخذ من الدين إلا اسمه فهذا لم يسلم وإن ادعى ذلك.

### قصة إبراهيم وإسماعيل: رمز الخضوع والاستسلام

وفي قصة إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما الصلاة والسلام أعظم المثل في الخضوع والاستسلام لأمر الله مما قصه الله علينا من خبره في قرآن الكريم إذ قال لولده {يَا بُنْيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُدْبِحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ} ومنام الأنبياء وهي. فلم يبد إسماعيل التسخط وعدم الرضى، وإنما ظهر بمنتهي الخضوع والاستسلام لأمر الله فبادر إلى القول {يَا أَبَتِ افْعُلْ مَا نُؤْمِنُ سَتَجْدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} 102 فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَّهَ للجَبَّينَ} الأب على وشك أن يذبح ولده، والابن قد قدم رقبته للذبح طاعة لرب العالمين. وليس هناك وصفاً أجود لهذه الحال التي عليها الأب وابنه من قول الله تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَ وَتَّهَ لِلْجَبَّينَ} وهذا استسلام تام لأمر الله، وفجأة إذا بالنداء من الله {وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لِهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَقَدَّيْنَاهُ بذبح عظيم} (الصافات 101 - 106).

فالإسلام ليس مجرد لقب، وإنما هو صفة تعني الخضوع والامتثال لأوامر الله. ولهذا يغفل الناس عن تدبر معنى قول الله تعالى {فَلَمَّا أَسْلَمَ} وليس معناه أنهم (لما أعلنوا إسلامهما). وإنما لما استسلماً استسلاماً صادقاً لله حيث الأب لا يبالي أن يفقد فلذة كبده والولد لا يبالي أن يفقد حياته: كل ذلك في سبيل تنفيذ ما أمر الله. فهل يتصف المسلمين

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (8) في كتاب الإيمان .

اليوم بمثل هذه الجدية في دينهم. وهل عندهم حقيقة هذا الإسلام الذي تحلى به إبراهيم وولده؟!

ولما صار دين الناس الرسمي الإسلام، مختوم على بطاقاتهم ولا أثر له في سلوكهم وواقع حياتهم: سلط الله عليهم حكاماً يعلنون أن "دين الدولة الرسمي الإسلام" في حين لا يطبقون منه شيئاً. يخدعون به من كانوا بدورهم يخادعون الله والذين آمنوا، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون. ولقد صدق القائل "كما تكونوا يولى عليكم".

**الشهادة لله بالوحدانية**

الشهادة بالوحدانية لله تعالى أول شرط في دخول الإسلام وكفى بها عالمة على صحة هذا الدين وبطلان ما سواه من الأديان فإنه ما من دين يشترط عليك هذا الشرط ولا يعترف ببعضويناك فيه إن لم تستوف هذا الشرط.

إن شهادة (لا إله إلا الله) هي مفتاح الجنة وسر النجاة من النار، ومن يأت يوم القيمة من دون هذا المفتاح فلا نجاة له من النار ولا دخول له إلى الجنة حتى وإن آمن بمحمد وقرأ القرآن وصلى وصام وأمن بكل شيء.

وقد تم تفصيل موضوع وحدانية الله بما يغني عن إعادته هنا.

## معنى الشهادة لمحمد بالرسالة

كل المسلمين يشهدون أن محمداً رسول الله، ولكن:

كم هم الذين يفهمون هذه الشهادة حق فهمها؟

كم هم الذين يحرصون على الاستنان بسننته، والتثبت مما روي عنه، واجتناب

المرويات الضعيفة والموضوعة المكذوبة؟

كم هم الذين يقتدون بما صح من سيرته، و يجعلونها منهاجاً يسرون عليه في حياتهم؟

إن هذا المنهج ثقيل وشاق على كثيرين ممن يشهدون أن محمداً رسول الله وهم يخالفون طريقة من شهدوا له بالرسالة.

فما هو حق هذه الشهادة، وما هي شروطها: حتى لا تكون الشهادة مجرد دعوى:

### مقتضيات الإيمان بالنبي محمد ﷺ

أن إيماننا بمحمد ﷺ يتطلب منا:

1 - أن نؤمن بإيماناً جازماً بأنه مرسل من عند الله.

2 - أن لا نفرق بينه وبين الأنبياء جميعهم.

3 - أن نعتقد أنه لم يفارق الدنيا إلا وقد بلغ ما أمره الله بتبليله، شهد هو على ذلك وأشهد صاحبته عليه كما في خطبة الوداع فقال "ألا هل بلغت" قالوا نشهد. قال "اللهم فاشهد".

4 - أنه لا يجوز أن نعتقد أنه فوق الطبيعة البشرية، أو انه مخلوق نوراني أو أنه خلق قبل آدم وقبل خلق السماوات والأرض أو أن الله خلق السماوات والأرض والجنة والنار من أجله. وإنما هو بشر من ولد آدم، اصطفاه الله بالنبوة والكتاب كما قال {ومَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} (آل عمران 144).

5 - أن نعتقد أنه لا يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله إياه مما لا يعود غيباً لا عليه ولا علينا بعد أن أبلغنا إياه. وأن الله أمره أن يقول {قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْرَتْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَنَّ السُّوءَ} (الأعراف 188).

وكان ﷺ يقول "لا تطروني كما أطربت النصارى المسيح بن مرريم، ولكن قولوا عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلنيها الله". وحين أنسدوا يمدحونه قائلاً: (وفينا نبي يعلم ما في غد). حذرهم قائلاً "قولوا ببعض قولكم ولا يستجرنكم الشيطان" حذرهم من أن يستجرهم الشيطان إلى الغلو".

6 - وأنه ولا يملك الضر والنفع إلا ما شاء الله كالمعجزات.

7 - أن نطيعه في كل ما أمر وننتهي عن كل ما نهى عنه. فإن طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله. قال تعالى {مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} (النساء 80) وقال {وَمَا آتَكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا} (الحشر 7) وقال {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحْبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحِبِّكُمُ اللَّهُ وَيَعْفُرُ لَكُمْ ذُنُوبُكُمْ} (آل عمران 31).

<sup>(1)</sup> رواه البخاري 3445

8 - أن نحبه حبًا يفوق حبنا للمال والنفس والولد. فقد قال لنا "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"<sup>(2)</sup>.

**ومن مقتضيات الإيمان بنبينا:**

- 1 - طاعته فيما أمر.
- 2 - تصديقه فيما أخبر.
- 3 - الانتهاء عما نهى عنه وجزر.
- 4 - لا يعبد الله إلا بما شرع.

**ومن علامات المحبة الصادقة:**

- أن نحرص على اتباع سنته  $\text{P}$  ونقييد بها تقيداً تاماً فنفعل كل ما أمرنا به ونكتتب كل ما نهانا عنه. ولا نزيد عليها شيئاً من عند أنفسنا. فمن أضاف شيئاً إلى سنته كانت محبته غير صادقة.

- كثرة الصلاة عليه وعند ذكره. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} (الأحزاب 56).

- أن يكون هوانا تبعاً لما جاء به النبي  $\text{P}$ .

- أن نجعله قدوتنا في كل شأن من شأننا. قال تعالى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ} (الأحزاب 21).

---

<sup>(2)</sup> رواه البخاري رقم (15).

## العالم قبل نبوة محمد ﷺ

لقد كانت الأرض في الفترة التي سبقت بعثة النبي الخاتم ﷺ تعاني من الظلم والجاهلية الكبرى، من سفك للدماء وقطع للأرحام وشرك بالخالق وتشييد للأصنام وأكل للميته وقتل للبنات.

**لقد كان الناس<sup>(١)</sup>:**

- بين وثنية جائرة تبني الصنم بيدها ثم تعبده. تعبد ما تبنيه يدها.
- ومسيحية حائرة جعلت الله ولداً وروحاً: ثلاثة في واحد واتخذ الناس فيها الرهبان أرباباً من دون الله. فهو مخلوق وخالق وبشر وإله في وقت واحد!.
- المسيح الذي جاء ليدل الناس على عبادة الله فصار عند طائفة منهم هو الله نزل إلى الأرض وأكل وشرب ونام و Herb من ملاحقة أعدائه ثم قبضوا عليه وقتلوه. وهو مع ذلك كله إله !!

- ويهودية ماكرة تعيث في الأرض فساداً وتشعل نار الفتنة بين الأمم. ترى أنها هي أمة البشر والأمم بهائم سخر لهم الله لها. قد نقضت عهود الله ومواثيقه وحرّفت كتابه وقتلت أنبياءه وهي مع ذلك تتبرج على الأمم بكثرة ظهور النبوة فيها وامتلاكها كتاباً محرفاً مبدلاً تحلل فيه الحرام وتحرم الحال بحسب أهواء الأحبار.
- ومجوسية مشركة تدين بوجود إلهين: إله للخير وإله للشر، وتعبد النار.

- وصبية يعبدون الكواكب والنجوم ويعتقدون تأثيرها يخافون غضبها ويرجون نفعها.

- ودهرية ينكرون الوهية الله، ويكفرون بالبعث واليوم الآخر.

وهكذا وصلت الأرض إلى مرحلة انطمس فيه نور النبوة واستبدلت فيها تعاليم الأنبياء ووحفهم بفعل أئمة الضلال وجنود الشيطان إلى تعاليم من وحي الشيطان. وتترنّغ الناس في بحر الوثنية والجهل:

حتى تلاؤ نور الهدى من جديد حين أرسل الله خاتم الأنبياء ﷺ وأنزل عليه خاتم الكتب، فأنقذهم الله به من الضلاله وعلمهم به من الجهل وظهر لهم به من الرجس والحرام {لَقَدْ مَنَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتَلَوُ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيْهِمْ وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} (آل عمران 164).

\* أنقذهم من الوثنية وعبادة الأصنام {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ} {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَبَادًا أَمْ تَالُوكُمْ قَادْعُوْهُمْ فَلَيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف 194) وعاد بهم إلى ملة إبراهيم وعقيدة التوحيد الصافي.

\* أنقذ الطفولة من جريمة القتل بعد أن كانت تُدفن وهي حية {وَإِذَا الْمَوْرُودَةُ سُلِّتْ ، يَأْيُّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} (التكوير 9) {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأَنْتَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًا وَهُوَ كَظِيمٌ، يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمَ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (النحل 58).

<sup>(١)</sup> من كتاب عقيدة التوحيد لمحمد خليل هراس .

\* وبعد أن كان المجتمع عنصرياً يزن الناس بميزان العرق والجنس والنسب طهر الإسلام المجتمع من ذلك النتن {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَئْنَاقُكُمْ}.

\* حرر الناس من عبودية غير الله، حررهم من عبادة الهوى والجاه والتقاليد الموروثة، حررهم من خرافات الكهان وكشف أكاذيبهم وحذر الناس من التردد عليهم. فإنهم مجبلة للمصائب مفسدة للدين.

\* جعل العبيد إخواناً لسادتهم حين قال<sup>(1)</sup> "إِخْوَانَكُمْ خَولَكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ كَانَ أَخْوَهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلَيَطْعَمْهُ مَا يَأْكُلُ، وَلَيَلْبِسْهُ مَا يَلْبِسُ وَلَا يَكْلُفُهُ مَا يَغْلِبُهُ، فَإِنْ كَلَفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيُعِنْهُ".

---

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود (5158) بسنده صحيح.

## ميزة نبوته ﷺ على الأنبياء

وقد أوضح النبي ﷺ ما تميزت به نبوته على إخوانه من الأنبياء من قبل فقال "فضلت على الأنبياء بست<sup>(1)</sup>":

- (1) أعطيت جوامع الكلم<sup>(2)</sup>.
- (2) ونصرت بالرعب (مسيرة شهر).
- (3) وأحلت لي الغنائم (ولم تحل لأحد من قبل)<sup>(3)</sup>.
- (4) وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (فأيما رجل من أمتي أدركه الصلاة فليصل<sup>(4)</sup>) (حيث كان) (وجعلت ثربتها لنا طهوراً إذا لم نجد الماء).
- (5) وأرسلت إلى الخلق كافة (وكان النبي يبعث في قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة (إلى كل أحمر وأسود).
- (6) وأعطيت الشفاعة<sup>(4)</sup>.
- (7) وحُتم بي النبيون<sup>(5)</sup>.
- (8) وما مننبي من الأنبياء إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كن الذي أوتيته وحيَا أوحاه الله إلى<sup>(6)</sup> فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيمة<sup>(7)</sup>.

<sup>(1)</sup> وفي رواية أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبله. وتضمنت بمجموعها ما يزيد على الثمانية.

<sup>(2)</sup> وهو الكلام القليل ذو المعانى الكثيرة.

<sup>(3)</sup> وكانت من قبل تجعل قرباناً ويبعث الله ناراً فتأكلها.

<sup>(4)</sup> وهي الشفاعة الكبرى يوم الموقف وأما غيره من الشفاعات فهي للأنبياء جميعاً وغيرهم من الصالحين.

<sup>(5)</sup> فرسالته باقية إلى يوم القيمة.

<sup>(6)</sup> أي كانت معجزات الأنبياء في غير الوحي، فكانت معجزة موسى في العصا وانفلاق البحر ومعجزة صالح الناقة ومعجزة المسيح في ولادته: ولم يكن شيء من الكتب المنزلة معجزاً إلا القرآن حيث تحدى الله البشر أن يأتوا بشيء من مثله كما قال {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَبِّ مَمَّا تَرَنَّا عَلَى عَيْنَيْ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ} وقوله {فَلَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِيَعْضُظُ ظَهِيرًا}.

<sup>(7)</sup> البخاري (438) ومسلم (521) وقد جمعت بعض الزيادات المفيدة التي تميزت بها كل رواية عن الأخرى.

## إقام الصلاة

قد علمنا أن شهادة أن (لا إله إلا الله) هي الركن الأول من أركان الإسلام والتي تعني إفراد الله بالعبادة وحده دون سواه ظاهراً وباطناً – غير أن هذه الشهادة هي إقرار لفظي من الشاهد تقصه الشهادة التطبيقية العملية.

ثم تأتي الصلاة 0 الركن الثاني – لتكون التطبيق العملي والاختبار لمدى صدقه في الشهادة.

فمن شهد أنه لا معبد إلا الله، وهو لم يعبده كانت شهادته شهادة عليه يوم القيمة.  
بل تكون شهادته حينئذ شهادة زور.

فمن ضيع الصلاة فهو لما سواها أضيع. قال <sup>(١)</sup> "أن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة".

\* الصلاة من أبرز معالم الوحدة بين المسلمين، تجعل الغني والفقير والشريف والوضيع في صف واحد، وليس في المسجد أماكن مخصصة لطبقة من الناس دون الأخرى، بل إنك تجد الغني والفقير والشريف والوضيع: كلهم يقفون موقف الفقر والتذلل والخشوع بين يدي الغني سبحانه.

\* الصلاة عبادة مخصوصة ذات شروط وأركان نعرف تفاصيلها من السنة. مفتاحها طهارة البدن والثوب والبراءة من الحديث. وروحها الخشوع والطمأنينة والشعور بمناجاة الله تعالى. وأي مناجاة تحل للمناجي مثل مناجاة العبد لربه!

\* الصلاة توجه الجسد إلى القبلة مع توجه القلب إلى الله. وليس مجرد طأطأة الرأس ولا الركوع ولا السجود فحسب وإنما هي تحرك القلب واستشعار بالطمأنينة والراحة والخشوع. فليس المعتبر أن تصلي وإنما المعتبر أن يقبلها الله منك. والله طيب لا يقبل إلا طيباً ولا يصعد إليه إلا الطيب. فلا تقل (صليت) ولكن اسأل (هل تقبلها الله منك؟)

---

<sup>(١)</sup> رواه مسلم في الإيمان بباب بيان إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.

\* ويستفاد من قول النبي ﷺ "صلوا كما رأيتوني أصلح" ضرورة الاقتداء به في خشوعه أيضاً وليس فقط في قيامه وركوعه وسجوده. قال تعالى {فَدُلِّلَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِسُونَ} (المؤمنون ١) فخشوعهم في صلاتهم دليل فلاحهم وأنهم على خير كبير. وقال تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} (العنكبوت ٤٥).

وقد كان ﷺ كثير الخشوع كثير البكاء، إذا صلى سمع له أزيز كأزيز المرجل<sup>(١)</sup> من البكاء.

\* وبتكرار أداء الصلاة خمس مرات في اليوم والليلة تصون القلب عن الانصراف عن الله، وتحافظ على حسن الصلة بالله.

فقد يقع العبد في معصية وينوي مغودة الكرّة، فيحين وقت الصلاة فإذا سمع النداء بالصلاة فلا يسعه قبل وقوفه بين يدي ربه ومناجاته إلا أن يكن على توبة واستغفار من الذنب الذي ارتكبه. فيسارع حينئذ إلى الإقلال عن الذنب والندم والتوبة. ويعزم قبل الدخول في الصلاة على عدم العودة إلى الذنب. ولو لا الصلاة لبقي على إصراره على الذنب مما يزيده بعدها وإعراضه عن الله عز وجل. ولعل هذا معنى قوله تعالى {وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} .

---

<sup>(١)</sup> وهو القدر الذي يُطبخ فيه الطعام إذا أوقدت عليه النار يسمع له صوت .

## إيتاء الزكاة

الزكاة عبادة مالية تجب في كل صنف من أصناف المال بشرطين:

- 1 - إذا بلغت النصاب أي الحد الذي تجب فيه الزكاة.
- 2 - إذا مضى على هذا الحد سنة كاملة من غير أن ينقص خلالها.

وفي الزكاة تزكية للنفس من أمراض البخل والشح. وفيها سد حاجة الناس من الفقر والعوز. قال تعالى {وَآتُوهُم مِّن مَّا لَهُ الْأَذْيَى آتَاكُمْ} (النور 33) وقال الرسول ﷺ "ما نقص مال من صدقة، ولا ظلم عبد مظلمة – فصبر عليها – إلا زاده الله بها عزة، ولا فتح عبد بباب مسألة إلا فتح الله عليه بباب فقر".

\* وبهذه التعاليم السامية تزول العداوة بين الغني والفقير، لأن الغني يؤدي ما افترض الله عليه من زكاة ماله لأخيه الفقير. ويؤدي زيادة على ذلك: ما تجود به نفسه إلى إخوانه، يتقرب بذلك إلى الله لأنه يعلم أن ما ينفقه في الدنيا سوف يجده يوم القيمة عند الله أضعافاً مضاعفة.

\* والصدقة كما في الحديث "تدفع ميته السوء وتطفي غضب رب وتطفي الخطيبة كما يطفى الماء النار" وتحجب عن أصحابها لفحات جهنم. فما أحوج البشر التي تدور فيهم الحرب بين الفقراء والأغنياء إلى مثل هذه التعاليم الإلهية.

\* ولا ينال العبد بر وثواب ما تصدق به إلا أن ينفقه عن طيب نفس منه كما قال تعالى {لَن تَنْلَاوُ الْبَرَ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} (آل عمران 92) وَنَلَّ الْبَرَ أَغْلَى وَأَثْمَنَ مِنَ الْمَالِ الَّذِي تَصْدِقُ بِهِ . وذلك أن المال من أبهى زينة الحياة وتتعلق به القلوب وينتج عن التعلق به الحرص والحسد والقطيعة وسفك الدماء: ومن هنا حرص الإسلام على تطهير القلوب وصيانتها من هذه الأمراض، وتحرير الناس من عبودية المال. قال تعالى {خُذْ مِنْ أُمُّ الْهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا} (التوبة 103).

---

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (2588).

## صوم رمضان

وهو الامتناع عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى مغيب الشمس. ويتأكد فيه أيضاً وجوب الصيام عن الغيبة والنميمة<sup>(1)</sup> وعن أنواع اللغو من الكلام. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتَيْنَاكُمْ كِتَابًا عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} إلى قوله {فَمَن شَهَدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَإِيَّصُمْهُ} (البقرة 185). وقال ﷺ "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس الله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه".

\* في هذا الشهر يعمل المسلمون على التخفيف من كثرة العمل ويُكترون من العبادة، ففي النهار يصومون، وفي الليل يجتمعون على صلوات التراويح يقيمون الليل فيركعون يسجدون ويتلون كتاب ربهم، إنه شهر التربية والتقرب إلى الله والتوبة إليه مما كان ارتكب قبله من الذنوب، والعزم على تصحيح المسار وضبط جماح الشهوات.

\* والصيام واجب على الغني والفقير، فلا يستطيع الغني أن يدفع عن نفسه الصيام بماله ولا بأملاكه، وإنما الحال في ذلك واحدة بين الجميع.

\* وفي الصيام مناسبة يذكر فيها الغني ما يشعر به إخوانه الفقراء والمحتجون عادة من شدة الجوع. فيتعرف آلام الجوع فيتذكر نعم الله عليه ويعرف فيمتهما ويُجرب صعوبة الجوع الذي يعيشه إخوانه الفقراء مما يدفعه إلى الصدقة والعطاء.

\* ويصبح تسمية شهر رمضان "شهر الصدقة" لأن المسلمين يتصدقون في هذا الشهر ما لا يتصدقون في غيره عادة، حتى إن الشريعة حثت المسلم على تفطير إخوانه من المسلمين ولو على تمرة أو شربة ماء.

ثم إن المسلم يodus شهر الصيام بزكاة تسمى "زكاة الفطر" تؤدي قبيل صلاة عيد الفطر كحد زمني أقصى إلى المعوزين لإشعارهم ببهجة العيد وإغاثتهم جميعاً ولو في هذا اليوم كما قال النبي ﷺ "أغنوهم عن السؤال في هذا اليوم".

<sup>(1)</sup> الغيبة أن تذكر أخاك بما يكره وإن كان فيه ما تقوله. والنميمة نقل الكلام بين الناس بما يؤدي إلى إيقاع الفتنة بينهم.

<sup>(2)</sup> رواه البخاري 1903.

## حج البيت الحرام للمستطيع

وهو التعبد لله تعالى بقصد المسجد الحرام لقيام بشعائر الحج ولو مرة واحدة في العمر مقيداً بالاستطاعة.

والحج عبادة مالية من إنفاق وذبح.

\* عبادة بدنية من ذكر وطوابق وسعي وتلبية ووقف بعرفة ومشقة في السفر.

\* والحج مناسبة لالتقاء المسلمين من أقطار شتى واجتماعهم عند المسجد الحرام الذي كانوا يتوجهون إليه في صلواتهم، ويتعرف كل منهم على أحوال إخوانه من المسلمين. لا فضل لعرق ولا لون ولا جاه، الكل فقراء إلى الله، جاءوا يطلبون ثوابه ومغفرته ورضوانه.

\* الغني يطوف ويسعى، حاله في ذلك كالفقير. يقاسي من أنواع التعب والنصب ما يقاسي مثله الفقير. كلهم يلبسون لباساً واحداً. إزاراً ورداءً أشبه ما يكون بكفن الميت. ينامون معاً تحت خيمة واحدة يفترشون الأرض. وفي هذا أيضاً ترويض للغني على خشونة العيش، فإن النعمة لا تدوم.

\* فالغني إذا حج لا ينفعه ماله في مثل هذه الظروف، إذ لا مهرب من أداء الشعائر تحت الشمس وفي الخيم، وكما أنه لا يغنيه ماله من الحر والتعب في الحج، فكذلك لا يغنيه يوم القيمة من باب أولى إلا أن يتقي الله فيه ويصرفه في حقه. وينذر إزاره ورداؤه بكفن الميت الذي سيلبس مثله عند موته، سينذره بأنه لن يأخذ معه إلى قبره إلا كفنه الشبيه بلباس الحج.

\* إن الله يريد منه أن لا يستعلي على إخوانه بمال ولا جاه، فإن ذلك متاع زائل، وإنما قيمة العبد عند ربه في طهارة قلبه وصلاح دينه، لا بثقل جبيه. بعمله لا بماله. قال تعالى {يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَيْوْنَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقُلُوبٍ سَلِيمٍ} (الشعراء 88) وقال {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَقْلَمُكُمْ} (الحجرات 13).

## الإيمان

التعريف اللغوي للإيمان: هو التصديق.  
وأما في المعنى الشرعي فمعناه التصديق المشتمل على ثلاثة أمور لا انفصال  
لأحدها عن الآخر، وهي:

- 1 - التصديق القلبي. ومعناه الاعتقاد بالقلب.
- 2 - القول: وهو النطق بالشهادتين.
- 3 - العمل الموافق لهذا الاعتقاد.

فلا يمكن الاعتقاد بالشهادتين مع عدم العمل بمقتضاهما. ولا يمكن العمل أو النطق بهما مع عدم الاعتقاد بهما.

ومتأمل في القرآن يلاحظ اقتران العمل بالإيمان دائمًا. قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}. ومن هنا نعلم أن العمل داخل في مسمى الإيمان، متعلق به أبداً، إذ أن التصديق القلبي واللسانى إذا بقيا بلا عمل، صار الإيمان أساساً بلا بناء. وغضناً بلا ثمر.

قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَمْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْلَمُونَ ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} (الصف 2). وسئل النبي ﷺ "أي الأعمال خير؟ فقال إيمان بالله ورسوله"<sup>(1)</sup>.

\* فجعل الإيمان من خير العمل الصالح والمحك الذي يظهر به المؤمن الصادق من المدعى الكاذب! قال تعالى {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} (العنكبوت 2).

---

<sup>(1)</sup> البخاري (26) ومسلم (83).

## الإيمان قول وعمل يزيد وينقص

والسبب في ضرورة هذا الترابط: أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله وينقص بمعصية الله كما قال الله تعالى {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادُوهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ ثَقَوْا هُمْ} (محمد 17). وقال النبي ﷺ "الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدنىها إماتة الأذى عن الطريق والحياة شعبة من الإيمان"<sup>(1)</sup>. فكلما زاد العمل زاد معه الإيمان، وكلما نقص العمل نقص معه الإيمان.

وإن من شأن هذا الاعتقاد أن يشجع المؤمن على الازدياد من العمل الصالح لتحصل له الزيادة في إيمانه، ويحمله على اجتناب ما قد يكون سبباً في نقصانه.

أما القول بعدم زيادة الإيمان أو نقصانه بحسب العمل فإنه قول مخالف للدين والعقل والواقع، وهو قول خطير يؤدي إلى الإحباط وعدم الحرص على العمل الصالح. فما الداعي إذن إلى المسابقة في عمل الخير ما دام الإيمان هو لا يزيد شيئاً! وما الداعي إلى التخلص من المعاصي وهي لا تؤثر في الإيمان شيئاً ولا تزيد!

ثم إن إيمان الأنبياء أعظم من إيمان من سواهم. وإيمان أبي بكر وعمر أكبر من إيمان من دونهم. وهو دليل على الزيادة عند قوم والنقصان عند آخرين. فلا يقال إن إيماني مثل إيمان أبي بكر أو مثل إيمان جبريل.

---

<sup>(1)</sup> مسلم رقم (35).

## نور الإيمان وظلمة الكفر

الإيمان نعمة لا يعرف قيمتها ولا يجد حلاوتها إلا المؤمن. ولذلك لا يرضي المؤمنون عن هذه النعمة بديلاً، ولا يهناً لهم عيش من دونها. فالإيمان سر سعادتهم في الدنيا.

وليس هو متعةً يشتري بالمال. وإنما فضل يتفضل الله به على من يشاء من عباده. يؤتى به من آمن به وبما أنزل على رسالته وبما تضمنته كتبه. وهو أعلم بمن يستحقه. إنه يعطي المال لمن يحب ولمن لا يحب. ولكن لا يعطي الإيمان إلا لمن يحب. لذا قد تجد الكابة تغمر بعض أهل المال والسلطان، في حين تغمر السعادة المؤمن ولو كان أفقراً أهل الدنيا.

وهذا الإيمان – مع علو شأنه وعظم الحاجة إليه – سهل المنال، فيتناول الباحثين عن السعادة، غير أن التكالب على الدنيا والانشغال بها عن الآخرة أعمى الكثرين عنه، يجعلهم يلهثون وراء حطام الدنيا الفانية ويزهدون في طلبه. قال رسول الله ﷺ "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً" <sup>(1)</sup>.

وأثنى الله على المؤمنين بالغيب فقال:

{الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَنَا هُمْ يُنْفِقُونَ ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًىٰ مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (الفرقة 3). وقال:

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرَ اللَّهُ وَجَلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلَيَّتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، الَّذِينَ يُقْيِمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقَنَا هُمْ يُنْفِقُونَ ، أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرَزْقٌ كَرِيمٌ} (الأنفال 1).

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (34).

## أركان الإيمان

(الركن الأول)

### الإيمان بالله

الإيمان بالله من حيث الجملة قاسم مشترك بين البشر، كلهم يدعون ذلك، اللهم إلا الجاحدين الذين تجدهم سنتهم بما تستيقنه قلوبهم ظلماً واستكباراً.

غير أن إيمانهم يختلف من ملة إلى أخرى، فإن من الناس من لا يؤمن إلا كان إيمانه ممزوجاً بـكفر وشرك وبـدعاً كما قال تعالى {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ} (يوسف 106).

ومن هنا احتاج إلى وجود ضوابط تنظم هذا الإيمان، وتحل منه إيماناً صحيحاً بريئاً من الأفكار الملوثة التي علقت في أذهان العديد من الناس، حيث خالط إيمانهم بالله مفاهيم باطلة جعلته باطلة لا ينفع أصحابها.

ومنشأ هذه الاعتقادات الضالة هو التصور الفاسد في الله وصفاته:

فمنهم من يدعى تجسد الله في أحد خلقه.

ومنهم من ينسب إليه الولد كالنصارى واليهود.

ومنهم من يدعى من دون الله من يظنه وسطاء بينه وبين ربه. يظن أن الله لا يستجيب الدعاء إلا عن طريقهم، وكأنهم أرأف وأرحم بالعبد منه سبحانه.

ولهذا أنزل الله سورة صغيرة في آياتها، عظيمة في معانيها، تصحح هذا الفساد في التصور وهي سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُوْلَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ كُفُواً أَحَدٌ} فهذه الآية أثبتت وحدانية الله، وغناه وسُؤدده، وتزهه عن التواد والتکاثر، وعن مشابهته لأحد من خلقه.

## (الركن الثاني) الإيمان بالملائكة

**الملائكة الكرام مخلوقات نورانية شريفة مطهرة، خلقهم الله تعالى لحكمة عظيمة ورتب لهم أعمالاً:**

فمنهم المسبح الذي لا يسكت عن التسبيح.  
ومنهم الساجد الذي لا يكل عن سجوده.  
ومنهم المكلف بتبليغ وحي الله وكلامه.  
ومنهم المكلف بنفح الروح في المخلوقات؟  
ومنهم المكلف بالنفح في الصور يوم القيمة.  
ومنهم المكلف بالقطر.

قال تعالى {الْحَمْدُ لِلّٰهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةَ رُسُلًا اُولَى أَجْلَحَةٍ مَّتَّنَى وَلَلَّاثَ وَرَبِيعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللّٰهَ عَلٰى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (فاطر 1)  
وهي من عجائب قدرة الله العظيمة، ويظهر ذلك في سرعتها الفائقة وقدرتها على التشكيل بالأشكال المختلفة.

### صفاتهم

وقد ورد وصفهم في بعض الآيات القرآنية. فمن ذلك:  
قال تعالى {لَا يَعْصُونَ اللّٰهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ} (التحريم 6) وقال {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لَا يَقْتُرُونَ} (الأنبياء 20). وفي الحديث "خلقت الملائكة من نو وخلق الجن من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم" <sup>(1)</sup>.

### كثرتهم

جاء في كثرتهم حديث <sup>(2)</sup>"أطّت السماء وحق لها أن تؤط. ما فيها موضع أربعة أصابع إلا وفيه ملك ساجد أو قائم". وكذلك حديث الملائكة الذين يزورون البيت المعمور وهو البيت الذي قيل إنه فوق الكعبة في السماء السابعة ولو سقط على الأرض لسقط على الكعبة، وحرمته في السماء كحرمة البيت الحرام على الأرض. ويفد على البيت المعمور كل يوم سبعون ألف ملك كل يوم، ثم لا يعودون إليه<sup>(1)</sup>.

### مهامهم

وهم يلazمون الإنسان في حياته كلها. يلهمونه الخير وبحثونه عليه. قال ﷺ "ما منكم من أحد إلا وقد وُكِلَ إِلَيْهِ قرينه من الجن وقرينه من الملائكة"<sup>(2)</sup>. يشجعونه في حربه ضد الكافرين. بل ويشاركونه في ذلك كم حدث في معركة بدر. يصلون عليه ما دام في صلاته، يحضرون مجالس الذكر والصلوة ويقولون آمين عند دعاء العبد ربه. فإذا وافق تأميه تأميه الملائكة غفر له". ويداومون على سؤال الله له بالمغفرة. وإذا دعا المؤمن لأخيه في ظهر الغيب قالـت الملائكة له: آمين ولـك بمثل (ما دعوت لأخيك). ويحفظونه من أذى الشيطان. ويبيتونه عند موته ويسـرونـه بـكرـامةـ اللهـ لهـ وانتـظـارـ الجـنةـ لهـ. ويـقـبـضـونـ رـوـحـهـ بـلـطـفـ. ويـخـفـضـونـ أـجـنـحـتـهـ لـطـالـبـ الـعـلـمـ تقـديرـاـ منـهـ لـلـعـلـمـ وأـهـلـهـ.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (2996).

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى (2313) وهو صحيح.

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

**الحكمة من خلقهم:**

وقد خلقهم ربنا عز وجل لحكمة بالغة وجعل لكل منهم مهاماً وأعمالاً يقومون بها. فمنهم:

\* جبريل: الأمين على وحي الله الذي به حياة القلوب والأرواح. يرسله الله إلى من شاء من أنبيائه ورسله.

\* إسرافيل: وهو موكل بالنفخ في الصور يوم القيمة وحين يبعث الموتى. قال تعالى {وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ}. وقال النبي ﷺ "كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له" (رواية الترمذى 2433 وله شواهد تقويه).

\* ميكائيل: وهو موكل بالقطر أي المطر الذي به حياة النبات والأرض.

\* ملك الموت الموكل بقبض أرواح الخلق. قال تعالى {قُلْ يَوْمَ الْمَوْتِ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (السجدة 11).

\* منكر ونكير: وهما المكان الموكلا بفتحة القبر يسألان العبد في قبره: من ربك ومن نبيك وما دينك وما كتابك. فإن ثبته الله بشراه بالجنة وإن أضلته عن الإجابة نال منها النkal والعداب الشديد.

\* حملة العرش: قال تعالى {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} (غافر 7) وقال {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَّةً} (الحاقة 17).

\* الموكلون بحفظ العباد. قال تعالى {لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مَّنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ} (الرعد 12) وهؤلاء يجعلهم الله حفظة للعبد المؤمن من كيد الشياطين وأذاهم. إلا مما شاءه الله. قال كعب "لولا أن الله تعالى وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لخطفتكم الجن".

ويدخل في هذا أيضاً الملائكة الذين يأمرهم الله تعالى بالنزول إلى المؤمنين لتنبيتهم في جهادهم ضد الكافرين. قال تعالى {إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيِّ مَعْكُمْ فَتَبَثُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّاعِبَ} (الأنفال 12).

\* الموكلون بحفظ أعمال العباد من خير أو شر: قال تعالى {وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ، كِرَاماً كَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ} (الانفطار 11) وقال {مَا يَفْلُطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لِدِيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ} (ق 18).

\* الملائكة الذين يتبعون مجالس الذكر: قال رسول الله ﷺ وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسوه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغضبتهم الرحمة، وحفتم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده<sup>(1)</sup>. وقال رسول الله ﷺ "إن الله ملائكة

يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله نتادوا: هلموا إلى حاجتكم. فَيَحُقُّونَهُمْ بِأَجْنَحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا" <sup>(2)</sup>.

---

مذي (2433) قوله شواهد تقويه .



الملك الموكل بكتابه مقادير العباد وهم أحجنة في البطون: قال رَبُّ "إِنْ أَحْدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقَهُ فِي بَطْنِ أَمَهٍ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ فَيُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتَبِ رِزْقِهِ وَأَجْلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِّيْ أَوْ سَعِيدٌ" (١).

## قيمة المؤمن عند الملائكة

ومن تكريم الله للمؤمنين أنه جعل لهم عند أهل السماء ذكرأ. حتى إن الملائكة حملة عرشه يستغفرون لهم. قال تعالى {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَأَغْفَرْ لِلَّذِينَ ثَابُوا وَأَتَبَّعُوا سَبِيلَكَ وَقَهْمَ عَذَابَ الْجَحِيمِ ، رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتَ عَدْنَ الْتَّيْ وَعَدَّتُهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ أَبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، وَقَهْمُ السَّيَّئَاتِ وَمَنْ تَقْ السَّيَّئَاتِ يُوْمَنَدْ قَدْ رَحْمَتُهُ} (غافر 7).

وقال النبي ﷺ "إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه الذي يصلي فيه (تقول) اللهم صلّ علیه اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث"<sup>(2)</sup>. قيل: معناه ما لم يؤذ في المسجد مطلق الأذى. وليس معناه فقط فقدان الوضوء.

فما أعظم شأن المؤمن: ملائكة تنزل بالوحي لهديته، وملائكة تنزل لحفظه، وملائكة ينزلها لتأييده ضد أعدائه، وملائكة يداومون على الاستغفار له والسؤال له بالحنة

## التفاضل بين الملائكة والبشر

لقد وقع اختلاف في تفضيل الملائكة على آدم:

فقال بعضهم: البشر عامة أفضل من الملائكة.

وقال بعضهم: المؤمنون من البشر أفضل من الملائكة. فإن الله أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم. ولم يأمر أحداً من البشر أن يسجد للملائكة.

وقال آخرون: الملائكة أفضل من البشر. فإن للملائكة صعوداً ونزولاً إلى السموات العلى. وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترُون.

وقال آخرون: الملائكة أفضل من البشر عامة إلا الأنبياء.

والقول الفصل في هذه المسألة ما ذكره ابن تيمية: أن المؤمنين من البشر:

\* أفضل باعتبار كمال النهاية، وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة وحياتهم الله وأعطاهم كل ما تشتهي نفوسهم، وخدمتهم الملائكة.

\* وأما باعتبار كمال البداية فإن الملائكة أفضل من بني آدم، إذ هم الآن في الرفيق الأعلى مزدهرون بما يلبسهم بنو آدم، مستغرقون في عبادة الله تعالى. ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر. إذ لا يخلو أن يقع البشر في المعاصي مهما اجتهدوا في العبادة.

قال ابن القيم: وبهذا التفصيل يتبيّن سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقيين. ويصالح كل منهم الآخر على حقه.

## آثار الإيمان بالملائكة

\* أن الإيمان بهم وبحفظهم للعبد من أذى الشيطان يضع حدًا للاضطرابات والمخاوف الدائمة الملازمة لكثير من الناس والتي هي جزء من وسوسات الشيطان فيهم لكي يوحي إليهم بعد ذلك أن طاعتهم له تجنيهم من عقدة الخوف منه. إنها حقيقةً لجاهلية كبيرة أن يظن الإنسان أن الله سلط عليه الشياطين من غير أن يجعل له سلاحًا يقيه منهم. لقد جهل كثيرون أن الله سخر لهذا العبد الضعيف: ملائكة تخافها الشياطين وتهرب من طريقها.

\* أن الإيمان بهم يعتبر إيماناً بالغيب. وقد أثبت الله على المؤمنين بالغيب قائلًا {أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلُحُونَ} (آل عمران 3).

\* أن المؤمن يعلم ما يجب عليه من الاعتقاد في حقهم. فإن بعض الجهال يرسمون الملائكة على شكل أطفال عراة ظاهري العورة يسرحون ويطيرون. وكان مشركون العرب قبلهم يعتقدون أن الملائكة بناة الله. واليهود يكرهون جبريل من الملائكة ويعتبرونه عدواً لهم.

\* أن المؤمن بالملائكة يجتنب كل ما من شأنه أذىهم. فإنهم يتأندون مما يتأنى منه بنو آدم.

\* أن العبد يعلم ملازمة الملائكة له فيستحب لهم منهم بعد الله. فلا يعصي الله وهو بينهم. ويحرص على أن لا يعمل عملاً سيئاً يجعلهم يفارقونه. فإن الملائكة إذا فارقت المكان ابتدرته الشياطين وجاست خلال الديار.

\* أن العابد إذا علم طول رکوعهم وسجودهم وتسبيحهم بالليل والنهار من غير أن يفتروا أو يملوا: يتقال عبادته ويزدرى بها مقارنة بعبادتهم.

### ( الركن الثالث )

#### الإيمان بالكتب

ونؤمن بما جاءت به الرسل من الكتب وبأنها كلها منزلة من عند الله على رسليه. قال تعالى {وَمَن يَكُفِرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكِتَبِهِ وَرَسُولِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} (النساء 136). وقد علمنا ربنا تفاصيل الإيمان بالكتب فقال {قُلْ أَمَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَاللَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَتَحْنَ لِهِ الْمُسْلِمُونَ} (البقرة 136).

ونعلم من هذه الكتب:

\* التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام {إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَوَتْرُ} (المائدة 44).

\* الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام {وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَأَنَّيْنَا لِلْإِنْجِيلِ} (الحديد 27).

\* الزبور الذي نزل على داود {وَأَنَّيْنَا دَأْوُدَ زَبُورًا}.

\* صحف إبراهيم وموسى. {إِنَّ هَذَا لِفِي الصُّحُفِ الْأُولَى، صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}.

القرآن خاتم الكتب، أنزله الله على محمد خاتم الرسل مصدقاً لما بين يديه من الكتب السابقة، ومصححاً لما تضمنته من تحريف، ومبيناً لما تخللها من حذف. فقال {وَأَنَّا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدَّقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ} (المائدة 48). فنسخ الله به الكتب السابقة. وتکفل بحفظه من التحريف والubit الذي وقع بتوراة اليهود وإنجيل النصارى حيث قال {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْذِكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} (الحجر 9) وقد مضى على هذا الوعد مئات السنين ولم يستطع أحد تحريفه أوubit به. وسيبقى محفوظاً وحجة باقية على الخلق إلى يوم القيمة.

## نسخ القرآن للتوراة والإنجيل

والقرآن ناسخ لما في التوراة والإنجيل. وذلك لأن التوراة الحالية تتضمن نصوصاً يظهر تحريفها: فمنها ما يطعن في الله، ومنها ما يطعن في رسleه ومنها ما يدعو إلى احتقار الأمم وإذلالها وتسخيرها لشعب الله المختار. ومنها ما يتضمن نصوصاً غرامية وجنسية يخجل العفيف من قراءتها.

### حالة الكتب السابقة اليوم

**أولاً:** أما الطعن في الله فقد نسبوا إليه التعجب (تكوين 1:2) والخوف (تكوين 5:35) والحزن (تكوين 6:6 ارميا 45:3) والبكاء (أشعياء 9:16) وأن يعقوب صارع ربه فطرحه أرضاً (تكوين 33:22) وزعموا أن الله أغوى بني إسرائيل بالسرقة والاحتيال (خروج 21:3 و11:1 و12:35) وأنه أمر النبي حزقيال أن يأكل الغائط ممزوجاً بالكعك ثم يطعمه للناس (حزقيال 9:4). فكيف يكون من عند الله ونجهه مليئاً بتوجيهه اللوم والتوبیخ إلى الله كما في هذه النصوص:

"يا رب لماذا تقف بعيداً؟ لماذا تخفي في أزمنة الضيق" (مزامير 10:1).

"حتى متى يا رب تخبي كل الاختباء؟" (مزايير 46:98).

"والله لا ينتبه إلى الظلم" (أيوب 1:24).

"بادت ثقتي ورجائي من الرب" (مراثي ارميا 3:1).

(( )) أفيجوز أن يتضمن كتاب الله سبَّ الله ! (( ))

**ثانياً:** وأما الطعن في أنبيائه ف جاء فيه: أن لوطاً فعل الفاحشة في ابنيه وأنجينا منه أولاداً (تكوين 19:30) وأن هرون - أخا موسى - صنع العجل لبني إسرائيل ليعبدوه مع الله (الخروج 30:32) وأن داود اغتصب زوجة جاره (صموئيل 1:11) وكان يرفض أمام الناس (صموئيل 2:6) وأن سليمان ارتد إلى عبادة الأوثان لانشغل قلبه عن ربه النساء (ملوك 1:11) وأن يهودا زنا بزوجة ولده (تكوين 38:15) وأن أيوب كفر بالله وسبه واتهمه بالظلم لأنه ابتلاه بالأمراض الكثيرة (أيوب 9:16 و12:24) وأن نوحًا شرب الخمر وتعرى في الشارع (تكوين 9:20).

### ثالثاً: وأما النصوص الجنسية المخجلة فمنها:

- صرة المر حبيبي لي بين ثديي بيبيت. حبيبي بين البنين تحت ظله اشتهدت أن أجلس .. أدخلني إلى بيت الخمر .. شماله تحت رأسى ويمينه تعانقني" (نشيد 1:13).

- في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي فما وجدته (نشيد 1:3).

- ها أنت جميلة يا حبيبي.. شفتاك كسلكة من القرمز خدك كفلقة رمانة تحت نقابك.. ثدياك كخشفي طبیة توأمین يرعيان بين السوسن (نشيد الإنشاراد 1:4).

- وافرح بأمرأة شبابك الطيبة المحبوبة والوعلة الزهية. ليروك ثدياتها في كل وقت (أمثال 6:16).

- لنا أخت صغيرة ليس لها ثديان: فماذا نفعل لأختنا يوم خطب؟.. أنا سورٌ وثدياي كبرجيـن (نشيد 8:8).

- حاكموا أمكم لأنها ليست امرأة وأنا لست رجلها لكي تعزل زناها عن وجهها وفسقها من بين ثدييها لئلا أجردها عارية. ولا أرحم أولادها لأنهم أولاد زنى... والآن أكشف عورتها أمام عيون محبها (هوشع 2:2).

- رابعاً:** وأما النصوص العنصرية فإليك نماذج منها:
- إياك (يا شعب إسرائيل) قد اختار الرب إلهك لتكون له شعراً خاصاً من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض (تثنية 6:7) إذ صرت عزيزاً في عيني مكرماً وأنا قد أحببتك: أعطي أناساً عوضك، وشعوباً عوض نفسك (أشعيا 4:43).
  - ها إنني أرفع إلى الأمم يدي وإلى الشعوب أقيم رايتي. ففيأتون بأولادك في الأحسان، وبناتك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنك. وسيداتهم مرضعاتك. **بالوجه إلى الأرض يسجدون له. ويلحسون غبار رجليك.** (أشعيا 22:49).
  - ويقف الأجانب ويرعون غنمكم ويكون بنو الغريب حراثيكم وكراميكم. أما أنتم فتدعون كهنة الرب. **تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتأملون** (أشعيا 5:61).

**خامساً:** يدعوا الكتاب المقدس إلى الخراب والدمار وقتل النساء والأطفال والعجائز. وإليك هذه النصوص:

حين تقرب من مدينة لكي تحاربها: استدعها إلى الصلح. فإن أجبتكم إلى الصلح وفتحت لكم: **فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخير ويسعد لك.** وإن عملت معكم حرباً فحاصرها. واضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء الأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتعنمتها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك (تثنية 10:20). واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا: **الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك .. نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى .. للرب سيف قد امتلا دما** (حزقيال 5:9).

**سادساً:** أن الكتاب المقدس لا يتحدث عن يوم القيمة وعن الجزاء والعقاب فيه إلا في العهد الجديد فقط. علمًا بأن العهد الجديد لا يساوي عشر حجم العهد القديم.

**سابعاً:** أنه مليء بالتناقضات والأخطاء مثال ذلك:

- شجرة نسب المسيح تتضمن (28) اسمًا لأبائه حسب إنجيل (متى 18:1).
- أما عند لوقا 23:3 فتتضمن (42) اسمًا وليس (28) وكل الأسماء مختلفة مما ورد في متى.
- ونجد في (متى 1:16) أن يوسف النجار الأب الروحي للمسيح هو ابن يعقوب. بينما نجد عند (لوقا 3:23) ابن هالي وليس ابن يعقوب.
- أن المسيح قال "إن كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق" (يوحنا 14:8). لكننا نجد التناقض عند يوحنا نفسه (31:5) "عن كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقاً".
- وبينما جميع طوائف النصارى متقة على أن الله أوحى إلى موسى كتاب التثنية في حياته: نجد فيه النص التالي "فمات هناك موسى عبد الرب في أرض مؤاب ودفنه الرب هناك. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات" (تثنية 5:34).

## اعتراف الكتاب المقدس بالتحريف

ويتضح من هذا تدخل العنصر البشري في هذه الكتب باعتراف كتابهم نفسه إذ جاء فيه "كيف تقولون إننا حكماء، وكلمة الرب معنا: حقاً لقد حرفاها قلم الكتبة الكاذب"<sup>(1)</sup>.

وهنا تبرز ضرورة نزول كتاب آخر بعد التوراة والإنجيل، مهيمن عليهما، يقرّ لهما بما بقي فيهما من حق، ويحذر مما دخل عليهما من الكذب والتحريف، ويصحح ما دخل من المعتقدات الضالة مع هذه الإضافة والتحريف.

### موقفنا من الكتب إذن

ومن هنا فلا يتناقض مع إيماننا بجميع الكتب: الإيمان بأن كتب اليهود والنصارى على ما هي عليه اليوم لا تمثل تلك التي نزلت على موسى وعيسى. فإن النصارى مختلفون فيما بينهم حولها أشد الاختلاف:

\* فنسخة الكاثوليك (دُوّي فيرجن) تحوي (73) سفراً.

\* أما نسخة الأورثوذوكس فتحوي (81) سفراً.

\* وأما البروتستانت فقد اعتمدوا نسخة الملك (جيمس) وحدفوا منها سبعة أسفار فصار مجموعأسفار نسختهم (66) وقد اتهموا الكاثوليك بأنهم أدخلوا على نسختهم أسفاراً سبعة مكذوبة. وظن الجميع أن هذه النسخة من أوthic النسخ. غير أنهم أخذوا يصدرون عنها نسخاً أخرى تتضمن تصحيحات زعموا أنها استدركت أخطاء شنيعة على نسخة الملك (جيمس) وهذه النسخة هي (رافاييل ستاندرد) وال (نيو إنترناشونال).

وتحت عنوان (التحقيق) تم حذف وإضافة وتحريف العديد من نصوص نسخة الملك جيمس. ومن جملة ما أسقطوه من الآيات (متى 21:17 ومرقس 44:5 و46 ولوقا 17:36 ويوحنا 4:5) واعترفوا بأنها أضيفت بعد القرن الخامس من المسيح.

\* وجاءت طائفة شهود يهوه فزادت من التشكيك في مصداقية نسخة الملك (جيمس) وصرحوا بأن فيها خمسون ألف خطأ.

<sup>(1)</sup> أرميا 8:8 .

وجاءت طائفة المورمونز وشككت هي الأخرى في نسخة الملك (جيمس) وجعلت كتابها (المورمونز) مهيمناً عليها. فكل ما جاء في نسخة الملك جيمس موافقاً لكتابهم أقرّوا به، وما خالفه اعتبروه مختلفاً مكذوباً. ومن يدري فقد تظهر غداً فرق جديدة تزعم أنها تصح لمن صحوا اليوم. وهكذا.

وهكذا كثرت اختلافاتهم حول كتبهم وهو أكبر دليل على بطلان دينهم، لأن الكتاب يبقى دائماً برهان الدين ودليله وعلامة على صحته أو بطلانه. فإن كان هذا الدليل صحيحاً سليماً من التحرير كان الدين صحيحاً، وإن كان الكتاب باطلًا كان الدين باطلًا. وهم مع ذلك يصررون على أن الكتاب الذي يحملونه كتاب الله. وبعضهم يعترف بالحقيقة ويقول بأن بعض نصوصه من كلام الله مع الاعتراف بوجود نصوص أخرى من صنع الإنسان وأخلاقه ومع ذلك يزعمون بأنه يمكننا التمييز بين الخير الذي فيه من الشر. ويكتفينا أن نأخذ الحق الذي فيه ونترك الباطل الذي فيه.

وهذا اعتراف بالتحريف ويدل على عدم النزاهة والتجرد في طلب الحق. إذ كيف يمكن تحديد الآيات المحرفة من الآيات التي لم يشملها التحريف؟

- وقد دلت التجربة على أن المتعصب يلعب دوره في الدفاع عن النصوص الباطلة ومحاولة تبريرها.

- ثم ما يدرينا أن تكون هناك صفحات بل كتبًا تم إسقاطها؟

- وما الداعي للتمسك بكتاب اعتبرنا باختلاط آيات الله فيه بكلام البشر؟ مع أن البديل (القرآن) موجود وقد كشف الله فيه التحرير الذي جرى للكتب السابقة.

- ولو أتنا قمنا لهذا المتعصب طبقاً من الطعام الذي غير أنه يحوي نقطة واحدة من السم: فهل يخاطر ويأكل منه ويقول أنا أبحث عن المكان الذي لم يصبه السم وأكل منه؟ أم أن حرصه على سلامته جسده يجعله يتخذ أشد الاحتياطات ويرفض تناول شيء منه حفاظاً على سلامته بدنه؟ ولماذا إذن لا يتتخذ الاحتياطات لسلامة دينه الذي فيه خلاصه ونجاته من النار يوم القيمة؟! وهذا فالكتاب المحرف هو سم قاتل لا يقتل نفس الإنسان ولكن يقضي على دينه.

## فائدة الإيمان بالكتب

- 1- الإيمان بكل ما أخبر الله به وليس ببعضه. أما تكذيب ما خالف القرآن فليس كفراً بل هو تنبيه إلى مواطن التحريف التي عبّثت بها أيدي المحرفين لكلام الله.
- 2- العلم بحكمة الله في شرعيه حيث شرع لكل قوم ما يناسب أحوالهم كما قال تعالى {إِلَّا جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهاجًا} (المائدة 48) غير أن أصل معتقدهم واحد متشابه لا اختلاف بينهم فيه ولا تناقض.
- 3- أن الإيمان بما لم نر من الكتب: إيمان بالغيب. والله أثني على الذين يؤمنون بالغيب ووصفهم بأنهم مهتدون ومفلحون.

## (الركن الرابع)

## الإيمان بالرسل (عليهم السلام)

ونؤمن بالرسل الكرام الذين اختارهم الله لرسالته.  
 - وأن الله بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده. مبشرين بالجنة  
 لمن أطاع الله، ومنذرين بالنار لمن عصاه.  
 - وأنه لم تخل أمة من رسول كما قال الله تعالى {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَ فِيهَا نَذِيرٌ} (فاطر 24).

## وما يجب اعتقاده فيهم:

\* أنهم صادقون مصدوقون. منزهون عن الفواحش والآثام التي يتصرف بها من دونهم من البشر.

\* أنهم بلغوا ما أوحى إليهم على أكمل وجه. غير أنهم يختلفون من حيث الاستجابة والقبول لدعوتهم.

فمنهم من يأتي يوم القيمة ومعه الملائكة من آمنوا به.  
 ومنهم من يأتي وليس معه إلا الرجل والرجلان.

ومنهم من يأتي وليس معه أحد. وهذا لا يضره لأن المهم عند تبليغ ما أمره الله به سواء كان لتبليغه ثمرة ونتيجة أم لم يحصل شيء من ذلك.

\* أنهم دعوا إلى عقيدة واحدة وإلى دين واحد، قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ} (الأنبياء 25) وقال {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران 19).

\* أنهم أخوة في الدين الواحد وإنما حصل التفرق في الدين وتعددت الملل بعدهم وهم بريئون من تبعه ذلك.

\* مع أننا لا نفرق بين أحد منهم، من حيث الإيمان بهم كما قال تعالى {قُلْ أَمَّا  
 بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا  
 أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مَنْ رَبَّهُمْ لَا تَفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَتَحْنُنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} (آل  
 عمران 84).

فإننا نؤمن بأن الله فضل بعضهم على بعض من حيث ما آتاهم من المعجزات مثل فلق البحر لموسى وتکليم الله له، مع أن هذا لم يحدث لغيره من الأنبياء الذين فضلهم الله بميزات أخرى لم تحصل لموسى. قال تعالى {إِنَّكَ الرَّسُولَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ} (البقرة 253). فإن الفضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

\* أن من كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع. فمن آمن بمحمد وكفر بيعسى لم ينفعه إيمانه بمحمد.

\* وقد حكم ربنا بکفر من يقولون نؤمن ببعض رسل الله ونكفر بالبعض الآخر فقال {إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ

بَعْضٌ وَنَكَفِرُ بَعْضٌ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ، أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْنَدُنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا .

ثم أنتى على الذين آمنوا بالرسل جميعاً فقال {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَمْ يُفْرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتَيْهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} (النساء 149).

### طبيعتهم البشرية

ومما يجب اعتقاده في الأنبياء أيضاً:

\* أنهم بشر ليست لهم صفات الربوبية، {فَلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} (الكهف 110). ويجري عليهم ما يجري على البشر من عوارض الموت والمرض. قال تعالى {وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْسُوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ} (الفرقان 20) وقال {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَدُرْبَيْهِ} (الرعد 38). وكان إبراهيم عليه السلام يقول عن ربه {الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِيْنِي ، وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَسْقِيْنِي} (الشعراء 78).

\* أنهم لا يعلمون الغيب إلا ما أوحى الله إليهم. وإذا أوحى إليهم لا يعود غيباً بالنسبة إليهم ولا بالنسبة إلينا إذا تبلغناه عنهم.

وقد أمر الله رسوله أن يقول {وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَا سَتَكْرَتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} (الأعراف 188).

\* أنهم لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً. قال تعالى {فَلْ لَا أَمْلَكُ لِنَفْسِي ضَرًا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} (الأعراف 188). وأمر ربنا نبيه أن يقول {فَلْ إِنِّي لَا أَمْلَكُ لَكُمْ ضَرًا وَلَا رَشْدًا} (الجن 21).

أنهم بريئون مما يفعله الناس بعدهم مما هو مخالف لتعاليمهم مثلاً فعلت النصارى في عيسى حيث باغروا في مدحه وإطرائه حتى اعتقدوا فيه مشاركة الله في الربوبية وجعلوه ابنًا له. وقد نهاهم الله عن هذا الغلو فقال {يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَعْلُوْ فِي دِينِكُمْ} (النساء 171) ولهاذا خاف نبينا ﷺ على أمته أن تحذو حذوها فقال<sup>(1)</sup> "لَا تطروني<sup>(2)</sup> كما أطربت النصارى عيسى بن مريم، إنما أنا عبد فقولوا: عبد الله ورسوله، إني لا أريد أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلنها الله تبارك وتعالى، أنا محمد عبد الله ورسوله".

ولذلك كان أحب الأوصاف النبي إليه ﷺ حين نسبه ربه إلى عبوديته قائلاً {وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} ومن هنا كان أحب وصف إلى الأنبياء الله: أنهم "عبد الله" وأعظم مقام عندهم كما أفادته الآيات {وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤُودَ} (ص: 17) {وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ} (ص: 41).

<sup>(1)</sup> البخاري 3445.

<sup>(2)</sup> أي لا تبالغوا في مدحه إلى ما يجاوز الحد.

### الإيمان بخاتم الأنبياء

وإيماننا بالأنبياء إيمان إجمالي بمعنى أننا نؤمن بنبوتهم وبما أنزل عليهم من حيث الجملة، إذ لم يبق مما جاءت به الرسل إلا الشيء القليل مما خالطته إملاءات البشر وما عبّثت به أيديهم.

أما إيماننا بـ محمد ﷺ فإنه إيمان مقررون بشرط العمل بما جاء به تفصيلاً.  
فإن الشريعة التي نزلت عليه ناسخة خاتمة مشتملة لتعاليم الأنبياء السابقة قبل وقوع هذا التحرير والubit. قال تعالى {مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّنَ} (الأحزاب 40).

(نواقض الإسلام)

### الشرك ومظاهره

**الشرك:** أن يجعل المرء الله شريكاً فيما هو من خالص حقه سبحانه وتعلى من صنم أو شجر أو قبور وأضرحة ونحوه أو دعاء الأنبياء أو الأولياء. وهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يقبل الله معه عملاً صالحًا.

**والشرك:** أعظم ذنب يرتكبه العبد، أعظم من الزنا والقمار وغيره من الذنوب. وهو محبط للعمل، موجب للخلود في النار. لا يقبل الله معه مغفرة بحال إلا بعد التوبة منه. والعودة عنه إلى التوحيد. قال تعالى:

{إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} (النساء 116).  
وقال {إِنَّهُ مَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالَمِينَ مِنْ أَنصَارٍ} (المائدة 72).

وقال مخاطباً نبيه ﷺ {وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لِئَنْ أَشْرَكْتَ لَيْحَبْطَنَ عَمَلَكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الزمر 65).

### أقسام الشرك

وينقسم الشرك إلى: شرك أكبر وشرك أصغر.  
ومثال الشرك الأكبر: اتخاذ الشفاعة عند الله ينادون الأموات ويتضرعون إليهم في قضاء حوائجهم، ويسمون ذلك توسلاً بهم إلى الله. كما قال تعالى {أَمْ اتَّخَدُوا مِنْ دُونَ اللَّهِ شَفَاعَاءَ قُلْ أُولَئِكُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقُلُونَ، قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (ال Zimmerman 43).

وكثيراً ما يؤله البشر بعض أبناء جنسهم من مصلحين وأبطال وقديسين (حسب التعبير النصراني) أو أولياء (حسب التعبير في الإسلام).  
بل إن شرك القبور كان أصل الانحراف عن جادة التوحيد حين اتخذ قوم نوح من قبور الصالحين مساجد وبنوا عليها التصاویر.

وهذا النوع من الشرك هو الذي كان عليه المشركون في مكة قبل الإسلام، إذ كانوا يدعون الأموات من الصالحين يصوروون هياكلهم ويطلبون منهم الشفاعة والقربى إلى الله. مع أنهم كانوا يعلمون تمام العلم أنهم لا يخلقون ولا يرزقون، وأن الخالق الرازق هو الله وحده كما قال تعالى {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}.

وأنكر الله عليهم هذا الانحراف إذ جعلوا بينه وبين خلقه وسائل كالملوك الذين لا يمكن الوصول إليهم إلا بوسطاء {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْتَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَحْيِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف 194).

## والشرك على أنواع

١) شرك في الربوبية وهو أعطاء غير الله صفات هي من خصائصه وحده: كالتحريم والتحليل. قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءْ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ}. وقال {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا}.

وقد وقع اليهود والنصارى في هذا الشرك قال تعالى {اَتَخَدُوا اَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ اَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} (التوبه 31). وروي أن سبب اتخاذهم أرباباً أنهم كانوا يحلون لهم الحرام فيحلونه، ويحرمون عليهم الحلال فيحرمونه فاتبعوه.

والله {اللهُ الْخَلُقُ وَالْأَمْرُ} وليس الخلق فقط. فمن بدل ما أحله إلى حرام أو العكس فقد زعم أن له الأمر مع الله.

٢) شرك في الألوهية كالتوجيه بالصلوة أو الدعاء أو الذبح والذذر إلى غير الله {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ قَلَّا يَمْلُكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا}. {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ}.

٣) شرك في الأسماء والصفات وهو إعطاء صفات الألوهية الخاصة بالله لآخرين من المخلوقين ومساواتهم بها بما يسمى تمثيلاً. وقد أخبر الله عن هذا الصنف أنهم يخاطبون يوم القيمة من جعلوهم شركاء مع الله، والحسنة والنسمة يملأ قلوبهم {تَالَّهُ إِنَّ كُلَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ، إِذْ تُسَوِّيُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} (الشعراء 98).

والشرك منه الخفي ومنه الجلي ومنه الشرك الاعتقادي ومنه الشرك في الأفعال ومنه الشرك في الأقوال. ولذلك قسمه العلماء إلى:

الشرك الأكبر وهذا شرك مخرج من الدين بالكلية. مثل أن يجعل الله نداً في العبادة والذبح والذذر والدعاء. وهو الشرك الاعتقادي الذي يكون عادة بالقلب.

### شرك الدعاء لغير الله

- ومن صور الشرك الأكبر دعاء غير الله أو التوجيه بالدعاء له من أجل قضاء الحاجات وكشف الكربارات ودفع الأمراض فيما لا يقدر عليه إلا الله وقال {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْتَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَنْ يَسْتَهِيِّبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف 194).

ولقد قال النبي ﷺ "الدعاء هو العبادة"<sup>(١)</sup> ثم تلا قوله تعالى {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} (غافر 60) وأمر بدعاء الله وحده قائلاً<sup>(٢)</sup> "ادع إلى ربك الذي إن مسرك ضر كشفه عنك". فمن صرف الدعاء إلى غير خالقه فقد صرف العبادة إلى غير خالقه.

<sup>(١)</sup> رواه أبو داود (1479) بسنده صحيح.

<sup>(٢)</sup> صححه الألباني : في صحيح الجامع (243).

وقال ﷺ "إذا سألت فاسأّل الله وإذا استعن فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء: لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء: لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك" <sup>(3)</sup>.

- ومن صور الشرك الأكبر الاستعادة بغير الله قال تعالى {وَإِمَّا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانَ نَزْعٌ فَاسْتَعِدْ بِاللَّهِ} (فصلت 36) وقال {وَأَئُلُّهُ كَانَ رَجَالٌ مِّنَ الْإِنْسَانِ يَعْوَدُونَ بِرَجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهْقًا} (الجن 6) وهذا اعتراف من الجن بأنهم كانوا يزيدون المستعيدين بهم من الإنس تخويفاً.

وفي الحديث <sup>(4)</sup> "من نزل منزلة فأقال: أعود بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرحل من منزله".

- ومن صور الشرك الأكبر التبرك بالأحجار والأشجار والتعلق بجدران وتراب قبور الصالحين.

وقد كان للكفار شجرة يعلقون عليها سيوفهم يظنون أنها تزيدها قوة، فقال أصحاب النبي ﷺ "اجعل لنا ذات أنواعاً كما لهم ذات أنواعاً" فقال: قلتم والذي نفسي بيده كما قال بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إليها كما لهم آلهة" <sup>(1)</sup>. فاعتبر التبرك بالشجر والحمد والحجر تأليها لها.

- ومن صور الشرك بناء القبور ورفعها واتخاذها مساجد ودعاء الأموات عندها. قال علي لأبي الهياج الأسدي "الا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله: لا تدع صورة إلا طمسها، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته بالأرض" <sup>(2)</sup>.

وقد لعن رسول الله ﷺ اليهود والنصارى <sup>(3)</sup> لاتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد فقال <sup>(4)</sup> "أولئك كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح: بنوا على قبره مسجداً، ثم صوروا تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيمة".

- ومن صور الشرك الذبح والنذر لغير الله: وهذا شرك عظيم وشائع. قال تعالى {فُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَتُسْكِنِي وَمَحْيَايِي وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. وقال {يُوْفُونَ بِالنَّذْرِ} يعني إذا نذروا شيئاً لأن النذر واجب الوفاء. فإنه حق الله تعالى، ولذلك لا يعدل عن صاحب الحق إلى آخر.

<sup>(3)</sup> رواه أحمد في المسند 1:293 و الترمذى (2518).

<sup>(4)</sup> مسلم 31:17 والموطأ 978:2.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى 9:27 وأحمد 5:218 بسنده صحيح.

<sup>(2)</sup> رواه مسلم (969) وأبو داود (2318).

<sup>(3)</sup> رواه البخارى 3:200 ومسلم 5:12.

<sup>(4)</sup> أخرجه البخارى 3:208 ومسلم 5:11.

## لا خالق ولا مشرع إلا الله

ومن أوجه الشرك اتخاذ مشروع غير الله، والتحاكم إلى غير حكمه، يحل لهم ما حرمه الله ويحرم عليهم ما أحله الله.

وكما أن الله ملك السموات والأرض وما فيهن من ملائكة وجن وأنس: فكذلك خلق أحكاماً وشرائع هي حق له وحده دون سواه. فمن تحاكم إلى الأحكام الوضعية وترك الله لم يزل مشركاً وإن اعتقد أن الله وحده خالق السموات والأرض. لأن الله له الخلق والأمر أي الحكم. فإنه قال {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} (المائدة 40) لكنه قال أيضاً {لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (القصص 70).

\* ولذا وصف الله بنى إسرائيل بأنهم {اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ} وذلك لما أطاعوهم في تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله. وقد قال تعالى {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ} (الشورى 21) وقال {وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} (المائدة 44).

- ومن صور الشرك الذبح وتقديم القرابين والذور لغير الله قال ﷺ "لعن الله من ذبح لغير الله"<sup>(1)</sup>.

- ومن صور الشرك كون الخوف والخشية لغير الله مثل خشية الله أو أشد خشية. قال تعالى {أَتَخْشَوْنَاهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (التوبه 13). وقال {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (آل عمران 175). وقال {فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْفَتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً} (النساء 77).

- ومن صور الشرك الرجاء فيما عند غير الله. وإنما يجب أن يتعلق قلب العبد رجاء وطمئناً بالله: بفضله ورحمته. وأن يبأس مما عند غيره. وقد نهى الله المؤمنين عن الضعف أمام المشركين في مقاتلتهم فقال {وَلَا تَهُنُوا فِي الْبَطْعَاءِ الْقَوْمُ إِنْ تَكُونُوا تَأْمُلُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلُمُونَ كَمَا تَأْلُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ} (النساء 104).

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (1567).

## الشرك الأصغر

**الشرك الأصغر إشراك غير الله مع الله في التوجه بالعمل مثل الرياء.**  
وقد وصف النبي ﷺ حالة من حالات الشرك الأصغر وهو "أن يُزَيِّنَ الرجل صلاته لما يرى من نظر الرجل إليه". وهو المعتبر عنه بـ:

**الشرك الخفي ولا يجوز الاستهانة بهذا الشرك مهما كان صغيراً فإنه لو كان شأنه هيناً لما خافه على أمته أكثر مما يخافه علينا من المسيح الدجال.** فعن أبي سعيد الخدري قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذكر المسيح الدجال، فقال: ألا أخبركم بما هو أخوفُ عليكم عندي من المسيح الدجال؟ فلما: بلى يا رسول الله! قال: الشرك الخفي: أن يقوم الرجل فيزيد صلاته لما يرى من نظر رجل<sup>(1)</sup> أي لـما يلاحظ من مراقبة الرجل بجانبه بينما لا يستشعر رقابة الله عليه.

فالشرك الخفي وسيلة إلى الشرك الجلي.  
والشرك الأصغر وسيلة إلى الشرك الأكبر.

- **ومن صور الشرك الأصغر الرياء والتصنع للناس ابتغاء كسب قلوبهم بالعمل الصالح يقول تعالى "أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه"**<sup>(2)</sup>.  
وهذا الرياء إذا اختلط بالعمل الصالح فإنه ينقص ثوابه بحسب نسبة الرياء فيه، وذلك إذا كان أصل العمل خالصاً ثم دخل فيه الرياء. وقد يبطل كله إذا أراد به غير وجه الله من الأصل.

- **ومن صور الشرك تصديق المجالين والكهان والعرافين واعتقاد أنهم يعلمون الغيب قال ﷺ من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقوله فقد كفر بما نزل على محمد**<sup>(3)</sup>.  
ومن ذلك تصديق أن أحوال العباد وأرزاقهم تحدد بحسب النجوم والأبراج فمن كان من برج الحوت فإنه يقبل على قراءة ما كتبوا عن برجه في الجرائد والمجلات، فإذا قالوا تترقب مفاجأة: صدق بقولهم وانتظرها بفارغ الصبر، وإن أذنروه حادث سيارة قد في بيته ظناً منه أنه بذلك يجتنبه. وإن بشروه ببشرى مالية: أنفق ما في الجيب وقعد ينتظر ما في الغيب. وهذا من الشرك فماذا تفعل النجوم والأبراج بشيء قدره الله تعالى عنده قبل أن يخلقها؟

- **ومن صور الشرك الحلف بغير الله، قال رسول الله ﷺ من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه ابن ماجة بسنده حسن.

<sup>(2)</sup> رواه مسلم 18 : 115 وابن ماجه (3387).

<sup>(3)</sup> رواه أحمد 2: 429 والحاكم وصححه على شرط الشيخين.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى 7: 18 وأحمد 2: 34 وصححه الألبانى فى الإرواء (2561).

ومن الشرك الأصغر ما يجري على ألسنة بعض الناس من الأخطاء الفظية الشائعة بينهم منها:

- اتخاذ الأنداد مع الله وقد قيل لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت فقال: أجعلتني الله ندأ؟ قل ما شاء الله وحده".<sup>(3)</sup>

- وقال ابن عباس "إن الناس يشركون، يقولون لو لا الكلاب لأننا اللصوص" وكان الناس ينسون بذلك أن الله هو الذي لم يشاً إتيان اللصوص. وأنه لو شاء لسلطهم وأمكنتهم من التخلص من الكلاب. فالأسباب لا تستقل بذاتها بمعزل عن المسبب لها وهو الله.

---

<sup>(3)</sup> رواه أحمد 1: 214 والبخاري في الأدب المفرد 783 وسنده صحيح.

## أولياء الله

التوسل إلى الله بالأولياء  
من هم أولياء الله؟ ومن أفضليهم؟  
وما علاماتهم وكيف نعرفهم؟  
وهل نشهد لهم بأنهم أولياء الله؟  
وكيف ننال ولادة الله؟

\* **تعريف الولي:** أصل الولاية معناها المحبة والقرب. وهي ضد العداوة التي معناها البغض والبعد.

\* وولي الله من كان بالصفة التي وصفه الله بها، وهو الذي آمن واتقى كما قال تعالى {أَلَا إِنَّ أُولَئِيَ الْكَفَّافَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ} فشرط الولاية الإيمان والتقوى.

وأن مسألة (الولاية والولي) قد فيها كثرة اللبس والانحراف في هذه المسألة بين الناس وساعد على ذلك المتصوفة الذين جعلوا من قضية الولاية ركن طريقتهم متلماً جعل الشيعة من (الإمامية) ركن طريقتهم. وقال كلاً الفريقين بعصمة الولي والإمام، وكان مبدأ الغلو قاسماً مشتركاً بينهما.

وقد دخل الصوفية من خلال موضوع الولي على عامة الناس فأحدثوا بينهم فساداً من التصور والاعتقاد حتى صاروا يصدقون بكل من قيل فيه إنه ولی وإن رأوا فيه ما يخالف الولاية. إذ زينوا لهم أن للولي أحوالاً قد تكون في ظاهرها مخالفة للشرع لكن باطنها وحقيقة لا تختلف.

ومن ثم ظنوا أن الولي صاحب المقام الوسيط بينهم وبين ربهم يسألون الله به بل ربما سأله ما لا يجوز التوجه به إلا الله وحده وطمائنتهم أهواههم إلى أنهم ما داموا يعتقدون أن الله هو الخالق وحده وأن عبادة الأصنام شرك وما داموا لا يسجدون للقبور وإنما يلجؤون إليها طلباً للشفاعة لهم عند الله فإنهم بعيدون عن الشرك. وغاب عنهم أن المشركيين الأوائل ما كانوا يعتقدون بخالق آخر مع الله وإنما كانوا يسألون التصاوير التي بنوها على شكل الصالحين ليحصلوا بها على التقرب من الله. وقد سجل القرآن هذه الحقيقة فقال {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِيَّاءَ مَا تَعْبُدُ هُنَّ إِلَّا لِيُقْرَبُونَ إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر]. [3]

## تعظيم القبور والغلو في الصالحين

### أصل سبب الجاهلية الأولى

وهكذا وقع كثيرون في هذا الفخ الشيطاني لجهلهم بأول شرك تليس فيه بنو آدم. قال ابن عباس في تفسير هذه الآية {وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ إِلَهَنَّكُمْ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَعْوَثَ وَيَعْوَقَ وَتَسْرًا} [نوح 23] "هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما ماتوا بنوا لهم الصور والتماثيل.

وفي تفسير ابن جرير الطبرى "أن يغوث ويعوق ونسراً كانوا قوماً صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم: لو صورنا صورهم كان أشوق لنا إلى العبادة، فصوروهم: فلما ماتوا، وجاء آخرين: دب إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يبعدونهم، وبهم يُسقون المطر، فعبدوهم<sup>(1)</sup>.

فمن هنا تعلم أن أصل فتن الشرك كانت في القبور، يفتن الشيطان بها الناس ويحوي إليهم بتعظيمها، والنفور من ينهى عن هذا الشرك واتهامه بأنه ينتقص من مقامات الصالحين. وهذا فساد في التوحيد وعودة إلى الجاهلية التي أنزل الله القرآن لإبطالها، وما علينا سوى تأمل هذه الآيات:

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَبَادٌ أُمَّالَكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَحِيُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف 164).

{إِنَّ رَبَّكُمْ لَا يَسْمَعُونَ دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفَّرُونَ بِشَرِّكُمْ} (فاطر 14).

{وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَحِيْبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ} (الأحقاف 5).

{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيْعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} (الأعراف 197).

<sup>(1)</sup> تفسير الطبرى مجلد 12 ج 29 ص 62.

## القول الحق في مسألة التوسل

التوسل معناه اتخاذ سبب يزيد العبد قربة من الله. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} (المائدة 35) أي تقربوا إليه بما يرضيه من العمل الصالح. هكذا فسرها ابن عباس وغيره من الصحابة. غير أنَّ أنساً لا يزَّلون يطلقون كلمة التوسل ويقصون بها معنى آخر هو عندهم الاستغاثة بغير الله واللجوء في الدعاء لقضاء الحاجة ودفع المصيبة إلى غير الله. فعاد مفهوم الجاهلية القديم يسري بينهم بحجة {إِلَى اللَّهِ زُلْفَى}.

هؤلاء يفسدون اعتقاد الناس وسلوكهم. من حيث أنهم لا يربطونهم بالعمل الذي خلقهم الله من أجله كما قال {الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً}. ولكنهم يربطونهم بذوات الأنبياء والصالحين ويعلقون نجاتهم بصلاح الآخرين وقربهم عند ربهم، فالسارق يسرق والزانية تزني والمدمن يشرب الخمرة ويأتيه هؤلاء إلى ضريح الصالح الفلاني ويلقون شيئاً من المال بنية قضاء المصلحة ومغفرة الذنب فيتحقق الأمر وتنتهي المشكلة.

فنتج عن ذلك خروج أجيال معرضة عن الدين تكتفي بزيارة ضريح الولي الصالح في نهاية الأسبوع أو الشهر أو السنة ليتوسط لهم عند الله بمغفرة ما كان منهم في الماضي ويبكون قليلاً لحصول الخشوع عند الضريح بما لا يحصل منهم وهم في صلواتهم – إن كانوا يصلون – ومن ثم يعودون إلى حياة الإعراض وعمل السيئات وهذا يستندون في طلب النجاة إلى أشخاص بدلاً من العمل الذي خلقهم الله من أجله. وهذا ما زاد الناس ابتعداً عن الدين وانغماساً في المعاصي والفسق.

ولهذا فإن الانحراف في مفهوم (الأولياء) بين المسلمين يضاهي انحراف النصارى في مفهوم (القديسين). واتخاذ قبور الأولياء والصالحين مساجد يضاهي اتخاذ اليهود والنصارى قبور القديسين أديرة وصوماع: قال رسول الله ﷺ "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحائهم مساجد" (متفق عليه).

## أنواع التوسل الم مشروع

لقد فطر الله الإنسان على جلب النفع فهو يتخذ لجلبه كل وسيلة، ويدفع لدفع الضرر عنه كل وسيلة، فإذا مرض ولدك ودعوت له الطبيب ففحص عن المرض ووصف له الدواء كان هذا توسلاً مشروعاً<sup>(1)</sup>.

ولكن إذا جئت إلى طبيب ميت ودعوته عند قبره ليشفى ولدك أو استعنت بـ دجال أو كاهن يدعّي الشفاء وهو جاهل بالدواء ومخالف للشرع ويعدم أخاديع شيطانية فهذا غير مشروع. وتوسلك إلى الشفاء بـ سقي المريض الدواء الذي وصفه له الطبيب أمر مشروع. ولكن إن أخذت الوصفة وعلقتها (حجاباً) على صدر المريض واعتقدت أن ذلك يشفيه كنت مخطئاً.

ومن هنا كان التوسل الم مشروع هو الآتي:

(1) التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى. قال تعالى {وَاللهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} (الأعراف 180) كأن يقول: اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى أن تغفر لي ذنبي.

(2) التوسل إلى الله بأعظم أسمائه الحسنى كما في حديث بريدة أن رجلاً جعل يدعو والنبي ﷺ يستمع إلى دعائه فكان يقول "اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (أن تغفر لي ذنبي) فقال النبي ﷺ والذي نفسي بيده، لقد سأله الله باسمه الأعظم الذي إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى"<sup>(2)</sup>.

(3) التوسل إلى الله بالإيمان والعمل الصالح: ودليله قصة الثلاثة نفر منبني إسرائيل<sup>(3)</sup> الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار وحالت دون خروجهم فجعلوا يذكرون أحسن أعمالهم وسألوا الله بها أن يفرج عنهم الصخرة ففرجها عنهم.

\* ومثال التوسل بالإيمان ما نجد في قوله تعالى {رَبَّنَا إِنَّا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} (آل عمران 16).

فيجوز للعبد أن يتولى بإيمانه بالله ورسوله أن يغفر له الخ. فإيمان بالله ورسوله من أحب العمل إلى الله. كما روي أن رجلاً سأله رسول الله: أي العمل أفضل؟ فقال "إيمان بالله ورسوله"<sup>(1)</sup>.

وهذه الأنواع من التوسل أجمعـت الأمة على مشروعيتها.

<sup>(1)</sup> تعريف عام بدين الإسلام 82 بتصريف .

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى رقم (3471) وأبو داود (1493) .

<sup>(3)</sup> رواه البخارى .

<sup>(1)</sup> متفق عليه .

\* وقد شرع الله لنا من التوسل المشروع ما يغنينا عن غيره مما لا دليل صحيحًا على مشروعيته أو دليله ضعيف السند. والضعف لا ينهض للاحتجاج. فليس من الحكمة أن يشغلها الجدال حول أنواع التوسل غير المشروع ولا الثابت — عن التوسل المشروع الثابت من الكتاب والسنة؛ كالتوسل إلى الله بأسمائه وصفاته. والتوكيل بالإيمان والعمل الصالح.

## كرامات الأولياء

وقد لجأ الشيطان وأعوانه إلى فخ آخر وهو موضوع الكرامة وهو أن يعمل عملاً ما على يد شخص أو يظهر به في صورة شخص مما لا يستطيع البشر عادة عمله فيحكم الناس بأن هذه كرامة<sup>(1)</sup> وهي وبالتالي دليل عندهم على ولایة وصلاح هذا الشخص. وربما وقعت لشخص كramaة عند الله ولكن لا يجوز أن تكون الكرامة حجة يجوز معها سؤال غير الله. فقد قال أفضل الناس كramaة عند الله وهو نبينا ﷺ "إذا سألت فاسأله وإذا استعن بالله".

ومن هنا حذر أهل العلم من هذا الفخ حتى رووا عن الشافعي رضي الله عنه أنه قال "لو نظرتم إلى رجل يطير في الهواء أو يمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تعلموا متابعته للسنة وحفظه للحدود وأداءه للشريعة".

وأكَّدَ أهلُ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ التَّوْفِيقَ لِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ واجتناب البدعة والّتَّوْفِيقِ عَلَى الإِلْحَاصِ فِي الْعِبَادَةِ مِنْ أَعْظَمِ الْكَرَامَاتِ، وَلَذِكْرِ قَيْلَ "مَا ثُمَّ كَرَامَةً أَعْظَمَ مِنْ كَرَامَةِ الإِيمَانِ وَمَتَابِعَةِ السُّنَّةِ فَمَنْ أَعْطَيَهَا وَجَعَلَ يَشْتَاقُ إِلَى غَيْرِهَا فَهُوَ مَغْرُورٌ كَذَابٌ".

ولم يكن أحد من سلف هذه الأمة (أعني الصحابة والتابعين) يُظهر كرامته ويستعرضها أمام العامة من الناس على النحو الذي يفعله اليوم بعض أدعياء الكرامة الذين شوهدوا حقيقة الكرامة والذين كان أحري بهم أن يستعملوا هذه الكرامات (إن كانت كذلك) ضد أعداء المسلمين مع أن الواقع يشهد بابتعادهم عن ميادين واقع المسلمين. أما أن تكون الكرامات بين العامة كضرب الأسياخ في بطونهم مما يفعله المشعوذون والسحرة أو ادعاء الاطلاع على الغيب مما يفعل مثله الكهان والدجالون فهذه ليست كرامات وإنما خرافات وتعامل مع الشياطين.

فإن من هؤلاء من يحدث عن شيطان وهو يظنه ملكاً يأتيه بعلوم الغيب ويكون في الحقيقة شيطاناً كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه "إن الشيطان ليتمثل في صورة الرجل فيأتي القوم فيحدثهم بالحديث من الكذب فيتقرون فيقول الرجل منهم: سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أدرى ما اسمه يحدث"<sup>(1)</sup>.

وقد أنكر المعتزلة كرامات الأولياء جملة وتقصيلاً كرد فعل مفرط في مقابل المبالغات الصوفية في رواية الكرامات العجيبة. وقد كان بإمكانهم معالجة إفراط المتصوفة بطريقة لا تؤدي إلى تقرير طرف من جانب آخر.

ثم جاء قوم بعد المعتزلة فوافقوا أهل السنة في إثبات الكرامة لكنهم لم يفرقوا بينها وبين المعجزة من جهة وبينها وبين السحر من جهة أخرى إلا بتقريرات ضعيفة أدت إلى انحرافات من نوع آخر<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> الكرامة هي الأمر الخارق للعادة يظهر على يد عبد صالح.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم 7.

<sup>(2)</sup> لمزيد من التفاصيل راجع كتابي (أولياء الله بين المفهوم الصوفي وبين المنهج السنوي) ص 188.

و لا شك أن معجزات الأنبياء كان شفاق القمر و انقلاب العصا حية: أعظم من كرامات الأولياء لأن لهم (الأيات الكبرى) وأن الصالحين الأولياء لهم (الأيات الصغرى) التي هي تصديق لنبوة الأنبياء. فلا تبلغ كرامات أحد قط مثل معجزات المرسلين.

## لماذا تكون الكرامة

ويجدر معرفة السبب الذي تحصل من أجله الكرامة وأنها ليست مما يقدر على فعله أدعية الولاية متى ما رغبوا. وإنما لكرامة غاية سامية شريفة مهمة يحصل بها نصرة الدين وإقامة السنة وتأييد ما جاء به النبي يجريها الله على يد عبد صالح متبع للسنة غير مبتدع.

مثال ذلك ما حديث أبي مسلم الخولاني الذي قال له الأسود العنسي<sup>(1)</sup> "أتشهد أنني رسول الله؟ فقال: ما أسمع، قال أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. فألقاه في النار فصارت النار عليه بردًا وسلامًا.

فهذه كرامة نفع الله بها المسلمين وكان لها أثر في واقعهم إذ دحست دعوى الأسود العنسي للنبي. وأثبتت أن محمداً خاتم النبيين. إنها نموذج حقيقي لكرامة وتأكيد الولاية أبي مسلم الخولاني الله الذي وقف بثبات أمام طاغية مشرك أراد بداعيه النبوة مناقضة القرآن والسنة وصرف الناس عن دين الله إلى الكفر والشرك.

فأين هذا مما يفعله الدجالون الذين يدعون الولاية ويفعلون أموراً يفعل مثلها رجالون والوثنيون ومحايرو السيرك وعلى الساحات العامة أمام عوام الناس. وتقتصر كراماتهم على إدخال الشيش واللubb بالنار والأفاعي.

إن كان للواحد من هؤلاء كرامة فليئرنا آثار كرامته بوجه أعداء المسلمين الذي ملئوا الأرض وأذلوا المسلمين في مشارق الأرض وغاربها:

إِنْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ فَلَيَكْشِفُوا لَنَا مَا خَفِيَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مُخْطَطَاتِ عَدُوِّهِمْ  
وَمَكْرِهِ. وَإِنْ كَانَ بِمُقدُورِهِمُ التَّلَاعِبُ بِالنَّيْرَانِ فَلَيُجَابُهُوا نَيْرَانُ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ.

فإن لم يفعلوا بل داهنو عدو المسلمين ورکنوا إليه ففعلهم ليس كرامة وإنما هو خداع وتخيل. بل تكون هذه الخرافات سبباً في انحراف مفاهيم المسلمين وتضليلهم عن طريق نشر الخرافات وجعلهم يعتقدون في الأولياء التصرف في الأكونان وكشف الغيوب.

<sup>(1)</sup> انظر البداية والنهاية 6: 267 - 269 .

## الشهادة بالولادة

أما الشهادة لشخص ما بأنه ولـي الله تعالى فإننا نشهد لمن شهد لهم النبي ﷺ كالعشرة المبشرين بالجنة وأصحاب البيعة الذين بايعوا النبي ﷺ والمهاجرين والأنصار.  
ولا يجوز لأحد أن يقول بعد ذلك ما لا يعلم. فإن الله نهانا عن أن نذكر أنفسنا فقال {فلا ترکوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} (النجم 32) مع أننا أعلم بأنفسنا من غيرنا، فكيف نذكر غيرنا ونزع عنده مكرم عند الله وأنه من خلص أوليائه ونبالغ في مدحه وإطرائه بلا علم!.

فإن قال قائل: فلان من أولياء الله، فقل له: هل تقول إنه من أهل الجنة؟ فإن قال: نعم، فهو كاذب بلا ريب. وإن قال: أرجو أن يكون من أهل الجنة فقل له: فأولى بك حينئذ أن تقول كذلك: أرجو أن يكون من أولياء الله. ثم اتق الله ولا تقل على الله ما لا تعلم فقد أمرك الله أن لا ترکي نفسك فقال {فلا ترکوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} (النجم 32) فكيف ترکي غيرك؟!

ولقد دخل النبي ﷺ على عثمان بن مظعون وهو ميت فقالت أم العلاء الأنبارية "شهادتي عليك أبا السائب أن الله سيكرمك. فقال لها النبي ﷺ وما يدريك أن الله أكرمه؟" قالت: لا والله لا أدرى، فقال لها: أما هو فقد أتاه اليقين من ربـه، وإنـي لأرجو له الخير. والله ما أدرى وأنا رسول الله ما يُفعـل بي ولا بـكم. قالت: فوالله لا أزكي بـعده أحداً أبداً<sup>(1)</sup>.

ورأى الصحابة رجلاً من المسلمين يقاتل المشركين بشجاعة فائقة حتى أعمل فيهم القتل فأعجب الصحابة بشجاعته وأثنوا عليه خيراً فقال النبي ﷺ "إن هذا من أهل النار" فتعجب الصحابة لذلك حتى قالوا: أينـا من أهل الجنة إنـ كان هذا من أهل النار؟ فتبـعـه رجل من الصحابة فوجـده قد جـرـحـ فاستـعـجلـ الموت ووضـعـ نصـابـ سيفـهـ بالأـرضـ وذـبابـتهـ بينـ ثـديـهـ ثـمـ تحـاملـ عـلـيـهـ فـقـتـلـ نـفـسـهـ فـجـاءـ الرـجـلـ إـلـيـ النـبـيـ ﷺ وـقـالـ: أـشـهـدـ أـنـكـ رسـولـ اللهـ. قـالـ ﷺ: وـمـاـ ذـاكـ؟ فـأـخـبـرـهـ بـخـبرـ المـنـتـحـرـ. قـالـ النـبـيـ ﷺ إنـ الرـجـلـ لـيـعـمـلـ بـعـمـلـ أـهـلـ الـجـنـةـ فـيـمـاـ يـبـدـوـ لـلـنـاسـ وـإـنـهـ مـنـ أـهـلـ الـنـارـ، وـيـعـمـلـ بـعـمـلـ أـهـلـ الـنـارـ فـيـمـاـ يـبـدـوـ لـلـنـاسـ وـهـوـ مـنـ أـهـلـ الـجـنـةـ<sup>(1)</sup>.

ومات رجل آخر في غزوة فقال الصحابة هنيئاً له الشهادة فقال رسول الله ﷺ "كلا، والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً"<sup>(2)</sup>.

فها قد رأيت الأمر التبس على الصحابة حتى ظنوا ولادة رجلين حكم عليهما النبي ﷺ بأنهما من أصحاب النار. مع أن الصحابة أعظم أولياء الله بعد الأنبياء. لكنهم بشر

<sup>(1)</sup> أخرجه البخاري 1243 في الجنائز .

<sup>(1)</sup> رواه البخاري 6606 .

<sup>(2)</sup> رواه البخاري 6707 .

لا يعلمون الغيب، فقد يبدو الرجل في ظاهره ولیاً ويكون في الباطن فاسد النية، ولهذا قال النبي ﷺ "إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وإنه من أهل النار". ولما أثني بعضهم على أبي بكر قال "اللهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيراً مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون".

هذا هو المنهج الإسلامي الذي صُرِفَ عنه كثيرون واستغل جماعة من أهل البدع والخرافة جهل الناس حتى استدرجوه إلى كل بدعة وشرك. وأفهموهم أن الولي صالح للحياة البيضاء والعباءة السوداء، يتمتم بالأوراد ويختلف بالسبحة والناس يقبلون بيده ورجليه. ويأخذون عنه طرق البدع.

وما اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِيًّا جَاهِلًا مُبْتَدِعًا فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أُولَئِكُمُ الْمُوَافِقُونَ لِكِتَابِهِ وَسَنَةِ نَبِيِّهِ ﷺ .

بينما يستبعدون في نفس الوقت ولية من لا يأبهون له، ويكون عند الله ولیاً وهو من عامة الناس، ربما كان نجاراً أو خبازاً أو زبالاً. ويستحق صفة الولي دون الآخرين الذين ينكب الناس على أيديهم وأرجلهم لتقبيلها.

ولذلك قال ﷺ "رَبَّ أَشَعْتُ أَغْبَرَ مَدْفُوعَ بِالْأَبْوَابِ (لا يُؤْبَهُ لَهُ)" [لو أقسم على الله لأبره]<sup>(3)</sup>. ومعنى الحديث: أن من الناس من يكون جعد الشعر مغبر الجسد لا قيمة له عند الناس، وربما طردوه من أبواب بيوتهم لحقارته عندهم: ويكون عند الله من أوليائه وأحبابه، بل لو حلف على الله بشيء لأجابه الله إليه إكراماً له:

وَلَأَنَّ الْمِيزَانَ عِنْدَ اللَّهِ يُخْتَلِفُ عَنِ الْمَوَازِينِ الَّتِي بِهَا يَكِيلُ النَّاسَ. فَقَدْ يَكُونُ الْغَنِيُّ الْمُتَرْفُ ثَقِيلًا فِي مَوَازِينِ الْبَشَرِ، حَقِيرًا عِنْدَ اللَّهِ لَا يُسَاوِي فِي مَيْزَانِ اللَّهِ شَيْئًا. إِذَا مَيْزَانَ عِنْدَهُمْ بِحَسْبِ مَا عِنْدَهُ مِنْ ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ وَبِحَسْبِ لَوْنِهِ وَجَنْسِهِ. وَأَمَّا عِنْدَ اللَّهِ فَبِحَسْبِ مَا عِنْدَهُ مِنْ إِيمَانٍ وَتَقْوَىٰ {إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاتُكُمْ} .

فباب الولاية مفتوح لعامة الناس وليس حكراً على مشايخ الطرق كما عند الصوفية، وليس حكراً على الأئمة كما عند الشيعة، وليس حكراً على القديسين كما عند النصارى.

والدليل على ذلك حديث الرجل الذي طلب من النبي ﷺ أن يخبره بما افترضه الله عليه فقال له "وتقيم الصلاة وتؤتي الزكوة وتحجّ البيت إن استطعت" فقال الرجل: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال النبي ﷺ "أفلح (ودخل الجنة) إن صدق"<sup>(1)</sup>. وهل يدخل الجنة إلا أولياء الله؟!

## أفضل الأولياء

وأفضل أولياء الله الأنبياء. وأفضل الأنبياء الرسل منهم.

<sup>(3)</sup> رواه مسلم 2622 .

<sup>(1)</sup> رواه البخاري 6953 .

وأفضل الرسل خمسة هم (أولو العزم) وأفضل الخمسة نبينا محمد ﷺ .  
 ويلي الأنبياء أصحاب نبينا .  
 وأفضل أصحابه أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من العشرة المبشرين بالجنة .  
 وأهل العلم من هذه الأمة هم أفضل أوليائهم فإن الله لم يتخذ ولينا جاهلاً . فإن الولي إذا ازداد معرفة بشرع الله ازداد عمله به، وازداد انتفاع الناس بعلمه وعرفوا الحلال والحرام به .

### اجتماع الولاية والعداوة

وولاية الله تزيد وتنقص متلماً يزيد الإيمان وينقص . فتارة تزداد محبة الله له وتارة تنقص بحسب حسناته وسيئاته . فمن كان أكمل إيماناً ونقوى كان أكمل ولاية الله . وقد يقع الولي في بعض الذنوب والأخطاء والمعاصي وهذا لا يلغى ولايته فيكره الله ما كان منه من المعاصي ويحب منه ما بقي من ولايته .

ولذلك تجد في الناس من يجتمع فيه إسلام وشرك من رياء ونحوه أو يجتمع فيه إيمان ونفاق أو إسلام وفسق .

فلا يقتضي وجود الفسق ذهاب الإيمان .  
**هل يجوز لِإنسانٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا وَلِي؟**

**وهذا فيه تفصيل:**

**الأول:** إن كان يقصد بذلك أنه يتولى الله والرسول والذين آمنوا وأنه من جند الله وحزبه، فهذا ما لا يجوز الشكّ به بل يجب على المسلم أن يفخر بأنه كذلك .

**الثاني:** إن كان يقصد به أنه محبوب ومرضي عند الله وأنه من أهل النقوى فهذا لا يجوز الحكم به لأن الله أعلم بمن اتقى {فلا تزگوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى} .

## الشفاعة

الشفاعة من المسائل التي ضلّ في فهمها كثيرون وخلط فيها المشركون الحق بالباطل حتى اتخذوا من دون شفاعة زعموا القرب بهم إلى الله، ثم ما لبثوا أن اتخذوا هم آلهة من دون الله. واستدرجهم الشيطان بهذه الذريعة إلى الشرك. قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءُ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (يوسوس 18). فالشفاعة فضل من الله وإظهار لشرف خواص عباده بين سائر الخلق يوم القيمة يمنحها. ولكن من يشاء هو وحده.

### شروط الشفاعة

وللشفاعة شرطان أساسيان:

الأول: أن يأذن الله للشافع أن يشفع. قال تعالى {مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ} (البقرة 255).

الثاني: أن يرضى الله عن المشفوع له كما قال تعالى {وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى} (الأنبية 28) وقد جمع كلا الشرطين في قوله {وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى} (النجم 26).

### الشفاعة المشروعة والشفاعة المرفوضة

إذا نظرنا في الآيات التي ذكرت حال المشركين والأسباب التي أدّت بهم إلى الشرك نجد أنها كانت تدور حول ثلات مسائل:

-1 دعاوهم للشفاعة من دون الله {إِنَّ الَّذِينَ تَذْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عَبَادُ أُمَّةٍ أُكْلَمْ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَحْيِبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْתُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف 194).

-2 اتخاذهم شفاعة يتقربون بهم إلى الله. قال تعالى {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (الزمر 43) وقال {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءُ شُفَاعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ} (يوسوس 18). وقال {وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ مَا تَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرِبُوكُمْ إِلَى اللَّهِ رُلْفَى} (الزمر 3).

-3 تحليفهم ما حرم الله وتحريم ما أحل. قال تعالى {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِيفُ أَسْتَهِنُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَقَرَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} (النحل 116) {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لِوْشَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ حَنْ حَنْ وَلَا آبَوْنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} (النحل 35).

- فطالبهم الله بالدليل على هذه الدعوى الكاذبة قائلاً {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} (الأنعام 148).

فالشفاعة منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود:

- 1 - الشفاعة الشرعية المقبولة: وهي التي يطلبها الموحد من ربه مع علمه بشرط الشفاعة على النحو الذي علمنا الله إياه. سواء كانت بشفاعة الله أم بشفاعة غيره كالأنبياء والشهداء والعلماء.
- 2 - الشفاعة الشركية المردودة: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وفيما لم يأذن به الله كالتى كان يعتقد المشركون في آلهتهم التي اتخذوها شفاء، زعموا أنها تشفع لهم عند الله وتقربهم إليه زلفى.

### مسائل مهمة في الشفاعة

2 - أن الشفاعة لا ينالها من كان مضاداً للتوحيد منغمساً في الشرك والابتداع في الدين. سئل رسول الله ﷺ "من أسع الناس بشفاعتك؟" فقال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبله<sup>(1)</sup>. وقال ﷺ "لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيمة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً". فجعل أحد أعظم أسباب نيل الشفاعة: تحقيق التوحيد.

أما الذين إذا سألوا: سألوا غير الله، وإذا استعنوا: استعنوا بغير الله ويستغثون بالأموات من دون الحي الذي لا يموت ويتمسحون بجدران وتراب قبورهم فما أبعدهم عن الشفاعة. فالشفاعة خاصة بأهل الإخلاص والتوحيد لا بأهل الشرك والبدعة والخرافة.

3 - أن الشفاعة لله وحده {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا}.

4 - أن أعظم الشفاعة شفاعة ربنا الذي يخرج بشفاعته من النار أضعاف من شفع لهم الأنبياء وغيرهم، حتى إذا شفع الشافعون قال الله "ذهبت شفاعة الشافعين وبقيت شفاعة أرحم الراحمين". وهذا يغفل عنه المشركون الذين يرجون من القبور ما لا يرجون من الحي القيوم.

5 - أن الله يأذن بالشفاعة لمن يشاء ويرضى وليس مرد ذلك إلى الشفاعة. ولذلك أخبر الله أن المشركين {فَمَا تَنْعَهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ} (المدثر 48).

6 - أنه إذا كانت الشفاعة لله وحده فلا يجوز طلبها من غيره كما هي عادة المشركين الذين ظنوا أنه إذا كانت الشفاعة للأنبياء والصالحين أنهم يسألونهم ذلك. فيبين الله أنه يجب طلبها أولاً وأخيراً منه، ولهذا قال {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (الزمر 44).

7 - أنه ثبت أن الصيام والقرآن والصدقة يشفعون كما قال ﷺ "القرآن شافع مشفع"<sup>(1)</sup>، وكما أنه لا يقال "أيتها الصدقة اشفعي لي عند الله، أيها الصيام اشفع لي" "أيها القرآن: اشفع لي عند الله. فكذلك لا يجوز لك أن تقول: أيها النبي اشفع لي عند الله".

<sup>(1)</sup> رواه البخاري (99).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري رقم (6304).

<sup>(1)</sup> رواه ابن حبان بسند صحيح (انظر صحيح الجامع 4443).

8 - أنه ليس للشافع أن يخص أحداً بشفاعته إلا بإذن الله ورضاه. إذن فلماذا لا نطلبها من يملكتها ويأذن ويرضى بها وليس من أحد سواه.

والشفاعة على نوعين: شفاعة الخالق وشفاعة المخلوقين:

فأما شفاعة الخالق ف تكون بعد انتهاء شفاعات المخلوقين حين يقول الله جل وعلا "ذهب شفاعة الشفاعين. وبقيت شفاعة أرحم الراحمين".

وأما شفاعة المخلوقين فهي: شفاعة الأنبياء والملائكة والعلماء والشهداء مثلاً في الحديث "يسفع الشهيد في سبعين من أهل بيته"<sup>(2)</sup>.

## شفاعة محمد ﷺ

وأعظمها بين شفاعات المخلوقين: شفاعة نبينا محمد ﷺ . وهي على نوعين:

**شفاعة عامة وتسمى "الشفاعة العظمى، وهي الشفاعة العامة في كل البشر** مؤمنهم وكافرهم، أن يعجل الله في نقلهم من مرحلة الموقف إلى مرحلة الحساب. وذلك حين يشتد بهم الكرب، وتندو الشمس من الخلائق، ويشتد حرّها بهم، فيأتون الأنبياء جميعاً فيقول كلّ نبّيٍّ منهم "لست لها" حتى يأتوا محمداً ﷺ فيقول "أنا لها أنا لها". فيُسْفِعُ لِلنَّاسِ جَمِيعَهُمْ فِي تَجاوزِ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ . وَحِينَذِي بَيْعَتِهِ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ الَّذِي يَحْمُدُ النَّاسَ عَلَيْهِ جَمِيعَهُمْ (مؤمنهم وكافرهم). فهذه هي الشفاعة العامة التي تنفع المؤمن وغير المؤمن. يؤمّنُذ يتّحصر كلّ كافر سمع به أو رأه ولم يؤمن به.

**شفاعة خاصة للمؤمنين الموحدين من أمته، قال ﷺ "لكلّ نبّيٍّ دعوة مستجابة، فتعجل كلّ نبّيٍّ دعوته، وإنّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتّي يوم القيمة". وقال "شفاعتي لأهل الكبار من أمتي"<sup>(1)</sup>.**

## أنواع الشفاعات والشفاء

فالشفاعات التي يكرم الله بها نبّيه ﷺ :

- 1 الشفاعة العامة عند الموقف يوم يحشر الله الناس على صعيد واحد.
- 2 الشفاعة في قوم استوجبوا دخول النار: ألا يدخلوها.
- 3 الشفاعة فيمن دخلوا النار أن يخرجوا منها.
- 4 الشفاعة فيمن خلدو في النار أن يُخفف عنهم فيها.

<sup>(2)</sup> رواه أبو داود (2505) وابن حبان (1612) وهو صحيح.

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

-5 الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم بدخول الجنة.

### كيفية الفوز بشفاعة النبي ﷺ

وقد علمنا رسول الله ﷺ كيف نفوز بشفاعته فقال "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرأ، ثم سلوا الله لي الوسيلة<sup>(2)</sup> فإنها منزلة في الجنة لا تتبعي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون هو. فمن سأله<sup>(3)</sup> لي الوسيلة: حلت له الشفاعة" و قال ﷺ "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاحة القائمة آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً مموداً كما وعدته: حلت له شفاعتي"<sup>(4)</sup>.

- فتأمل نص كلام النبي ﷺ كيف علمنا أن نسأل الله له لنناش شرف شفاعته لا أن نسأله من دون الله كما يفعل بعض المعاندين الذين لا يفهمون سنته ولا يقتفيون أثر تعاليمه.

وقد علمنا أيضاً إن أردنا الفوز بشفاعته أن نكثر من الصلاة عليه. فقد روى أبو الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "من صلَّى على حَيْنٍ يَصْبِحُ عَشْرَأَ وَحِينَ يَمْسِي عَشْرَأً: أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ"<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> أي سلوا الله أن يبلغني هذه المنزلة العظيمة في الجنة .

<sup>(2)</sup> أخرجه مسلم رقم (384) في الصلاة .

<sup>(3)</sup> رواه البخاري (614).

<sup>(4)</sup> رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (ص 346).

## مبحث الكفر

(نواقض الإيمان)

## الكفر

- **في اللغة:** هو الستر والتغطية، ومنه قوله تعالى {يُعْجِبُ الزُّرَاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} (الفتح 29) والكفار في هذه الآية هم الزراع الذين يسترون الحب بالتراب. ووجه استعارة اللفظ من هذه الحالة كون الكافر يستر الحق كما يستر الزارع حبه. ويحدد ما لا عذر له في جحده. كما قال تعالى عن فرعون وقومه {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} (النمل 14).

- **وشرعًا:** هو جحد ما لا يتم الإسلام بدونه أو كماله. وبناء على ذلك فجدد مدلول الشهادتين كفر، وجحد وجوب تحريم ما علم بالضرورة من دين الإسلام كفر مثل أن يجدد وجوب الصلاة أو تحريم الزنا أو الربا إلا أن يكون حديث عهد بإسلام.

وهو نوعان:

**1 - الكفر الأكبر:** وهو جحد ما لا يتم الإسلام بدونه وهو محبط لسائر العمل ومحظ للخلود في النار لمن مات عليه ويخرج به الرجل من الإسلام ويحل دمه وماله. وينقسم إلى كفر اعتقادى كأن ينفي أسماء الله وصفاته، أو يسبه الله تعالى بخلقه. وكفر قولي كسب الله تعالى أو دينه أو رسالته. وكفر عملي كإلقاء المصاحف في القاذورات كما يفعله الكهنة والعرافون والسحراء يتقربون بذلك إلى شياطينهم.

### والكفر الأكبر على خمسة أنواع:

**أولاً:** كفر التكذيب قال تعالى {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَدِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} (الأنعام 33) وحكم عليهم بالكفر فقال {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَدِّبُونَ} (الإنشقاق 23) ويقال لهم يوم القيمة {أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي ثُلَّى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَدِّبُونَ} (المؤمنون 105).

**ثانياً:** كفر إباء واستكبار مع التصديق: وذلك بأن يقرّ بأن ما جاء به الرسول حق لكنه مع ذلك يستكبر تعالىً واحتقاراً وازدراء للحق ولمن جاء به كما قال تعالى {بَلَى فَدْ جَاءَنَّكَ آيَاتِي فَكَدَبْتَ بِهَا وَاسْتَكَبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (الزمر 59) وقال {وَيَلِلْ كُلُّ أَفَالِكِ أَثِيمٌ 7 يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ ثُلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكِبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ} (الجاثية 7) وقال عن فرعون {وَاسْتَكَبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَلَّمُوا أَهْمَمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ} (القصص 39) ثم قال {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنُتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا} (النمل 14).

**ثالثاً:** كفر الشك: وقد أخبر الله عن الذين كفروا أنهم {في عزة وشقاوة} وأنهم {في شَكٍ يَلْعَبُونَ} وبين لنا أن من أسباب كفرهم أنهم كانوا يقولون {أَنْزَلَ عَلَيْهِ الدُّكُرُ مِنْ بَيْنِنَا} ثم قال {بَلْ هُمْ فِي شَكٍ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ} (ص 8) وكانوا يقولون لرسلهم {وَإِنَّا لَفِي شَكٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ} (هود 62).

**رابعاً:** كفر الإعراض والتولي: وهو ترك الحق: لا يتعلم ولا يعمل به، كما قال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُغْرِضُونَ} (الأحقاف 3) {وَمَا تَأْتِيهِمْ مِّنْ آيَاتٍ

رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} (الأنعام 4) وقال {وَيَلْ لُكُلْ أَفَاكِ أَثِيمٍ ، يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ ثُلَى عَلَيْهِ نَمَ يُصْرُ مُسْتَكْبِرًا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابِ أَلِيمٍ} (الجاثية 8).

\* وهناك حالة من حالات الكفر الأكبر تحصل من العبد ومع ذلك فإنه لا يكفر

بها:

- لأن يقول شيئاً وهو جاهل به.
- لأن يقول شيئاً في غيبوبته لا يعي ما قال.
- حالة سبق اللسان لأن يقول شيئاً يكرهه ولا يقصده كمن أخطأ من شدة الفرح فقال "اللهم أنت عبدي وأنا ربك"<sup>(1)</sup>.

## 2 - الكفر الأصغر:

وهو جد ما لا يتم كمال الإسلام بدونه. وهو ينقص العمل، ولا يخرج صاحبه من الإسلام وهو تحت المشينة الإلهية: إن شاء الله عزبه وإن شاء عفا عنه.

---

<sup>(1)</sup> مسلم (2747).

## ومن أنواعه

- كفر النعمة: قال تعالى عن أهل القرية الظالمة {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً آمِنَةً مُطْمَئِنَةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرُتْ بِأَنَّمِعَ اللَّهَ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَاثُوا يَصْنَعُونَ} (النحل 112) وقال {يَعْرُفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ} (النحل 83) وقال {وَلَئِنْ أَدْقَنَاهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّنَا لَيُقُولُنَّ هَذَا لِي} (فصلت 50) قال مجاهد في تفسيرها: هو قول الرجل هذا مالي ورثته عن أبيه.

- إتيان المرأة في دبرها وإتيان الكهان والعرافين وتصديقهم كما قال  $\text{P}$  "من أتى كاهناً فصدقه بما يقول أو أتى امرأته حائضاً أو أتى امرأته في دبرها، فقد برئ مما أنزل على محمد"<sup>(1)</sup>.

- قتال المسلم للمسلم لقول النبي  $\text{P}$  <sup>(2)</sup> "سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر".

<sup>(1)</sup> رواه أحمد وأبو داود بإسناد صحيح.

<sup>(2)</sup> البخاري رقم (6044) ومسلم (64).

الحكم بغير ما أنزل الله

## هل هو كفر أكبر أم أصغر؟

وقد ذكر أهل العلم في هذه المسألة أن الحاكم بغير ما أنزل الله لا يخرج عن  
أربعة أنواع:

١ ) من قال أنا أحكم بالقوانين الوضعية لأنها أفضل من الشريعة الإسلامية. فهذا كافر كفراً أكبر.

2 ) من قال أنا أحكم بهذا لأنه والشريعة الإسلامية سواء بسواء: وهذا كافر كفراً أكبر أيضاً

3 ) من قال: أنا أحكم بهذا مع أن الحكم بشرعية الله أفضل لكن الحكم بغير ما أنزل الله جائز لا يجوز تحريره . فهذا كافر كفراً أكبر .

4) من قال: أنا أحكم بهذا مع اعتقادي أنني مذنب لأن الحكم بغير ما أنزل الله  
حرام، فهذا كافر كفراً أصغر.

على أن ما نراه اليوم من محاولات حثيثة لتنحية دين الله عن الحكم ليس من هذا القبيل وإنما هو من قبيل التشبيه بالكافار الغربيين الذين تأمروا على تنحية الدين من الأرض كلها واستصدروا قوانين بديلة زعموا أنها أفضل منه، وكان المشجع لموقفهم هذا: كثرة الأخطاء الفاحشة التي مرت بها كنيستهم، وهم لتعصيهم وكبرياتهم لم يتطرقوا إلى احتمال أن يكون دينهم خطأ بل استبقوه شكلياً في زاوية من زوايا حياتهم، وقرروا إسرافه عن إدارة شؤونهم السياسية مما زاد في تعاستهم وشقائهم.

ومع ذلك لم يكونوا صادقين في (لادينيتهم) فإن التعصب والتمايز على أساس ديني لا يزال واضحاً فيهم وهو دليل على أن النفس تميل إلى الدين من حيث المبدأ بصرف النظر عن نوع الدين الذي تتمسك به. فقد يكون ديناً صحيحاً وقد يكون وثنية متوارثة من العار التخلّى عنها وإن كانت باطلة.

وَهَذَا شَيْءٌ نَقْدِهُ الْقُرْآنَ {وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قُرْيَةٍ مِّنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا إِلَيْأَنَا وَجَدْنَا أَبْعَانِي عَلَى أُمَّةٍ وَلَمَّا عَلَى أَثَارِهِمْ مُقْتُدُونَ، قَالَ أُولُوْ جِنْنُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ أَبْاءَكُمْ} (الزخرف 23) {أُولُوْ كَانَ أَبْأُؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ} (البقرة 170) {أُولُوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوْهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} (لقمان 21).

ولقد أرادوا من العالم عامة ومن المسلمين خاصة مجاراً لهم وتقليدهم في ذلك. فمن تولاهم ورأى في دين الإسلام ما رأه النصارى في دين النصرانية فهو في حكمهم حيث اتّخذ من اللادينية ديناً له. وهي ردة جديدة لم يعرفها المسلمون من قبل. وحتى أئمة المسلمين الظلمة الفجرة كانوا يقيمون أحكام الإسلام في مجتمعهم ولم يكن يخطر لأحد يوماً من الأيام أن يأتي يوم على المسلمين من الداخل بتحريض من المراقبين المتخوفين من الخارج.

ولقد كان من الضرورة بمكان التركيز على هذه النقطة حيث أن الأمة حتى في أسوأ أحوالها لم تقصر أبداً في تتحية شريعة الله وإقصائها واستبدالها بالقوانين الوضعية على النحو الذي مر على المسلمين في هذا القرن الأسود من قرون المسلمين.

### كفر النفاق: وينقسم إلى فسمين:

\* نفاق أكبر: وهو أن يُظهر بسانه الإيمان ويضم في قلبه التكذيب. كتكذيب الرسول أو بعض ما جاء به أو بغضه أو كراهية الانتصار لدين الله والسرور لمصائب المؤمنين في مواجهة الكافرين. مثل عبد الله بن أبي بن سلول. ويسمى النفاق الاعتقادي وهو المتعلق بقوله تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدِّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}.

\* ونفاق أصغر: ويسمى النفاق العملي، وهو الذي جاء فيه الحديث<sup>(1)</sup> "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اتمن خان" وفي رواية "وإذا عاشر غدر، وإذا خاصم فجر"<sup>(2)</sup>.

والمنافقون في الدرk الأسفـل من النار وإن كانوا في الدنيا مسلمـين في الظاهر وتجـري عليهم أحـكام الإسلام.

والرجل قد يجتمع فيه إيمان ونفاق. فمن كان فيه إيمان ونفاق يسمى "مسلمـاً" هذا إذا كان إسلامـه وإيمانـه أغلـب، "وإذا كان نفـاقـه أغلـب من إيمانـه لم يستحق اسم الإيمان بل اسم المنافق أحق به"<sup>(3)</sup>.

### الاتهام بالنفاق

وإن من الآفات المنتشرة بين الناس اتهام الآخرين بأمور قلبية لا يعلمها إلا الله عز وجل. كمن يتهم صاحبه بالنفاق أو الرياء. وإن من كمال الأدب في هذا الدين أن الله قد كشف لنبيه ﷺ عن أعداد المنافقين وأسمائهم، ولم يكشف النبي ﷺ أسماءهم وإنما أسرّ بأسمائهم إلى حذيفة بن اليمان ولو شاء لأعلنها على الملا، ولذلك كان عمر بن الخطاب يقول "إن ناساً كانوا يؤخذون بالوحـي في عهد رسول الله ﷺ وإن الوـحـي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهرـنا من أعمالـكم، فمن أظهرـ لنا خيراً أمـلاه وقربـناه وليسـ لنا من سـريرـته شيء: الله يحاسبـه في سـريرـته، ومن أظهرـ لنا سـوءـاً لم تـأـمنـه ولم تـصدـقه وإنـ قال إنـ سـريرـته حـسنة"<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

<sup>(2)</sup> أخرجه النسائي 117/8 وإسناده صحيح.

<sup>(3)</sup> مجموع الفتاوى 303/7.

<sup>(1)</sup> رواه البخاري (2641).

## خطورة التكفير

### وموقف أهل السنة والجماعة منه

الكفر حق الله ورسوله فلا كافر إلا من كفره الله تعالى. ولا يجوز لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم على التكفير إلا ببرهان وبينة مثل شمس النهار. فقد قال رسول الله ﷺ "من قال لأخيه يا كافر: فقد باء بها أحدهما" وفي رواية "حارث عليه"<sup>(1)</sup> أي رجعت على قائلها.

وإن من أعظم ما تزل به الألسنة: الحكم على الناس بفسق أو كفر أو زندقة لا سيما الاتهام بالنفاق. فإن الأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته وحسنظن به حتى يتحقق عكس ذلك. ومن الوسوسة اعتقاد أن الأصل فيه الشك حتى يتبيّن إسلامه. ولنأخذ العبرة فيما وقع لأسامة بن زيد رضي الله عنه إذ قال<sup>(2)</sup> "بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فأدركت رجلاً، فقال "لا إله إلا الله" فطعنته. فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي ﷺ فقال "يا أسامي: أقتلته بعدها قال لا إله إلا الله؟ فقلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح. قال: أفلأ شفقت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا؟". وينبغي أن تكون حادثة أسمامة بن زيد درساً عظيماً لكل مسلم.

ومن العجب أن من الناس من يتحفظون من أكل الربا والحرام ومن الزنا وشرب الخمر: ولا يتحفظون من التمادي في غيبة إخوانهم المسلمين أحياه وأمواتاً والطعن فيهم تفسيقاً بل وتكفيراً. وهم لا يدركون أن فعلهم هذا من أربى الربا كما قال النبي ﷺ<sup>(3)</sup> "أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم" وفي رواية "أربى الربا شتم الأعراض".

وقد أخبر النبي ﷺ أن "الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً تهوي به في النار سبعين خريفاً"<sup>(4)</sup> فقد يستصغر المرء كلمة وتكون عند الله عظيمة كما قال تعالى {إِذْ تَلَقُونَهُ بِالسِّنَنِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيْئَا وَهُوَ عِنْ دِيَنِ اللَّهِ عَظِيمٌ} والعجب أن هذا المتكلم إنما امتنع من تعاطي الربا ومن النظر إلى النساء خوفاً من أن يهوي في النار".

### ما يتربّ على تكفير المسلمين

إن الحكم بالكفر على إنسان هو أمر خطير وتترتب عليه آثار هي غاية في الخطرا:

1- أنه ارتد من الدين: وحكم المرتد في الشريعة أشد من حكم الكاتبي، وقد أباحت الشريعة ذبيحة أهل الكتاب أما ذبيحة المرتد فلا تحل. ولا يجوز إكراه أهل الكتاب في الدين. أما المرتد فإما أن يعود إلى دينه وإما أن يُقتل لقول النبي ﷺ "من بدل دينه

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

<sup>(2)</sup> رواه البخاري رقم (4269).

<sup>(3)</sup> سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (1433).

<sup>(4)</sup> متفق عليه.

"فاقتلوه"<sup>(1)</sup>. ولذا كانت الشهادة بـكفر مسلم: شهادة بوجوب قتله في الدنيا وحرمانه من الجنة في الآخرة، وهذا شر من مجرد الشهادة بالقتل ويفيد هذا قول النبي ﷺ "ومن رمى مؤمناً بـكفر فهو كقتله"<sup>(2)</sup>.

2- أنه لا يجوز لزوجته البقاء معه بل يجب التفريق بينهما حيث أجمع أهل العلم على تحريم زواج المسلمة من الكافر أو البقاء معه.

3- أنه إذا قُتل لا يُغسل ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

4- أن أولاده لا يرثونه ولا يرث هو إن مات له مورث.

5- أن معنى موته مرتدًا أنه خالد مخلد في النار لا خروج له منها.

6- أنه لا يجوز الدعاء له بالرحمة.

وهذه نتائج خطيرة توجب على من يتصرّد لـالتكفير أن يتريث قبل أن يقول ما يقول.

### الكبائر لا تخالد في النار

ومعلوم أن كبائر الذنوب لا تخرج من ملة الإسلام ولا تخالد أصحابها في النار بل يكون تحت مشيئة الله: إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه لقوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} وقد قال النبي ﷺ "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"<sup>(3)</sup>.

ثم إن الشريعة جاءت بـاللفاظ مثل الكفر والشرك والفسق والظلم والنفاق. وإن كثيرين من يستخدمون هذه الألفاظ لا يفرقون بين صغيرها وكبيرها. ويجهلون أن كلاً من هذه الألفاظ ينقسم إلى:

\* أكبر: مخرج من الملة، منافٍ لأصل الإيمان والدين. ومحظ للخلود الأبدي في النار.

\* أصغر: غير مخرج من الملة، وهو مناف لـكمال الإيمان والدين، كقولنا (كفر دون كفر، أو فسق دون فسق أو شرك دون شرك، أو ظلم دون ظلم، أو نفاق دون نفاق مع أنه يصح تسميتها بـكبائر الذنوب. وفاعلها لا يخالد في النار، بل أمره إلى الله: إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه. ثم يخرج برحمته من النار ويدخله الجنة.

<sup>(1)</sup> رواه البخاري رقم (6922).

<sup>(2)</sup> متفق عليه.

<sup>(3)</sup> رواه أحمد 3/212 وأبو داود (4739) بـسند صحيح.

فالفاشق من أهل القبلة لا يُنفي عنه مطلق الإيمان بفسقه ولا يوصف بالإيمان المطلق التام. وإنما يقولون: هو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبرته. إلا أن يكون فسقه فسقاً أكبر كقوله تعالى عن إبليس {إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ} (الكهف 50).

وقد أجمعوا على أن المعاصي إذا صغرت أم كبرت إذا كانت دون الشرك الأكبر لا تؤدي بذاتها إلى الحكم على المسلم بالكفر ويكون مرتكبها يوم القيمة تحت مشيئة الله تعالى: إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

ودليل ذلك من القرآن:

- قوله تعالى {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ} (النساء 48).

- قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقَصَاصُ فِي الْفَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرُّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَأَتَبَاعَ بِالْمَعْرُوفِ} فوصف القاتل بأنه أخ المقتول مع أن قتل النفس من كبار الذنوب ومع ذلك لا تصل إلى حد خروجه إلى ملة الكفر.

ومن السنة:

- قول النبي ﷺ "تعالوا بابعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزدوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا بهتانًا تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف. فمن وقى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه وإن شاء عفا عنه"<sup>(1)</sup>.

- قوله ﷺ "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض"<sup>(2)</sup> فالكفر هنا ليس الكفر الأكبر بدليل قوله تعالى {وَإِن طَافَقَنَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ افْتَلُوا فَأَصْلُحُوا بَيْنَهُمَا} (الحجرات 9) ثم قال {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلُحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ} (الحجرات 10) فوصفهم بأنهم مؤمنون وأنهم إخوة لبعضهم بعضاً بالرغم من اقتالهم فيما بينهم. والاقتال كبيرة من كبار الذنوب، وتوصف كبار الذنوب بأنها كفر وذلك من قبيل (كفر النعمة) لأنها ضد الشر. ولأن العاصي إنما يتقوى بنعمة الله على المعصية. فلو فرضنا رجلاً لم يأكل الطعام لأيام ثم عُرِضَ عليه امرأة حسناء ليطأها فإنه لا يستطيع ذلك بسبب حرمانه من الطعام الذي يُكسبه القوة والطاقة على ممارسة الشهوة. فلو لا نعمة الله (وهو الطعام) ما استطاع هذا العبد أن يزني. فاستعمال نعمة الله للوقوع في المعاصي كفر بنعمة الله.

- وحديث جبريل أن "من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة وإن زنا وإن سرق"<sup>(3)</sup>. وقد وقع الزنا في عهد النبي ﷺ فمن ذلك:

<sup>(1)</sup> رواه البخاري رقم (3892).

<sup>(2)</sup> البخاري رقم (4403).

<sup>(3)</sup> رواه البخاري رقم (1237).

- قصة ماعز بن مالك الذي أتى إلى النبي ﷺ يطلب منه أن يقيم عليه الحد لأنه زنا فأمر النبي ﷺ به بعض الصحابة أن يرجموه فعرض لهم ماعز نفسه ليرجموه من غير أن يوثقوه.

- وقصة الغامدية التي جاءت النبي ﷺ تطلب منه أن يقيم عليها الحد لأنها زنت. فأمرها أن ترضع طفلها وتقطمه ثم تأتي إليه بعد ذلك، ففعلت فأمر بها فرجمت<sup>(4)</sup>.

ولا ينبغي أن تمر على أذهاننا حادثة كهذه من غير أن نتأمل فيها مدى ما وصل إليه هذا المجتمع من الإيمان العظيم حتى يأتي المذنب يطالب بأن تقام فيه عقوبة الرجم حتى الموت لأنه يعلم أن عقوبته في الدنيا تکفر عنه العذاب في الآخرة مع أن النبي ﷺ أعطاه فرصة أن يتراجع ويستر على نفسه فقال "اللَّٰهُمَّ قَبْلَتْ فَقَطْ فَأَخْبِرْهُ أَنَّهُ جَاءَ عَلَىٰ عَوْبَةِ الْفَتْلِ". ولما رجموه قال النبي ﷺ استغفروا لما عز بن مالك. فقالوا: غفر الله لما عز بن مالك ثم قال لهم "لَقَدْ تَابَ [ماعز] تَوْبَةً لَوْ قَسَّمْتَ بَيْنَ أَمَّةٍ لَوْ سَعَتُهُمْ" وقال "أَلَا أَخْبِرُكُمْ مَا فَعَلَ اللَّهُ بِصَاحْبِكُمْ؟ غَفَرَ لَهُ وَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ" وفي رواية "والذي نفسي بيده: إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها"<sup>(1)</sup> و قال عن المرأة الغامدية "لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قَسَّمْتَ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَوْ سَعَتُهُمْ"<sup>(2)</sup>.

- وقصة شارب الخمر (واسمه حمار) الذي أمر النبي بضربه فقال رجل من القوم "أَخْرَاهُ اللَّهُ" وفي رواية "لَعْنَهُ اللَّهُ" ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي فقال النبي "لَا تَلْعَنُوهُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِنَّهُ يَحْبُبُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"<sup>(3)</sup> وفي رواية "لَا تَقُولُوا هَذَا، لَا تَعِنُّوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ، وَلَكُنْ قَوْلُوكُمْ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ تَبْ عَلَيْهِ"<sup>(4)</sup>.

وصدق رسول الله ﷺ فقد كان من محبة هذا الرجل للنبي أنه كلما يدخل المدينة يستلف من صاحب دكان سمناً ويهديه إلى النبي ﷺ فيأخذه منه ﷺ وهو يضحك، وبعد فترة يأتي صاحب الدين بهذا الرجل (حمار) إلى النبي ﷺ ويشكوه إليه أن يرد إليه دينه، فينتهي الأمر أن يدفع له النبي ﷺ ثمن السمن الذي أهداه إياه (حمار) من قبل.

فها هنا نرى النبي ﷺ يأمر بضربه لكنه ينهى عن شتمه ولعنه لأن أخيه الإيمان لم تذهب كل إيمانه بالرغم من هذا الذنب العظيم الذي اقرفه.

<sup>(1)</sup> رواه البخاري (6824) ومسلم (1693).

<sup>(2)</sup> مسلم 1691 وأبو داود (4428) والترمذى (4428).

<sup>(3)</sup> رواه مسلم (1696).

<sup>(4)</sup> أي ما علمته إلا يحب الله ورسوله.

<sup>(4)</sup> رواه البخاري رقم (6780) وأبو داود (4477).

## أصول مهمة في مسائل التكفير

**القاعدة الأولى:** أن كل عمل من أعمال الكفر لا نكفر صاحبه به إلا إن كان وراءه كفر اعتقادي، وإنما فهو كفرٌ عمليٌّ لا يوجب خروج صاحبه من الملة بمجرده، وعلى هذا جرى اتفاق السلف.

**القاعدة الثانية:** أنه لا يكفي أن يقول الرجل كفراً حتى نسارع إلى تكفيره، فقد يكون جاهلاً أو مخطئاً أو متأنلاً، فلا يقال له لأول وهلة: (كفرت) وإنما يقال له أخطأ.

\* فعن عبد الله بن عمر أن النبي ﷺ سمع عمر وهو يحلف بأبيه، فقال "إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصُمُّ" <sup>(1)</sup>. مع أنه ﷺ قال "من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" <sup>(2)</sup>.

\* وقد سأله بعض المسلمين النبي ﷺ - وكانوا حديثي عهد بإسلام - أن يجعل لهم ذات أنواع مشابهة لأنواع الذين كانوا يعلقون سيفهم بشجرة يتبركون بها فقال لهم النبي ﷺ "الله أكبر، إنها السنن، قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة" <sup>(3)</sup> فجعل قولهم شبهاً بقول اليهود "اجعل لنا آلهة".

**القاعدة الثالثة:** أنه لا يكفر بالكفر الاعتقادي باستيفاء شروط (شروط التكفير) وانتفاء موانع، بمعنى أن لا يقوم بالشخص مانع من تكفيه كبعض أنواع الجهل والتأويل والإكراه، فقد يجتمع في الأمر الواحد عدة موانع تمنع من الحكم الصحيح، ومثال ذلك:

استحلال الصحابي البدرى قدامة بن مظعون للخمر هو وأصحابه، متأنلين قول الله تبارك وتعالى {أَيْسَرَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقُوا وَآمَنُوا ثُمَّ أَتَقُوا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} <sup>(1)</sup> (المائدة 93).

فظن أنه لا جناح عليه أن يشرب الخمر إذا ما اتقى وآمن وعمل الصالحات.

ومعلوم أن تحريم الخمر ثابت في القرآن وأن من استحله بعد علمه بتحريمه فقد كفر، وكان قدامة يعلم هذا التحريم في القرآن، ومع ذلك لم يحكم الصحابة بكفره وأصحابه لوجود مانع التأويل، فإنه لما بلغ عمر خبر قدامة وأصحابه اتفق هو وعلى وسائل الصحابة أنهم إذا اعترفوا بالتحريم جلدوا، لأن الحد حق الله، وإن أصرروا على استحلالها

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى (1535) في الإيمان والندور وسنته صحيح.

<sup>(3)</sup> رواه الترمذى (2181) بإسناد صحيح.

<sup>(1)</sup> وسبب هذه الآية أنه لما نزل تحريم الخمر وذلك بعد معركة أحد: قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرّم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المنقين المصلحين (فتح الباري 278/8 نقشير الطبرى . (24/5).

قتلوا (يعني للكفر) وقال عمرٌ لعُدامه: أخطأت، أما إنك لو اتقيتَ وآمنتَ وعملتَ الصالحتَ لم تشربِ الخمرَ.

ثم أقيم عليه وعلى من معه الحد.

\* ثم إن عمر بلغه بعد ذلك أن قدامة أيسَ من التوبة فكتب إليه عمرٌ يقول "أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو {غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب} ما أدرى أي ذنبٍك أعظم: استحللك المحرم أولاً؟ أم يأسُك من رحمة الله ثانياً" <sup>(2)</sup>.

\* أن هناك فرقاً بين التكفير المطلق وبين تكفير المعين، فقد يكون قائل الكفر أو فاعله متاؤلاً أو جاهلاً فيعلم، وقد يقول المؤمن كفراً ولا يصير به مستحفاً لاسم الفاعل (كافر) فالحكم بالكافر على المعين يقتضي انتفاء موانع التكفير واقتضاء شروطه.

---

<sup>(2)</sup> الإصابة/3 228 مصنف عبد الرزاق 240/9.

## طريقة أهل البدع في تكفير الناس

وموقف أهل السنة من ذلك

قال ابن تيمية "وطريقة أهل البدع في التكفير الذين يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة لكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويکفرون من خالفهم في بدعتهم.

فالرافضة ابتدعوا تفضيل عليٍّ على الثلاثة وتقديمه في الإمامة، وكفروا من خالفهم.

وكذلك الجهمية ابتدعت نفي الصفات وجعلوا يکفرون من لم يوافقهم على ذلك.

قال "وأنمة السنة والجماعة وأهل الإيمان:

### فيهم العلم والعدل والرحمة

فيعلمون الحق الذي يكونون موافقين به الكتاب والسنة سالمين من البدعة، ويعدولون على من خرج منها ولو ظلمهم كما قال تعالى {كُوئُوا قَوْمَيْنَ لِلَّهِ شُهَدَاءِ بِالْقُسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى التَّقْوَىٰ}. ويرحمون الخلق، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، ولا يقصدون الشر لهم ابتداءً، بل إذا عاقبوهم، وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن يكون الدين كله لله، وأن تكون كلمة الله هي العليا.

فالمؤمنون أهل السنة أعمالهم خالصة الله تعالى، موافقة للسنة، وأعمال مخالفاتهم لا خالصة ولا صواب، بل بدعة واتباع الهوى، ولهذا يسمون "أهل البدع والأهواء".

فلهذا كان أهل العلم والسنّة لا يکفرون من خالفهم وإن كان ذلك المخالف يکفرهم. لأن الكفر حكمٌ شرعيٌّ، فليس للإنسان أن يعاقب عليه، كمن كذب عليك وزنى بأهلك: ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله، لأن الكذب والزنا حرام.

وكذلك التكبير حقٌّ لله، فلا يکفر إلا من كفره الله ورسوله.

وأيضاً فإن تكبير الشخص المعين وجواز قتله موقف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يکفر من خالفها، وإلا؛ فليس كل من جهل شيئاً من الدين يکفر.

ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلوية والنفافة الذين نفوا أن الله تعالى فوق العرش، لما وقعت محنثُم:

"أنا لو وافقتم كنْتُ كافراً، لأنني أعلم أن قولكم كُفرٌ. وأنتم عندي لا تكفرون لأنكم جُهَّالٌ. وكان هذا خطاباً لعلمائهم وقضائهم وشيوخهم وأمرائهم"<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> الرد على البكري 256 - 260 لابن تيمية.

## حكم تكفير شخص بعينه

وأهل السنة لا يحکمون على أحد بکفر ما لم ثقہ علیه الحجۃ وتحقیق فیه شروط الکفر وتنقی موافعه. ولا يقولون عن أحد من أهل القبلة إنہ من أهل الجنة أو النار إلا من خبر الله ورسوله کقول الله عن أبي لهب {سَيَصْلُى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ} (المسد 3) وشهادة النبي ﷺ للعشرة بالجنة.

إذ الحکم على شخص بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار أمر عظيم قد يؤدي بقائله إلى جهنم، يستوي في ذلك من حکم لشخص بالجنة أو بالنار فإن كلاً منها مفتر على الله.

وذكر النبي ﷺ أن رجلاً قال: والله لا يغفر الله لفلان. فقال الله: من ذا الذي يتّألي علىّ أني لا أغفر لفلان؟ فإني قد غفرت لفلان وأحببت عملك<sup>(1)</sup>. وفي روایة كان رجلان في بني إسرائیل متواخین، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول: أقصر، فوجده يوماً على ذنب فقال له: اقصر فقال خلني وربِّي، أبعثتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة، فقبضَ أرواحهما فاجتمعوا عند رب العالمين. فقال لهذا المجتهد: أكنت بي عالماً؟ أو كنت على ما في يدي قادرًا؟ وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: خذوا به إلى النار<sup>(2)</sup>.

فتتأمل كيف عظم ذنب هذا المجتهد في الطاعات عند الله حتى طغى على سينات هذا المُسيء، وذلك أنه حکم على أخيه بدخول النار نيابة عن الله. فهذا القول الواحد كان أعظم عند الله من عشرات الأعمال السيئة.

## اجتماع النقisiين

وإن من أعظم أصول أهل السنة والجماعة الاعتقاد بأن الرجل قد يجتمع فيه کفر ونفاق وصدق وإيمان وشرك وتوحيد وتقوى وفجور.

ولا يلزم قيام شعبة من شعب الإيمان به أن يسمى مؤمناً، وإن كان ما قام به إيماناً، ولا من قيام شعبة من شعب الكفر به أن يسمى كافراً وإن كان ما قام به کفراً.

\* فمن صدرت منه خلة من خلال الكفر فلا يستحق اسم کافر على الإطلاق. ک قوله ﷺ "من حلف بغير الله فقد کفر أو أشرك"<sup>(1)</sup>. ثم الكفر ذو أصل وشعب فكما أن الحياة شعبة من شعب الإيمان فإن قلة الحياة شعبة من شعب الكفر.

\* ثم إنهم لا يتمنون لمن ثبت کفره أن يموت على الكفر ولا يقطعون فيمن كان حاله الكفر أنه مات عليه، فإن الكافر قد يرجع ولو في آخر لحظة قبل موته، ولذلك إذا

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2622).

<sup>(2)</sup> رواه أبو داود 4901 وهو حديث حسن بشواهده.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذی رقم (1535) وإسناده حسن.

نقولوا عنه ضلالته قالوا: والله أعلم بما مات عليه. فإن الإنسان قد يرجع ولو في آخر لحظة من عمره.

### قيام الحجة قبل التكفير:

\* وإذا صدر عن المسلم شائبة من شوائب الكفر فيجب أن نحسن الظن أولاً ونرجح أن يكون قد قال ذلك جهلاً منه وأنه لا يريد بذلك الخروج من دائرة الإيمان وإنما ظن ما قاله إيماناً، وهنا يجب علينا أن نبين له أن ما يقوله خطأ ويكون عندنا الحجة التي نقضي بها على شائبه.

\* وقد يكون الرجل لم يعلم بتلك الحجة من قبل ولو علمها لتراجع عنها. أو لم يفهمها أو تكون قد عرضت له شبكات يعذرها الله بها. أو يظن من رد عليه أنه أقام عليه الحجة بينما حجته ضعيفة.

1 ) من الكتاب بحيث يكون الاستدلال في محله موافقاً لنص الحجة. ومن السنة بحيث يكون سند النص صحيحاً إذ لا تقوم الحجة برواية ضعيفة.

2 ) أن تكون الحجة واضحة لا لبس فيها ولا غموض.

3 ) أن تقطع الحجة كل شبهة عند الرجل إذا أقيمت عليه.

قال الشافعي "الله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فإنه يُعدّ بالجهل، لأن علم ذلك لا يُدرك بالعقل ولا الرؤية ولا الفكر. فثبتت هذه الصفات ونفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى 11).

وليس الحجة رأياً ترتائيه ووجهه نظر تتبناها وترجمه على تبنيها، وإنما الحجة تكون من آية من كتاب الله تعالى أو سنة صحيحة من سنن رسوله ﷺ فإذا أصرّ بعدها فيمكن تحذيره من خطورة إصراره وأن كلامه هذا فيه كفر بالله، فإذا أصرّ فحينئذ يمكن تكفيره.

## الكلام في الناس (علم) و (عدل)

والكلام في الناس يجب أن يكون "علم" و "عدل" لا بجهل وظلم ويقترن بالورع، فإن الورع رادع عن التمادي في الباطل. وهو ما حذر النبي ﷺ منه فقال "من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره. ومن مات وعليه دين فليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات. ومن خاصم في باطل وهو يعلم: لم ينزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال<sup>(1)</sup> حتى يخرج مما قال وليس بخارج<sup>(2)</sup>".

\* ثم على المتكلم أن لا ينسى محاسن من يتكلم فيه وإن كان مخالفًا له في المذهب أو الانتماء. فإن الهوى يقود إلى تجاهل حسنات المتكلم فيه وتضخيم سيئاته حتى يبدو كأنه شر محسن. فلا يجوز إغفال المحاسن لوجود بعض المساوى. والمنصف يغفر قليل خطأ أخيه في بحر حسناته وصوابه. وإذا بلغ الماء قلتني لم يحمل الخبث. ولا أزال أعجب حين ذكر حديث المرأة البغي من بغيها بنى إسرائيل التي سقط كلها كاد يموت من العطش، فشكر الله لها وأدخلها الجنة. وإذا كانت رحمة الله قد شملت امرأة هكذا حالها: أفلا يليق بنا أن تكون رحماء حتى مع من أخطأ من إخواننا لا سيما وأنه مهما أخطأ فإن خطأه لا يساوي شيئاً إذا ما قورن بخطأ تلك المرأة !!!

## ومن الغلو: التسرع في الحكم على الآخرين

إن سمة أهل الغلو التسرع وعدم الروية في الحكم على الآخرين وتکفيرهم، فسرعان ما تجدون في هذا الباب وينكشف تسرعهم وغلوهم.

ولقد علمنا القرآن أن عدم الإنفاق قريباً "ابتاع الهوى" حيث قال {يَا ذَوْلُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلُّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} وقال {فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا}.

\* وهل أضل الخوارج إلا الجور و عدم الإنفاق مما أوصلهم إلى تکفير من لا يجوز تکفيره كالصحابة ولذا صاروا يقتلون أهل الإسلام ويتربكون أهل الأوثان! ووصف أصحاب الفرق المنحرفة بـ "أهل أهواء" لأنهم أقرب إلى تحكيم الهوى منهم إلى تحكيم الكتاب والسنة.

## كيف يستغل الشيطان بذرة الغلو

إن الغلو آفة ومرض إذا لم يلقي العبد نفسه منها بلاقح الوقاية وقع في شر عظيم. والغلو إذا لم يتخذ له شكلاً في تصوف أو تشيع أو نصرانية فإنه لا بد أن يظهر في شكل آخر. فإن الخوارج أول مظاهر الغلو في الإسلام، وهم لم يكونوا يعتقدون بعصمة إمام ولم يكونوا يغالون في الأولياء أو يقيمون حفلات الموالد وإنما كان عندهم غلو من نوع آخر

<sup>(1)</sup> الردغة الطين. والخبال: الفساد ومعنى: الماء الفاسد الخارج من أهل النار أو "صديد أهل النار".

<sup>(2)</sup> أحمد 70/2 والحاكم 27/2 وصححه ووافقه الذهبي .

حملهم على ظلم عثمان بن عفان رضي الله عنه أيمًا ظلم وتكفير علي وعائشة وسائر الصحابة.

فأهل الغلو إما أن يغلو في مدح الآخرين أو يغلو في ذمهم. لأن أصل مادة الغلو كامن فيهم قابلون بسببه إلى أي انحراف وزيف.

ودواء هذا المرض متوفّر في هذا الآيات العظيمة:

{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَيْءٌ فَوْمٌ عَلَىٰ أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ} (المائدة 8) أي لا تحملكم عداوة قوم أن لا تعدلوا في حكمكم فيهم بالحق.

{فَلَا تَتَبَعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تُلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (النساء 135).

{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا فُرْبَىٰ} (الأنعام 152).

{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤْثِرُوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ} (النساء 58).

ويستطيع العبد المحافظة على إنصافه وعلمه حينما يتجرد من عواطفه وروابطه وانت茂اته. وإنصاف الصديق والعدو من ثمرات العلم النافع.

## مسألة العذر بالجهل

وقد نص العلماء رحمهم الله تعالى على أن من جحد أمراً معلوماً من الدين بالضرورة فقد كفر. والمعلوم من الدين بالضرورة هو ما لا يجهله جاهل ولا عالم. قال الإمام النووي "من جحد ما يعلم من دين الإسلام ضرورة: حكم بردته وكفره، وكذلك من استحل الزنا أو الخمر أو القتل أو غير ذلك من المحرمات التي يعلم تحريمها ضرورة"<sup>(1)</sup>.

فقد كان سبب عدم العذر بالجهل بها: أنها أمور معلومة لدى عامة الناس بالضرورة. ولكن هذا المعلوم من الدين بالضرورة هو أمر نسبي إضافي يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأشخاص. فقد يكون معلوماً بالضرورة في مكان، ويكون مجهولاً في مكان آخر يكثر فيه الجهل أكثر من غيره.

### أدلة العذر بالجهل

\* والأدلة على العذر بالجهل من القرآن الكريم:

{كُلُّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَالِهُمْ خَرَّنَتْهَا أَلْمٌ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ} (الملك 8).

{وَمَا كُلَّا مُعَدِّبِينَ حَتَّىٰ تَبَعَّثَ رَسُولًا} (الإسراء 15).

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلِّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَفَقَّهُونَ} (التوبه 115).

{وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبَعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (القصص 47).

{رَسُولًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ} (الناس 165).

{هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} (المائدة 111) قالوا ذلك لعيسى فلم يقل لهم كفرتم بالله.

فهذه الآيات تنص على أن الله لا يعذب الناس بل يبين لهم ويعلمهم طريق ربهم. ولا تكون المؤاخذة إلا بعد العلم.

<sup>(1)</sup> النووي على مسلم 1/100.

\* أما الأدلة على العذر بالجهل من السنة النبوية:

**الحديث الأول:** "لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. ولا أحد أحب إليه المدح من الله عز وجل من أجل ذلك مدح نفسه. ولا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث النبيين مبشرين ومنذرين" وفي رواية "من أجل ذلك أرسل رسله وأنزل كتبه"<sup>(1)</sup>.

**الحديث الثاني:** عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال "إن رجلاً حضره الموت، فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا مت فاجمعوا لي حطباً واحرقوني ثم دُرّوني في اليَمِّ، فوالله لئن قدر الله عليّ ليعدبني عذاباً لم يعذبه أحداً من العالمين. ففعلاً به ذلك. فقال الله له: ما حملك على ما فعلت؟ قال: خشيتك. فغفر الله له" و"تقاه برحمته"<sup>(2)</sup>.

فهذا رجل شك في قدرة الله أن يعيده. وهذا كفر لا خلاف فيه، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك وكان مؤمناً يخاف من الله أن يعذبه. والمتأنل المجتهد من هذه الأمة - الحريص على متابعة الرسول - أولى بالمغفرة من هذا. ولذلك قال ابن تيمية "وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية، والمسائل العملية"<sup>(3)</sup>.

**الحديث الثالث:** أن عائشة سالت رسول الله ﷺ "مهما يكتم الناس يعلمه الله؟ قال: "نعم"<sup>(4)</sup>. وهذه عائشة رضي الله عنها تسأل إن كان الله يعلم كل شيء. وإنكار علم الله بكل شيء كإنكار قدرته على كل شيء. ومع ذلك لم تكن عند سؤالها هذا كافرة.

**الحديث الرابع:** عن أبي واقد الليثي قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بکفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم. يقال لها ذات أنواط. فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال "الله أكبر إنها السنن، قلت والذى نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلَهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} (الأعراف 138) لتركين سنن من كان قبلكم"<sup>(1)</sup>.

- والحديث يفيد أن بعض الصحابة الذين لم يتعلموا كل أمور التوحيد طلبوا من النبي ﷺ أن يأذن لهم في تعليق سيفهم عند الشجرة تبركاً بها على النحو الذي يفعله المشركون، فلم يحكم النبي ﷺ بأنهم كفروا بذلك ولم يأمرهم بتجديده إسلامهم وتتجديد عقود زواجهم، بل حذرهم بأن قولهم هذا شبيه بقولبني إسرائيل لموسى، غير أنه عذرهم بجهلهم وأخبرهم أن ما سألوه هو الكفر بعينه. فحكم بکفر قولهم ولم يحكم عليهم بأنهم كفروا.

<sup>(1)</sup> رواه البخاري (4637).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري (3452) ومسلم (2934).

<sup>(3)</sup> مجموع الفتاوى 3/ 229.

<sup>(4)</sup> رواه مسلم (974).

<sup>(1)</sup> رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة 1/ 37 بإسناد حسن.

ومن هنا قال أهل العلم: قد يقول المسلم كفراً. وقد يحكمون على الأمر بأنه كفر ولا يحكمون بأن كل من وقع منه هذا الأمر يكون خارجاً عن الملة لأن شرط ذلك ألا يكون له عذر مقبول. ولذلك يقولون: من قال كذا فهو كافر لكن الشخص المعين لا يُحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة. لأن المسلم قد يقول كفراً ومع ذلك لا تقوم به صفة الكفر حتى تقوم عليه الحجة.

وعلي رضي الله عنه لم يحكم بكافر الخوارج. ولما سئل عنهم: هل هم كفار؟ قال: هم من الكفر فرّوا. فقيل له: هل هم منافقون؟ قال: المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله صباح مساء، وإنما هم إخواننا بعوا علينا<sup>(2)</sup>.

- وكان السلف كأحمد وغيره يكفرون الجهمية لكنهم لم يكونوا يكفرون أعيانهم، وذلك بالنظر إلى التفريق بين من يدعوا إلى القول وبين من يقول به. فإن الداعي إلى القول أعظم من الذي يقول به، وكان أ Ahmad يدعو للمؤمنين ويترحم عليه مع أنه تبنى أقوال المعتزلة وألزم بها العلماء وعذب من لم يوافقها.

**الحديث الخامس:** عن عبد الله بن أبي أوفى قال "لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال "ما هذا يا معاذ؟ قال معاذ: أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفهم وبطارق THEM فوددت نفسي أن أفعل ذلك لك، فقال النبي ﷺ لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها<sup>(1)</sup> ولا شك أن السجود لغير الله كفر، ومع ذلك لم يحكم النبي ﷺ بكافر معاذ، وإنما عذر لجهله بأنه لا يجوز السجود لغير الله مطلقاً ولا حتى النبي.

**الحديث السادس:** حديث الربيع بنت معوذ بن عفراة أن جويريات جعلن ينشدن ويقلن "وفي نبي يعلم ما في غد" فقال النبي ﷺ "دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين"<sup>(2)</sup>. ولا شك أن اعتقاد أن النبي يعلم الغيب منافق لأمر الله إلى النبي ﷺ أن يقول {ولا أعلم الغَيْبَ} وهذا كفر. ولكن النبي ﷺ عذر لهم لجهلهم.

**الحديث السابع:** عن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ وقال له "ما شاء الله وشئت". فقال ﷺ "أجعلتني الله نذًا؟ ما شاء الله وحده"<sup>(3)</sup>. فهذه الأدلة يجعل العذر بالجهل معتبراً شرعاً وهو ما لا يعتبره المتسرون والمغالون.

<sup>(1)</sup> رواه البيهقي في السنن 173/8.

<sup>(2)</sup> رواه أحمد 381/4 بسند صحيح بشواهده.

<sup>(3)</sup> رواه البخاري في النكاح: باب ضرب الدف رقم (5147).

<sup>(4)</sup> رواه أحمد 214/1 وابن ماجة (2117).

## حكم أهل الفترة

كثيراً ما يتتسائل البعض: ماذا عن الأمم المعزولة عن العالم كأهل الغابات وغيرهم ممن لم تبلغهم دعوة الإسلام: هل يغذبهم الله تعالى أم يغدر بهم؟ وما حكم من لم تبلغه دعوة الرسل لا سيما وأن النبي ﷺ قال "والذي نفسي بيده: لا يسمع بي رجل من هذه الأمة ولا يهودي ولا نصراني ثم لم يؤمن بي إلا كان من أهل النار"<sup>(1)</sup>.

وهذا أمر طرحته أهل العلم من قبل بما يعرف بـ(أهل الفترة) وذكرها أنهم يُمتحنون يوم القيمة بنار يأمرهم الله تعالى أن يقتربوا فم من اقتحموا دخول الجنة وهو الذي يصدق الرسل لو جاءته في الدنيا، ومن امتنع من دخول النار عذب فيها وهو الذي كان يكذب الرسل لو جاءته في الدنيا، فإن الله تعالى يعلم ما لم يكن: لو كان كيف يكون كما قال عن أهل النار الذين يسألونه يوم القيمة أن يعيدهم إلى الدنيا قائلين {يَا لَيْتَنَا أَرَدْ<sup>وَلَا نُكَذِّبَ</sup> بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} فيكذبهم الله ويرد عليهم {وَلَوْ رُدُّوا لَعَذَّبُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} وكما قال تعالى أيضاً عن المعرضين {وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرَضُونَ}.

\* واستدل أهل العلم أيضاً على ذلك بما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال:

"أربعة يوم القيمة يدخلون بحجة:

1) رجل أصم لا يسمع.

2) ورجل أحمق.

3) ورجل هرم.

4) ومن مات في الفترة.

فأما الأصم فيقول: يا رب جاء الإسلام وما أسمع شيئاً.

وأما الأحمق فيقول: جاء الإسلام والصبيان يقذفونني بالبعر.

وأما الهرم فيقول: لقد جاء الإسلام وما أعقل.

وأما الذي مات على الفترة فيقول: يا رب ما أتاني رسولك.

فيأخذ مواطنهم ليطيعنه. فيرسل إليهم رسوله أن ادخلوا النار. قال ﷺ : فوالذي نفسي بيده لو دخلوها وكانت عليهم برداً وسلاماً" وفي رواية "فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن لم يدخلها يُسحب إليها"<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> مسلم (153) وابن مندة في التوحيد .

<sup>(1)</sup> رواه أحمد 24/4 وابن حبان (1827) وصححه الألباني في الصحيحة (1434) .

وليس المقصود أن كل من سمع بالنبي ﷺ ساماً مجرداً يدخل النار. بل قد يطلع النصراني على سيرة النبي ﷺ من خلال افتراءات المستشرقين والمتعصبين الذين يتهجمون على شخصه ﷺ ويتهمونه بشتى الأكاذيب. بل المقصود أن يسمع به ساماً يحدث عنده ضمناً القناعة ببنوته والله أعلم.

(نواقض الإيمان)

## الولاء والبراء

و معناه: موالاة أهل الطاعة والإيمان ونصرتهم ومحبتهم. والبراءة من أهل الكفر والشرك وبغضهم ومعاداتهم لكرفهم وعصيائهم. وهذا الموضوع من أهم أصول العقيدة، لقول النبي ﷺ "أوثق عرى الإيمان: الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله"<sup>(1)</sup>. وقال "من أحب الله وأبغض الله. وأعطى الله، ومنع الله، فقد استكمل الإيمان"<sup>(2)</sup>.

ف الإسلامي يعلم المؤمن: إذا أحب أن يكون حبه لله، وإذا أبغض أن يكون بغضه لله، لا لمنفعة دنيوية. ولا لقرابة أو نسب". وكان النبي ﷺ لا يغضب لنفسه وإنما كان يغضب إذا انتهكت حرمات الله وحدوده.

والإيمان بالله واليوم الآخر يقتضي عدم مواد الكافرين أي نصر لهم ومحبتهم، {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَدِّونَ مَنْ حَادَ اللَّهَ وَرَسُولُهُ وَلَوْ كَثُرُوا آبَاءُهُمْ أَوْ أَبْنَاءُهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} (المجادلة 22).

فالمؤمن تكون محبته متوافقة مع محبة الله تعالى. فلا يحب من يبغضهم الله، ولا يبغض من يحبهم الله. قال تعالى {بِاِئْمَانِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنَوَّلُوا قَوْمًا غَضِيبَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ} (المتحنة 13). ومن تولى قوماً فهو منهم حتى يتبرأ منهم. والمرء يُحشر يوم القيمة مع من أحب.

### ومن الموالاة للمؤمنين:

\* مناصرتهم ومعاونتهم بالمال والنفس. قال تعالى {وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ الْأَنْصَارُ} (الأنفال 72). وقال {إِنَّمَا وَلِيَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (المائدة 55). وقال رسول الله ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه ببعض"<sup>(3)</sup> وقال<sup>(4)</sup> "المسلم أخو المسلم: لا يحرقه ولا يخذه ولا يسلمه".

\* مشاركة المسلمين أحزانهم ومتابعة أحوالهم: والفرح لفرحهم والحزن لهم إذا أصابهم سوء. قال رسول الله ﷺ "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسرير"<sup>(1)</sup>.

\* أما المنافق والكافر فعلى العكس من ذلك. قال تعالى {إِنَّمَا تَمْسَكُمْ حَسَنَةً تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِبُّكُمْ سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا} (آل عمران 120).

<sup>(1)</sup> رواه الحاكم 480/2 وصححه ووافقه الذهبي .

<sup>(2)</sup> رواه أبو داود بإسناد صحيح .

<sup>(3)</sup> البخاري (2446) .

<sup>(4)</sup> البخاري 2442 ومسلم 2850 .

<sup>(1)</sup> البخاري 6011 ومسلم 2586 .

\* محبتهم ومحبتهم. قال تعالى {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاءِ وَالْعَشَيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} (الكهف 28). والستر على عيوبهم مع ((مناصحتهم)) وعدم إظهار عوراتهم وكشف عيوبهم أمام أحد من الناس.

\* أن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويبغض لهم ما يبغض لنفسه. قال رسول الله ﷺ<sup>(2)</sup> "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".

\* الرفق بهم. والدعاء والاستغفار لهم. وأن لا يقف منهم موقف الشدة والعداء. فلقد كان سلفنا الصالح {أَشْدَاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحْمَاءَ بَنِيهِمْ} (الفتح 29) {أَدَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ} (المائدة 54). وإنها لعلامة على الانحراف والظلم أن ينعكس الأمر عند البعض حتى صاروا على عكس سلفهم: أشداء على المؤمنين رحماء بالكافر. أدلة على الكافرين أعزة على المؤمنين.

### ومن الموالاة للكافرين

محبتهم وتعظيمهم والتزام الطاعة لهم. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنَقْلِبُوا خَاسِرِينَ، بَلَ اللَّهُ مَوْلَانَا وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ} (آل عمران 150). وقال {إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا} (المائدة 55).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري 13 ومسلم 45 .

## من أسباب لعن اليهود

وقد لعن اليهود على لسان أنبيائهم {لَعْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاؤُودَ وَعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ}. وسبب ذلك أنه:

1) {كَانُوا لَا يَتَاهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوْهُ}.

2) {تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا}.

فحكم القرآن على ولائهم لهم بالفسق، قال {وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا نَزَّلَ إِلَيْهِ مَا أَخْرَجُوهُمْ أُولَئِاءِ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ} (المائدة 80).

- وأكد أن المؤمن لا يمكن أن يتخذ عدو الله ولينا له فقال {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَخَذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أُولَئِيَّةً؟} (الكهف 102).

- ومن ثم توجه النبي إلى المسلمين أن يأخذوا العبرة من هؤلاء. فلا يتولون أحداً من هذه الأمة التي لعنها أنبياؤها. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَخَذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أُولَئِيَّاءَ بَعْضُهُمُ أُولَئِيَّاءِ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مَنْكُمْ فَإِنَّهُمْ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (المائدة 51).

- فكل من صلي وصام وزكي وحج وهو مع ذلك يتولى اليهود والنصارى ويظاهرون على المؤمنين ويودهم ويستنصر بهم فحكمه حكم أهل الكتاب وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم.

\* وحذر الله من نصرتهم والدفاع عنهم. وكشف حال المنافقين الذين وعدوا اليهود بنصرتهم على رسول الله ﷺ مع زعمهم أنهم مؤمنون فقال {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَأَفَقُوا بِقُوَّلُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرَجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُطِيعُ فِيهِمْ أَهْدَا أَبْدَا وَإِنْ فَوَّتُلُّمْ لَنَتَصْرَفَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِلَيْهِمْ لِكَاذِبُونَ} (الحشر 11).

\* وحرم الرضا عنهم. فإنهم لن يرضوا عن المؤمن من مهما حاول إرضاءهم. قال تعالى {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَبَعَ مَلَئِهِمْ} (البقرة 120) وقد يتظاهرون بالرضا وقلوبهم تأبى ذلك كما قال {يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْتُرُهُمْ فَاسِقُونَ} (التوبه 9) {فَذَذَبَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُحْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} (آل عمران 118).

\* ونهى عن الثقة بعهودهم والاطمئنان إلى مواثيقهم وذممهم. ولا غرو فقد وصفهم بأنهم {يَنْفَضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَقْنُونَ} (الأفال 56) وأنهم يحافظون على عهودهم ما داموا في حالة الضعف والمهادنة فإذا ظهروا وقويت شوكتهم نكثوا عهودهم ولم يرعوا للمسلمين عهداً.

قال تعالى {كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيهِمْ إِلَّا وَلَا ذَمَّةٌ} (التوبه 8). وقال {إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِذُّوكُمْ فِي مَلَئِهِمْ} (الكهف 20).

- وواقع الحال يشهد بذلك. ولما غفل المسلمون عن ذلك توالت عليهم المهزائم وتسقطت عليهم كلمة الكفر. ودفعوا ضريبة موالاتهم لهم ذلاً وتشذذاً.

\* ونهى عن تقريرهم وإظهار الود لهم، وإكرامهم. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخُدُوا عَدُوِّي وَعَدُوكُمْ أَوْلَيَاءُ تُلْفُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءُكُمْ مِّنَ الْحَقِّ} (المتحنة 1).

\* واتخاذهم بطانة من دون المؤمنين ومشاورتهم في أمور الدين. قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَنْخُدُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ حَبَالًا وَدُؤُوا مَا عَنِتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَعْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ} (آل عمران 118).

\* ومنع من التشبه بهم، واتخاذهم قدوة مما يؤدي إلى تعظيمهم واتباع طريقتهم في اللباس والمظهر والسلوك. قال ﷺ "من تشبه بقوم فهو منهم"<sup>(1)</sup>. وقد شدد النبي ﷺ على ضرورة مخالفة الكفار والمشركين. فإن تقليدهم يذيب شخصية من يقلدهم ويجعله يدور في فلكهم، وربما صار تبعاً لهم، ثم معجباً بهم، ثم مفتوناً بهم، ثم محباً لهم موالياً لهم. قال ﷺ يُحشِّر المرء يوم القيمة مع من أحب<sup>(2)</sup>.

\* ومن موالاتهم: استعارة قوانينهم واستبدال شريعة الله بها. كما حكى الله عن اليهود {يُرِيدُونَ أَن يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أَمْرُوا أَن يَكُفُرُوا بِهِ} (النساء 60).

ووصف التحاكم إلى قوانين البشر المتناقضة بأنه هبوط إلى الجاهلية فقال {أَفَحُكِّمَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقَنُونَ} (المائدة 50).

ونفي الإيمان عن يرفض التحاكم إلى الله والرسول فقال {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ}. بل اشترط عليهم التسليم والرضا بحكم الله فقال {إِنَّمَا لَا يَحِدُّونَ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مَّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا شَسْلِيمًا} (النساء 65). أي لا يؤمنون لمجرد أن يتحاكموا إلى الله والرسول مع كراهيتهم لحكمه أو مع عدم التسليم له، بل لا بد من الرضا والتسليم كشرط للإيمان.

\* الركون إليهم والخضوع الطوعي لهم. قال تعالى {وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِياءِ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} (هود 113). بل قال لنبيه ﷺ {وَلَوْلَا أَن تَبَتَّتَكَ لَقَدْ كَيْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ، إِذَا لَأْقَتَكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} (الإسراء 74).

\* مداهنتهم ومجاملتهم. قال تعالى {وَذُو الْوُتْهُنْ فَيُذْهِنُونَ} (الفمل 9) وكشف خداعهم للمؤمنين فقال {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا تَحْنُّ مُسْتَهْزِئُونَ} (البقرة 14).

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود (4031) بسنده حسن.

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى 96 و 3529 وهو صحيح.

\* مشاركتهم في أعيادهم وتهنئتهم عليها، وتقديم الهدايا لهم لأن في ذلك مدحًا لدينهم وإقراراً لهم على ما هم عليه من الباطل.

## قدوتنا الصالحة في الولاء والبراء

وقد جعل الله لنا من سلفنا الصالح قدوة نقتدي بهم، إذ قص علينا كيف تبرؤوا من قومهم وعشيرتهم المشركين وأعلنوا بغضهم لهم: قال تعالى {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِّنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} (المتحنة 4). وكيف تبرأ إبراهيم من أبيه لما علم إصراره على الكفر {وَمَا كَانَ اسْتَعْقَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوُّ اللَّهِ ثَبَرَ مِنْهُ} (التوبة 114).

وتبرأ نبينا ﷺ من كل مشرك وإن كان من قرابته وعشيرته إذ قال "إن آل أبي فلان ليسوا لي بأولياء، إنما ولبي الله وصالح المؤمنين"<sup>(1)</sup>.

ويشتد قبح الموالاة للكفار إذا كان الذين يوالونهم من يحاربون الله ورسوله ﷺ، ويكررون لإطفاء نوره، ويترбصون بعباده المؤمنين.

ولقد فرق الله بين الكافر المسلح للمؤمنين وبين الكافر المحارب لهم، فبدأ بالنوع الأول قائلاً: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرُجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} ثم حذر من النوع الثاني فقال: {إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ تَوْلُوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (المتحنة 8).

وكذلك يزداد قبحاً حين تكون موالاة الكفار ضد فريق من المؤمنين قال تعالى {لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِيَّاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَإِنَّمَا مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَنْتَقِلُوا مِنْهُمْ نُقَاهَ} (آل عمران 28) أي لا تخذلوهم لكم أنصاراً تستعينون بهم على المؤمنين، وتذلونهم على عوراتهم ومكامن ضعفهم.

فمن فعل ذلك فليس من الله في شيء، أي أن الله بريء منه بارتداده عن دينه ودخوله في حلق الكفارة والمشركين وحزبهم. إلا أن يكون المؤمن مستضعفًا مغلوبًا على أمره، مقهوراً على إرادته من قبل المشركين.

فالمؤمنون يتولى بعضهم بعضاً، وينصر بعضهم بعضاً {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمَنَاتُ بَعْضُهُمْ أُولَئِيَّاءَ بَعْضٍ} (التوبة 71) كما أن المنافقين والكافار يتولى بعضهم بعضاً {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ} (التوبة 67).

وقد توعدهم الله بالعذاب الأليم على موالاتهم للكافرين من دون المؤمنين. فقال {بَشَّرَ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ، الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أُولَئِيَّاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبَيْتَغُونَ عِنْهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} (النساء 138). وقال {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} (المنافقون 8).

<sup>(1)</sup> رواه البخاري رقم 5990

و لا يمكن للكفار ولا المنافقين أن يتخذوا المؤمنين - عباد الرحمن - أولياء لهم من دون الله. قال تعالى {أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَخَذُوا عِبَادِي مِنْ ذُو نِي أُولَئِكَ} (الكهف 102). وإنما يوالىهم من صفوف المؤمنين المنافقون المحسوبون على المؤمنين وهم عند الله من جملة الكفار.

ولذلك لما تولى منافقو المدينة اليهود ضد المؤمنين آخى الله بينهم برباط الأخوة في الكفر فقال {أَلَمْ يَرَ إِلَى الَّذِينَ نَأَفْعَلُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ} (الحشر 11). ولا عجب فالله تعالى يقول {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} (المائدة 51). ويقول رسولنا ﷺ "المرء يوم القيمة مع من أحب"(1). فمن قوماً حشر معهم، وكان في زمرتهم يوم القيمة.

وكل من أحب كافراً وظاهره وتولاه واستنصر به على مؤمن ومحنه منه فإنه من جنس هذا الكافر، وهو أخ له. فموالاة الكفار والظلمة المشركين ركون إليهم، وقد توعد الله الذين يرکنون إليهم ويختضعون لهم ويصانعونهم بالعذاب يوم القيمة. قال تعالى {وَلَا تَرْكُوْا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُوا بِالثَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونَ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ} (هود 113).

<sup>(1)</sup> رواه البخاري 6170 ومسلم 2640 .

## الفرق بين البر والموالاة

على أن هناك فرقاً بين موالاة الظالمين وبين مجرد البر بهم، ومعاملتهم بالقسط والعدل لا سيما فيما يتعلق بالوالدين إذا كانوا كافرين، أو بر الكفار الذين لا يحاربوننا في ديننا.

وهذا التفريق مستفاد من قوله تعالى:

{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا} (المائدة 2)  
وقوله {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة 8).

### مصدر التفريق بين البر والولاء

وقد فرق الله بين الذين يقاتلوننا في ديننا وبين من لا يفعلون ذلك فقال {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرُجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوْلُوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (المتحنة 8).

فذكر الله صنفين من أهل الكفر:

1- كفار لا يقاتلوننا في الدين.

2- كفار يقاتلوننا في ديننا محاربة الله ولرسوله ﷺ ، وصدأ عن سبيل الله.

ومع أنه أباح لنا أن نبرّ الفريق الأول دون الثاني، إلا أنه لم يحل لنا أن نتولى أيهما.

والفرق بين كلا الفريقين كامن في العدل والإنصاف وليس في الموالاة. فموالاة الكفار محمرة سواء كانوا كفاراً محاربين أم كفاراً مساملين.

3- وقد أمرنا الله أن تكون مقتطفين منصفين دائمًا مع كلا الفريقين وسواء مع إخواننا أو مع أعدائنا. قال تعالى {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى}.

(نواقض الإيمان)

## السحر والشعودة

السحر من أنواع الشرك ولا يحصل إلا بالاستعانة بالشياطين والتقرب إليهم بما يغضب الله جل وعلا.

والسحر عزائم ورقى وعُقد تؤثر في القلوب والأبدان، فتُمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه كما قال تعالى {فَيَنْعَلِمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرِغُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ} (البقرة 102).

غير أن عمل السحرة لا يؤثر في المسحور إلا أن يشاء الله كما قال {وَمَا هُمْ بِضَارٍّ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ} فقد يأذن الله بعقوبة فاسق غافل عن ذكره معرضًا عن دينه، قد جرّد نفسه بفسقه وبعده عن الله من السلاح المضاد للشياطين وصار بذلك عرضة لبعثتهم وأذاهم. وإنما الحصن من كيد السحرة وشياطينهم هو الاعتصام بالله وطاعته وكثرة ذكره. لا حصن ولا حماية من أذاهم إلا بذلك.

وقد تكون إصابته بالسحر أو العين ابتلاء لمدى صبر العبد، والابتلاء يحصل به أحد اثنين: إما أن يرفع الله له الدرجات ويكثر الحسنات أو يُكْفَر عنـهـ السـيـئـاتـ جـزـاءـ لـهـ علىـ بـصـرـهـ.

ويدخل في مسمى السحر ما يفعله بعض الناس اليوم مما يسمى (خفة يد) أو (تحضير الأرواح) وغيرها من أفعال الشعودة والدجل.

### أقسام السحر

والسحر قسمان:

**الأدهما:** سحر خيالي. قال تعالى عن سحرة فرعون {فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْتَرْهُبُوهُمْ وَجَاءُوكُمْ بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} (الأعراف 116) فإنهم لما ألقوا عصيهم أمام موسى: صار {يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَلَّهَا تَسْعَ} (طه 66) أي خُيل إلى موسى أن الحال تسعى حية تمشي.

**الثاني:** سحر حقيقي أمرنا الله أن نستعيذ من أهله {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ، مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ، وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ، وَمِنْ شَرِّ النَّفَاثَاتِ فِي الْعُقَدِ} أي من الساحرات اللواتي ينفخن في عقد السحر. ولو لا أن له حقيقة ما أمرنا الله أن نستعيذ منه.

وقد تعرض النبي ﷺ لسحر لبيد بن الأعصم اليهودي<sup>(1)</sup> فصار يُخَيِّلُ إليه أنه يأتي النساء وهو لا يأتيهن، حتى أتاه ملكان فحلّ ما عقده له. قال زيد بن أرقم<sup>(2)</sup> "سحر النبي ﷺ من اليهود، فاشتكى لذلك أيامًا فأتاه جبريل فقال: إن رجلاً من اليهود سحرك".

<sup>(1)</sup> رواه البخاري 5766 .

<sup>(2)</sup> رواه النسائي 112/7 بسند صحيح .

قال النووي "وقد أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث فزعموا أنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها ويمنع الثقة في الشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعة باطل لأن الدلائل القطعية قد قامت على صدقه وصحته وعصمته  $\rho$  فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزة شاهدة بذلك".

ثم نقل عن القاضي عياض أن التخيل كان بالبصرة لا خلاً تطرق إلى العقل وليس في ذلك ما يدخل ليساً على الرسالة ولا طعناً لأهل الضلاله<sup>(3)</sup> فإن التخيل الذي وقع له شبيه بالتخيل الذي حصل لموسى عليه السلام حين ألقى سحرة موسى حبالهم وعصيهم فظنها موسى حية كما قال تعالى {يُخَيِّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَ} فقد تخيل موسى شيئاً لم يكن على حقيقته. وهو عين ما وقع للنبي محمد  $\rho$  حيث صار يخيل إليه أنه كان يأتي النساء وهو لا يأتيهن.

### حكم السحر في الإسلام

وقد حكم مالك وأحمد وأبو حنيفة بکفر الساحر. واستدلوا بقوله تعالى {وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحْرُ} (البقرة 102) و قوله {وَمَا يُعْلَمَانَ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولُوا إِنَّمَا أَنْحَنُ فِتْنَةً فَلَا تَكُونُ} . قال ابن عباس وذلك أنهما عرفا أن السحر من الكفر. وكتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة.

---

<sup>(3)</sup> شرح مسلم للنووي 425/14

## الكهانة والعرفة من أنواع السحر

الكافر هو الذي يخبر عن المضموم فيصيب ببعضه ويخطئ البعض الآخر، ويزعم أنه يعلم الغيب وما في المستقبل وأن الجن تأتيه بالخبر<sup>(1)</sup> يدعى لنفسه ما هو من خصائص الله وحده كما قال تعالى {عَالَمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} (الجن 26).

وهذا الغيب الذي يدعى الكافر بواسطة التجميم أو الضرب بالرمل أو المندل إنما يتلقاه من الشياطين الذين يخبرونه عن الشيء الذي يرونـه هـم ولا يراهـ هـو، ويكونـ غائـباً عنـ أعينـ الأنسـ لاـ عنـ أعينـ الجنـ وذلك لسرعةـ تـتقـلـهمـ فيـ أماـكنـ بـعيـدةـ فيـ وقتـ يـسـيرـ.

لا يعلم الغيب إلا الله

وهذا لا يسمى علمـاـ بالـغـيـبـ فهوـ خـاصـ بـالـلهـ تـعـالـىـ لاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ أـنـسـ وـلـاـ جـانـ، قـالـ تـعـالـىـ {فـلـاـ يـعـلـمـ مـنـ فـيـ السـمـاـوـاتـ وـالـأـرـضـ الـغـيـبـ إـلـاـ اللـهـ} (النـملـ 65). بلـ لاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ الـأـنـبـيـاءـ الـذـيـنـ هـمـ أـحـبـ الـخـلـقـ إـلـىـ اللـهـ. فـقـدـ أـمـرـ اللـهـ نـوـحـ عـلـيـهـ السـلـامـ أـنـ يـقـولـ {وـلـاـ أـعـلـمـ الـغـيـبـ} (هـودـ 431). وـأـمـرـ مـحـمـداـ مـأـنـ يـقـولـ {وـلـوـ كـنـتـ أـعـلـمـ الـغـيـبـ لـاستـكـرـتـ مـنـ الـخـيـرـ وـمـاـ مـسـنـيـ السـوـءـ} (الأـعـرـافـ 188) فـكـيفـ يـنـالـهـاـ مـنـ هـمـ دـوـنـهـ؟

ونحن نرى هؤلاء يبغضـهمـ الموـتـ منـ غـيرـ أـنـ يـحـيـطـواـ عـلـمـاـ بـموـعـدـ موـتـهـ!!.

أما الجنـ الـذـيـنـ يـزـوـدـونـهـمـ فـقـدـ كـشـفـ اللـهـ جـهـلـهـمـ بـالـغـيـبـ حـينـ مـاتـ سـلـيـمانـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـبـقـيـ مـتـكـئـاـ عـلـىـ عـكـازـتـهـ فـلـمـ يـسـقطـ عـلـىـ الـأـرـضـ مـعـ أـنـ الجنـ كـانـتـ تـمـرـ بـيـهـ وـلـاـ تـعـلـمـ شـيـئـاـ عـنـ مـوـتـهـ، فـلـمـ أـكـلـتـ الـأـرـضـةـ عـصـاهـ سـقـطـتـ فـخـرـ عـلـىـ الـأـرـضـ، عـنـدـهـاـ عـلـمـتـ الجنـ بـمـوـتـهـ<sup>(2)</sup> قـالـ تـعـالـىـ {فـلـمـاـ قـضـيـنـاـ عـلـيـهـ الـمـوـتـ مـاـ ذـلـهـمـ عـلـىـ مـوـتـهـ إـلـاـ دـأـبـةـ الـأـرـضـ تـأـكـلـ مـنـسـأـتـهـ فـلـمـاـ خـرـ تـبـيـنـتـ الـجـنـ أـنـ لـوـ كـانـواـ يـعـلـمـونـ الـغـيـبـ مـاـ لـبـثـواـ فـيـ الـعـدـابـ الـمـهـيـنـ} (سبـاـ 14).

والكافر تتنزلـ عـلـيـهـ الشـيـاطـينـ. قـالـ تـعـالـىـ {هـلـ أـنـبـئـكـمـ عـلـىـ مـنـ تـنـزـلـ الشـيـاطـينـ، تـنـزـلـ عـلـىـ كـلـ أـفـاكـ إـثـيـمـ ، يـلـفـونـ السـمـعـ وـأـكـثـرـهـمـ كـادـيـوـنـ} (الـشـعـرـاءـ 222). ولـفـدـ سـئـلـ رسولـ اللـهـ pـ عـنـ الـكـافـرـ فـقـالـ: لـيـسـواـ بـشـيءـ. قـيلـ لـهـ: يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ إـنـهـمـ يـحـدـثـونـنـاـ أـحـيـاـنـاـ بـالـشـيـءـ فـيـكـونـ حـقـاـ! قـالـ: تـلـكـ الـكـلـمـةـ مـنـ الـحـقـ يـخـطـفـهـاـ الـجـنـيـ، فـيـقـذـفـهـاـ فـيـ أـذـنـ وـلـيـهـ فـيـخـلـطـونـ مـعـهـاـ مـاـهـيـةـ كـذـبـةـ(1). وـمـنـ وـرـاءـ هـذـاـ اـسـتـرـاقـ تمـ اـسـتـغـلـ الـبـسـطـاءـ مـنـ عـامـةـ النـاسـ وـادـعـاءـ أـنـ لـهـ عـنـ اللـهـ كـرـامـاتـ وـأـنـهـ أـعـطاـهـ أـسـرـارـهـ وـمـنـهـمـ عـلـومـ غـيـبـهـ.

## حكم تعليق الحجابات

ويعطيـ الـكـافـرـ وـالـسـحـرـةـ النـاسـ حـجـبـاـ وـرـقـىـ وـتـمـائـمـ لـتـعـلـيقـهـاـ عـلـىـ الصـدرـ، يـسـمـعـونـهـاـ (حـجـابـ الـحـصـينـ) يـخـلـطـونـ فـيـهـاـ الـآـيـاتـ الـقـرـآنـيـةـ بـكـلـمـاتـ مـبـهـمـةـ وـأـرـقـامـ.

<sup>(1)</sup> الزواجر عن اقتراف الكبائر 2: 109 .

<sup>(2)</sup> تفسير ابن كثير 3: 527 .

<sup>(1)</sup> أخرجه البخاري 6213 ومسلم رقم (2228).

متفرقة وطلسم مستقلة من وحي الشياطين. يزعمون أن فيها شفاهم وحصنهم من أي أذى، ولكي لا يفتضح حاليم فإنهم يحكمون إغلاقها ويحذرلن من يعطونها له من فتحها غاية التحذير وإلا حصل له الأذى.

وبهذا يلبسون على الناس دينهم ويسلبونهم أموالهم، ويتسببون في وقوع العداوة بين الأقرباء بما ينشأ عنده قطع الأرحام. يقول الكاهن لمن يأتيه ويصدقه: "قد سحرك أقرب الناس إليك: أمك أو أختك أو زوجتك".

وهذا منتهى ما تسعى إليه الشياطين. قال تعالى {فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفْرِّقُونَ بَهْ بَيْنَ الْمَرْءَ وَزَوْجِهِ}.

ولقد جاءت الشريعة الإسلامية بدفع هذا الفساد وتجنيد الناس منه. وحرمت تعليق شيء من التمام المسمى بالحجب. فعن عقبة بن عامر أن النبي ﷺ قال "من تعلق تميمة<sup>(2)</sup> فقد أشرك" وفي رواية "فلا أتم الله له، ومن تعلق ودعة<sup>(3)</sup> فلا ودع الله له<sup>(4)</sup>".

<sup>(2)</sup> ما يعلق في العنق لدفع العين .

<sup>(3)</sup> خرز أبيض مجوف يستخرج من البحر .

<sup>(4)</sup> رواه أحمد بإسناد حسن 156 والحاكم 4: 219 .

## حكم من أتى كاهناً

عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال "من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"<sup>(1)</sup> وفي رواية "لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"<sup>(2)</sup>.

### حكم الكاهن نفسه

وإذا كان هذا حكم من أتاه وصدقه، فالحكم بکفر الكاهن أو السحر من باب أولى. فإن كلاً منهما قد صبَّرَ نفسه خادماً للشيطان، وله وسائل يستخدمهما في إغواء الناس وتضليلهم وإخراجهم إلى البدع والشرك والكفر. فهم والسحرة أخرى أن يوصفوا بأنهم "دعاة الشيطان".

### كيف يُكتشف أمر الكاهن

ومن الممكن التعرف على حقيقة هذا الدجال بالاستخار بـ"عن أقواله وأفعاله" ومقارنتها بالكتاب بالسنة، فإن كل كاهن أو عراف أو دجال معه من الكذب والمخالفات الصريحة للشريعة ما يسهل به كشف كذبه. وهؤلاء يروج سوقهم كلما راج الجهل بين الناس. لا شك أن تعلم أمور الدين ونشره بين الناس دواء من هذا الداء.

### التجميم نوع من أنواع السحر

وهو الاستدلال بالكواكب الفلكية على الحوادث الأرضية ومعرفة الأمور المستقبلية. ومع إطلاعه كل عام يطلع المنجمون بأكاذيب واختلاقات وتنبؤات ينتهي العام لثبيت كذبها. يحدد هؤلاء الدجالون أنواعاً عديدة من الحوادث بحسب الأبراج والنجوم.

فأصحاب برج الجوزاء تنتظرون سعادة كبرى، أما أصحاب برج العذراء فينتظرون بؤس وشقاء. ويزعمون أنهم يتلقون هذه الأخبار من النجوم. مع أن اقتباس الأخبار من الكواكب والنجوم لا حقيقة له، إنما هو من قبيل الشعوذة والسحر.

والمعروف من حال المنجمين: الاستعانة بالشياطين واعتقادهم أن النجوم ذات أرواح فاعلة. ولذلك قال رسول الله ﷺ "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر"<sup>(1)</sup>.

وفي الحديث القديسي أن الله يقول "أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر. فأما من قال: مُطْرِنَا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب. وأما من قال: مُطْرِنَا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب"<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه أحمد 149/2 والحاكم 8/1 بسند صحيح .

<sup>(2)</sup> رواه مسلم 2230 .

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود بإسناد صحيح (3905) .

<sup>(2)</sup> أخرجه البخاري 7503 ومسلم 71 .

وقال م مذراً من انتشار المنجمين وتصديقهم "أن أخوف ما أخاف على أمري  
ثلاث: حيف<sup>(3)</sup> الأئمة، وتكذيب بالقدر، وإيمان بالنجوم<sup>(4)</sup>.

ولا شك أن الله تعالى خلق الكواكب والنجوم لحكمة بالغة وعظيمة تختلف عما زعمه المنجمون الذين يدعون أن حركات الخلق وسكناتهم ومقدير أرزاقهم مرتبطة بها.

وأوضح قتادة رحمة الله الحكمة من خلق النجوم والكواكب فقال "خلق الله هذه النجوم لثلاث:

(1) زينة للسماء.

(2) رجوماً للشياطين.

علمات يهتدى بها. كما قال تعالى {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهَدُوا بِهَا فِي ظُلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} (الأنعام 97). فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برؤيه، وأخطأ حظه، وأضاع نصبيه وتکلف ما لا علم له به<sup>(5)</sup> والله ما جعل الله في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته، وإنما يفتررون على الله الكذب، ويتعللون بالنجوم".

والنفوس البشرية تتوقع إلى معرفة ما ينتظرونها من رزق وخير وتنطلع بعين فضولية إلى معرفة عواقب الأمور من حوادث أو بشائر أو موت أو شر، لجهلهم بحقيقة مهمة يفرض الإسلام اعتقادها وهي أن علم الغيب خاص بالله وحده.

ويستغل بعض الدجالين انتشار الجهل عند الناس، ويزداد انتشارهم مع ازدياد انتشار الجهل بين الناس، ومن هنا كان انتشار العرافين في القرى أكثر منه في المدن. ولا تکاد تخلو قرية من قارئ كف أو فاتح مندل أو قارئة فنجان.

لذا يحرم على كل مسلم يتقي الله أن يتردد على هؤلاء لما يتركونه من أسوأ الأثر على معتقده. كما يحرم عليه أن يرى الناس يتربدون على أمثال هؤلاء ثم هو يسكت عن ذلك أو لا يحذر منه. فإن مهمتهم عند الشيطان تشویش عقائد المسلمين.

### ما البديل عن العرافين والكهان؟

قد يقول قائل: قد عرفنا كذب هؤلاء العرافين. فما هو البديل عنهم؟

والجواب أن قراءة القرآن وتعاهد الأذكار الشرعية هو الداء الحقيقي والسلاح القوي الذي تضعف الشياطين أمامه.

وأما الذين يتخذون الشياطين أخلاقاً وقرناء يتولونهم ويطيعونهم في معصية الله – لا يصلون ولا يصومون ويرتكبون الفواحش – فلا يحق لهم المطالبة بالبديل لأن

<sup>(3)</sup> أي ظلمهم.

<sup>(4)</sup> الحديث حسن لغيره كما قال المناوي في الفيض 1: 204.

<sup>(5)</sup> ذكره البخاري تعليقاً: كتاب بدء الخلق بباب في النجوم.

معاصيهم قد جرّدت سلاحهم من الشيطان، فلا حصانة لهم منه ولا وقاية. فإذا أصابهم أذى من الشيطان من مس ونحوه تهاقروا على الكهان والسحرة يطلبون عندهم الدواء. فهؤلاء هم أول ضحايا السحراء والكهان والعرافين.

بخلاف المؤمن بربه المتوكل عليه، فالامر معه على عكس ذلك، فإن الشياطين هي التي تخافه وتنتهي عنه. ولذلك يقول ربنا عز وجل {فَاسْتَعِذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَُّنَّهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ} (النحل 99).

وعلى المسلم التصديق بقوله تعالى {إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} (النساء 76). غير أن هذا الضعف يكون بسبب النور والإيمان والملائكة الذين يؤيد الله بهم عبده المؤمن، فيصير معه من النور والإيمان والملائكة التي تحرسه ما يجعل الشياطين تهابه بل تفرّ منه.

## خطوات التحصين من الشيطان

\* إذن لا بد من الخطوات التالية:

- 1) الإقلاع عن الذنب والمسارعة إلى التوبة.
- 2) اجتناب البدع والمحدثات والتوبة منها والتقرب إلى الله بما شرع لا بالبدع.
- 3) أداء المفروضات التي افترضها الله على عباده من صلاة وصيام وزكاة وحج.
- 4) الإكثار من ذكر الله والمحافظة على الأذكار التي علمنا رسول الله P في الصباح والمساء وعند دخول البيت والخروج منه وعند دخول بيت الخلاء والخروج منه، وعند النوم والقيام منه. والمداومة على قراءة الفاتحة والمعوذات وأية الكرسي عند كل طلوع شمس وغروبها وعقب كل صلاة.
- 5) أداء السنن والنواقل في البيوت وليس في المسجد، فإن البيوت الخالية من الذكر والصلوة أشبه بالقبور الموحشة.
- 6) قراءة سورة البقرة في البيوت ولو في الشهر مرة واحدة على الأقل فإن الشياطين تتفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة.
- 7) إكرام الملائكة الذين جعلهم الله حفظة لنا يحفظوننا بأمر الله من أذى الشياطين، والملائكة لا يبقون في مكان يعمل فيه بمعصية الله وإذا خلا المكان من الملائكة اغتنمت الشياطين الفرصة ولاؤه.
- 8) الصبر والتوكيل على الله والثبات على الدين فإنه لو اجتمعت الإنس والجن على أن ينفعوا العبد: لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه: لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه. وما أصابنا لم يكن يخطئنا، وما أخطأنا لم يكن ليصيبنا.

## شبهتان وجوابهما

**الشبهة الأولى:** قد يقول قائل: دعوت الله أن يصرف عنِّي المرض فلم يحدث شيء وذهب غيري إلى الكهان فذهب عنهم ما كانوا يجدونه.

(١) وكان هذا القائل يرجو من العرافين ما لا يرجو من الله، وكأنهم في نظره أسرع إجابة من الله. أليس تلك هي النتيجة التي يسعى الكهان والسحراء إليها وتعمل من أجلها الشياطين. يريدون منه أن يبأس من دعاء الله، بينما لا ينقطع رجاؤه فيما عند العرافين والدجالين.

ألم يقل النبي ﷺ "يُستجاب لأحدهم ما لم يعجل. قيل: وكيف يعجل يا رسول الله؟ قال: يقول دعوت ربي فلم يستجب لي. فيستحسن عند ذلك ويترك الدعاء<sup>(١)</sup>".

وهو لا يترك الدعاء فحسب، بل يلجأ إلى ما حرمته الله من التردد على العرافين والكهان. ولربما كان مرضه اختباراً من الله ليرى أيثبتت على الطاعة أم يضعف إيمانه فينفذ صبره ويأتي الكهان والعرافين مع علمه بتحرير ذلك.

ومن يدرى لعله إذا صبر أن يكون ذلك سبباً في دخوله الجنة. فقد جاءت امرأة سوداء إلى النبي ﷺ فقالت: إني أصرع وإنني أتكشف فادع الله لي. فقال: إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك. قالت: أصبر. ولذلك كان ابن عباس إذا رأها يقول لمن معه: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ فيقال له: بلى. فيقول: هذه المرأة السوداء.

أما الناس اليوم فهم على الشد من هذه المرأة: لا يصبرون، بل يطلبون الدواء بالتردد على الكهان والعرافين. فهل رخصت الجنة عندهم؟ وهل يقاس عذاب الدنيا بنار الآخرة؟

\* أن الله قد يدخل له بسبب هذا المرض المكروره خيراً كثيراً كان يغفر ذنبه لكيلا يعذب عليها في الآخرة، فيخرج من الدنيا بعد ذلك نقياً من الذنوب.

\* هب أن هذا المرض مزمن ويصعب برؤه منه، فإن هناك أمراضاً بدنية أيضاً ليس لها في الوقت الحاضر دواء إلا أن يشاء الله، مثل مرض السرطان والإيدز.

\* أليس العبد المؤمن يوجه المصاعب والمخاطر ويخرج من بيته وأهله ويترك ليجاهد فيموت في سبيل الله عز وجل؟ فما بال قوم يفضلون الوقوع في الكفر وكبار الذنوب على صبر قد يكون كفارة لذنبهم.

**الشبهة الثانية** أن يقول القائل: أن آخرين ذهبوا إلى العرافين والكهان فحصل الشفاء على أيديهم. فالجواب عن ذلك على النحو الآتي:

\* أن هذا الشفاء ربما كان خدعة شيطانية واستدراجاً إلى تصديق الكهان، بل يتحمل أن يتزامن هذا الشفاء مع إتيان الكاهن وليس بسبب فعله.

<sup>(١)</sup> أخرجه البخاري 6340 ومسلم 2735.

\* أن هذا الشفاء ربما كان استدراجاً له من الله وعقوبة له، لأن إتيان هؤلاء الذين حرم الله المجيء إليهم هو مرض في الدين أعظم خطراً من الأمراض البدنية.

\* هل حصول الشفاء دليلاً على صحة هذا الفعل؟ وهل التجربة مصدر تشريعي في التحليل والتحريم؟ ولو قيل ثبت بالتجربة أن الخمر دواء من مرض كذا فهو يجوز شربها للشفاء بعد أن قال ﷺ "ما جعل الله دوائكم من حرام"! أم أنه يجب علينا الثقة بأن ما حرم الله يكون حراماً وإن دلت التجربة على خلافه؟

\* ليس كل ما تحصل معه المنفعة يكون دليلاً على الجواز. فالجهاد في سبيل الله تعالى قد تتعطل معه المتعة والفوائد الدنيوية غير أن ثوابه في الآخرة عظيم جداً.

## الطيرة

الطيرة هي التساؤم بالأشياء سواء كان التساؤم بشيء معين سواء كان رقمًا أو حيواناً أو غير ذلك. وقد أبطل الإسلام ذلك بعد أن كان شائعاً في الجاهلية. وأرشد إلى أنه لا تأثير لذلك في جلب المنافع ودفع الضرر.

### حكمها

أنها محرمة شرعاً وهي من الشرك الأصغر المنافي لكمال التوحيد، للأسباب التالية:

- \* لأنها قد يعتقد أن النفع والضر كامن فيها.
- \* لأنها تصير بالتالي توكلًا على غير الله.
- \* لأنها تعلق القلب بغير الله عز وجل.
- \* أنها تولد في نفس العبد الخوف والاضطراب النفسي.
- \* أنها وسيلة إلى الشرك الأكبر يبثها الشيطان بين الناس لاستدراجهم إليه وإيقاعهم فيه.

قال رسول الله ﷺ "(١)الطيرة شرك، الطيرة شرك" قال ابن مسعود "وما من إلا، ولكن الله يُذهبه بالتوكل". أي وما من إلا يَعْرُضُ له شيء من الطيرة ولكن الاعتماد على الله والتوكيل عليه يبطلانه.

ومع أن الغرب يعيش اليوم عالمًا مادياً بحثاً إلا أنه غارق في بحر من الأوهام والهواجرس، وتنتابه المخاوف من كل صوب، وتزيده أفلام الرعب والتساؤم خوفاً، ولا عجب أن ترى الغربيين اليوم بالرغم من ماديتهم يتغطرون من أشياء لا واقع لها مثل تساؤلهم من الرقم (١٣) أو الرقم (٦٦٦) أو تساؤلهم من يوم الأربعاء أو من البومة والغراب، ويعتقدون أنه إذا حط فوق بيوتهم غراب أو بوم فإن كارثة ستحل في دارهم.

---

<sup>(١)</sup> رواه أبو داود 3910 والترمذى 1614 بسند صحيح .

## التمائم

وهي ما يُعلق على الأعناق وغيرها لجلب منفعة أو دفع مضره كالإصابة بالعين ونحوه.

وقد أبدلنا الإسلام عنها بالأذكار وتلاوة القرآن. فقد روى عبد الله بن مسعود قول النبي ﷺ "إن الرقى والتمائم والتولة شراك"<sup>(1)</sup> فقلت له زوجته: لم تقول هذا؟ والله لقد كانت عيني تقذف، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي فيرقيني فإذا رقاني سَكَّنتْ، فقال عبد الله: إنما ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقاها كف عنها. وإنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: [اللهم] أذهب البأس رب الناس، إشف، وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً".

---

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود 3883 بسند حسن. والتولة ضرب من السحر تستعمله المرأة لتحبب بها زوجها .

## الرقى

وهي ما يُرقى به المريض ويُقرأ عليه سواء من القرآن أو من الأذكار النبوية.

وهي مشروعة لحديث عوف بن مالك "كنا نرقى في الجاهلية، فقلنا للنبي ﷺ كيف ترى ذلك؟ فقال "أعرضوا عليّ رقامكم ما لم تكن شركاً"<sup>(1)</sup>. وقد لدغت عقرب رجلاً فقال جابر بن عبد الله للنبي ﷺ أرقى؟ قال "من استطاع منكم أن ينفع أخيه فليفعل"<sup>(2)</sup>. ولكن يُشترط للراقي شروط:

\* أن تكون الرقية بكلام الله وهي أفضل أنواع الرقى لقوله تعالى {وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنَ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ} (82 الإسراء).

\* أن تكون بالأذكار الشرعية.

\* أن تكون بكلام مفهوم المعنى. وليس كما يفعله الدجالون من الحروف المقطعة والأرقام والنجوم والطلاسم المكتوبة داخل مربعات. فهذا محرم، وقد تقدم بيانه.

\* ألا تشتمل على محرم كالاستغاثة بغير الله من الأولياء والصالحين أو ذكر أسماء الجن.

\* ألا يعتمد عليها أو يتعلق القلب بها أو أنها مؤثرة بذاتها بل شفاؤها بإذن الله فقد تحصل الرقية بكلام الله ولا تحصل بذلك إرادة الله بالشفاء.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم 2200 وأبو داود 3886.

<sup>(2)</sup> رواه مسلم 2199.

## تحضير الأرواح

هل يمكن تحضير الأرواح ؟

هل يمكنها أن تنقل أني ومتى شاءت ؟

هل تستطيع أن تخبر بما يحدث لها الآن من نعيم أو عذاب ؟

يجيب القرآن {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ فَلَمْ يَرَوْهُ مِنْ أَمْرِ رَبِّيِّ وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (الإسراء 85) والمعنى ليس عندنا علمًا بحقيقة انتقالها وكيفية انتقالها، مما يؤكّد بأنّ مسألة تحضير الأرواح إنما هي تحضير شياطين للأسباب التالية:

\* أن الروح من عالم الغيب الذي اختص الله بعلمه.

\* أن الله أخبر أن النّفوس إذا خرجت تعود إليه كما قال {يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَةُ، ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً} (الفجر 28).

\* إن الأرواح تنتقل بعد الموت إلى عالم البرزخ: إما إلى جنة وإما إلى نار.

أن الله تحدى الخلق أن يُرجعوا الروح بعد خروجها من الجسد فقال {فَلَوْلَا إِن كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ، تَرْجِعُونَهَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الواقعة 87).

\* فمن زعم أنه يستطيع تحضيرها فقد زعم إرجاعها.

\* أن الله أخبرنا أنه متى قبض الموت على العبد فإنه يمسك روحه فيمسك التي قضى عليها الموت (الزمر 42). وأنه متى أمسكها لا يُرجعها من الله دجال ولا كذاب. قال تعالى {فَلْ يَنَوْفَكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِلَّ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} (السجدة 11).

\* أنه لو كان للإنسان مقدرة على تحضير الروح فلماذا لا يحضرها أثناء مفارقتها الجسد؟ أو يحاول إعادةتها إلى جسد الميت ويخرجها من قبره حيًا؟

## الخدعة في تحضير الأرواح

ويعتمد هؤلاء طريقة الخداع والإيهام النفسي عند إجراء عملية التحضير في غرفة مظلمة ليس فيها إلا بعض النور الأحمر الضعيف يختبئ فيها بعض المتعاونين مع المحضر، فيظهورون بلباس معين أو يصدرون أصواتاً وصراخات.

وبعضهم يعتمد على الشعوذة والاتصال بالجن. فيأخذون عن الدجال اسم الميت المطلوب تحضيره واسم أمه، وينادون من كان قريناً له من الجن، فيحضر ويتمثل بصورة الميت ويقاد صوته ويخبر عن أشياء كان يعرفها عنه بحكم اقترانه به حين كان حياً فيصدق قريب الميت ولا يدرى أنه كان يخاطب شيطاناً.

وهذا الخداع قد استحكم في معتقدات كثيرين من العامة والمتصرفية الذين أكدوا أن أرواح مشايخهم وأوليائهم تأتي وتذهب وتحضر على أقاربها وتلاميذها، وتلقنهم التربية والحكمة، ويأخذون عليهم المبادعية، وقد درجوا على تسميتهم بـ(رجال الغيب) وأنهم يخرجون من قبورهم ويقضون حوائج من يدعونهم ويستغيث بهم ثم يعودون إليها".

وبذلك يتضح أن ادعاء تحضير الأرواح ليس إلا لعبة يراد من ورائها إفساد دين المسلمين وأكل أموالهم بالباطل، وانتهاك أعراضهم وحرماتهم، ونشر فوضى الاعتقاد الباطل والخرافات بينهم.

## الإيمان بالقضاء والقدر

## الإيمان بالقضاء والقدر

**الإيمان بالقدر** أصل من أصول الإيمان وركن من أركانه لا يقبل الله من العبد عملاً ما لم يؤمن به.

**تعريف القدر:** هو ما سبق به علم الله، وجرى به القلم مما هو كائن إلى الأبد وأن الله قدّر مقدّير الخلائق قبل أن تكون. وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدر الله لها أن تقع.

### الفرق بين القضاء والقدر

وقد فرق قوم بين القضاء وبين القدر فقالوا:

**القدر:** علم الله بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل.

**والقضاء:** إيجاد الله لأشياء حسب علمه وإرادته.

\* وحقيقة الإيمان بالقدر أن تؤمن أنه ما من شيء في الكون من إحياء وإماتة ومرض وصحة وفقر وغنى إلا بتقدير الله ومشيئته. قال الطحاوي رحمه الله " وكل شيء يجري بتقديره ومشيئته، ومشيئته تنفذ، لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله، فما شاء لهم كان، وما لم يشاً لم يكن، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه"<sup>(1)</sup>.

### مفهوم القدر بين الإفراط والتفرط

ويجب أن يكون الإيمان بالقدر سليماً من المفاهيم الخاطئة التي وقع فيها كثيرون وأحبّت أعمالهم.

فعن يحيى بن معمر قال "لقينا عبد الله بن عمر فقلنا له: أنه قد ظهر عندنا أناس يقرأون القرآن، ويتقفرون العلم [أي يطلبونه ويجمعونه] ويزعمون أنه لا قدر وأن الأمر أُنف [أي أن الأمر مستأنف]. دون علم الله وتقديره. وأنه لا يعلم به إلا عند وقوعه" فقال عبد الله: فإذا لقيت أولئك، فأخبرهم أنني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر: لو أن لأحد هم مثل أحد ذهباً فأنفقه<sup>(1)</sup> ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر<sup>(2)</sup>.

\* وقال ابن عباس " والقدر نظام التوحيد. فمن وحد الله وكذب بالقدر: نقض تكذيبه توحيده"<sup>(3)</sup>.

### أصل الإيمان بالقدر

ومبدأ الإيمان بالقضاء والقدر قائم على أصلين مهمين:

<sup>(1)</sup> شرح الطحاوية شرح الألباني ص 153 .

<sup>(1)</sup> يبدو أن الراوي - وهو يحيى - ذكر لهؤلاء بعض الفضل من صدقة وجهاد غير أن ابن عمر علق قبول ذلك بصحة اعتقادهم في القدر .

<sup>(2)</sup> رواه مسلم رقم (8) في الإيمان .

<sup>(3)</sup> رواه اللالكاني (1224) والأجري في الشريعة (215) .

**الأصل الأول الإيمان** بأن الله عالم بعلمه القديم أعمال عباده وأرزاقهم وآجالهم قبل أن يخلقهم. وكتب في اللوح المحفوظ ما قدره لكل فرد من مخلوقاته، وأنه يأمر الملك أن ينفخ الروح في الجنين وأن يكتب أربعة أمور: رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد.

**(فائدة مهمة)** ومن تمل صفة (العلم) الله سلم من الزلل في مفهوم القدر. فإن الله يعلم ما كان وما لم يكن: لو كان كيف يكون. ويعلم أن لو عاد الكفار إلى دار الدنيا لعادوا إلى كفرهم كما قال {وَلَوْ رُدُّوا لِعَادُوا لِمَا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} (الأنعام 28) ولو فتح أسماعهم لتولوا وهم معرضون كما قال {وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرَضُونَ}. فعلمه السابق بكفرهم لا يعني أنه أجبرهم عليه.

فإنه أثبت لهم المشيئة بقوله {فَمَنْ شَاءَ فَلِيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلِيَكْفُرْ} (الكهف 29) {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمْ} (التكوير 28) وأثبت لهم الفعل فقال {إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الطور 16). لكن مشيئته غالبة على مشيئة من سواه كما قل {وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} (التكوير 29).

\* فمن عصى لم يعصه رغم ارادة الله، لكن الله يفعل ما يشاء، وقد شاء أن يجعل له محض الاختيار بين الخير والشر، الشيء الذي لم يجعله لملائكته.

## مفاسد اعتقاد الجبرية

ولو كان العبد مجبوراً على فعل المعصية للزم من ذلك لوازم فاسدة، منها:

1) أن لا يحاسبه الله على معصيته. ولا يثيب الطائع على طاعته، إذ كيف يجبره على فعل شيء ثم يعاقب العاصي ويثيب الطائع!

2) أن لا يحاسب اليهود والنصارى وال MSR كين لأنهم لم يعصوه بإرادتهم وإنما أجبرهم على ذلك!!

3) أن هذه العقيدة تبرئ ساحة الظالم وتنسب ظلمه إلى الله الذي نهى عنه، فيصير التوبية والذم على المعصية متوجهاً حينئذ إلى الله لا إلى العبد. تعالى الله عن ذلك.

إذن: فالإيمان بالقدر على أربع درجات:

**الأولى** : الإيمان بعلم الله القديم وأنه علم جميع أحوال الخلق وأجالهم وما هم عاملون.

**الثانية** : أنه كتبه بعد ذلك في اللوح المحفوظ.

**الثالثة** : أن مشيئة الله نافذة وشاملة.

**الرابعة** : أنه موجود لكل المخلوقات وكل ما سواه مخلوق.

**الأصل الثاني**: الإيمان بأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما من حركة ولا سكون إلا بأمر الله وإذنه تكون. فما من مخلوق إلا والله خلقه، إذ لا خالق سواه. ومع هذا فإن الله أمر العباد بطاعته وطاعة رسليه، ونهاهم عن معصيته ورسليه. وهو سبحانه لا يظلم الناس شيئاً ولكن أنفسهم يظلمون ولا يحب الفساد، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضي لعباده الكفر، ولم يجبرهم على فعل ما لا إرادة لهم فيه، وإنما قال {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلَيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلَيَكُفُرْ} (الكهف 29).

## تفنيد حجج المنحرفين في القدر

والذين أخطأوا في فهم حقيقة القدر بين إفراط وتغريط وتفرقوا في ذلك فرقاً عديدة منها:

### الفريق الأول:

فريق آمنوا بالقدر واحتجوا به على الكفر والمعاصي. قالوا إن الله هو الذي قدر علينا أن نعمل السيئة. فتبرؤوا من الظلم الذي ارتكبوا ونسبوه إلى الله تعالى. وهؤلاء هم الجبرية الذين يحتجون بالقدر ويجعلون الكفار والفساق والمنافقين مجبورين على الكفر والفسق والنفاق، لا إرادة لهم في دفع ذلك.

وكان على هؤلاء أن يحتجوا بشرع الله وبأوامره ونواهيه لا بقدره. فإن الله أنزل كتبه وأرسل رسالته ليجعل العباد بمقتضاهما لا لاحتجوا بقدر الله على المعاصي متشبهين في ذلك بالكفار الذين يقولون {لَوْ شاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكَنَا وَلَا أَبَاوْتُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} فرد الله عليهم {إِنَّ تَتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ، قُلْ فَلَلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ لَوْ شاءَ لَهُ دَائِمٌ أَجْمَعِينَ} (الأنعام 148).

أي لو شاء لأكرر حكم على الطاعة ولجعلكم كملائكته الذين {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمِرُونَ} (التحريم 6). وفي آية أخرى {وَإِذَا فَعَلُوا فَاجْحَشُهُمْ فَلَلَّهُ وَجْدُنَّا عَلَيْهَا أَبَاءُنَا وَاللَّهُ أَمْرَنَا بِهَا} فرد عليهم {قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَنْتُمْ لَوْلَوْنَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} (الأعراف 28).

وهم لا يحتجون بمثل ذلك في أمور رزقهم ومعاشهم، فلا يمكن أن يجلسوا في بيوتهم من غير سعي للرزق ثم يقولوا: لو شاء الله ما قعدنا، وبعد ذلك ينتظرون لعل الله شاء لهم أن يموتونا منذ الأزل جوعاً !!!

ولا يقبل أحدهم أن يُضرَبَ يقول لضاربه: لو شاء الله ما ضربتني.

ولذلك روي أنه لما أتي عمر برجل قد سرق سأله: لم سرقت؟ قال: قدر الله لي ذلك. فأمر به فقطعت يده، ثم أمر بعد قطعها أن يجلد ثمانين جلدة حد الافتداء. فكان القطع للسرقة، والجلد لنسبته الظلم إلى ربه.

فمن عصى الله واحتاج بأنه هو الذي شاء له ذلك. فقد ارتكب ذنبين أحدهما أعظم من الآخر:

أولهما معصيته لله.

ثانيهما نسبته الظلم إلى الله، وهذا أعظم من الأول. فإن من يعتقد ذلك فيضطر أن يعذر النصراني واليهودي على كفره، لاعتقاده أن الله أجبره على كفره. وهذا منتهى الضلال في فهم القدر.

### الفريق الثاني

أمنوا بالقدر وأخرجوا الكفر والمعاصي من تقدير الله. فزعموا أن الله لم يخلقهما.  
وهو لاء هم القدرة الذين ورد فيهم قول النبي ﷺ "القدرة مجوس هذه الأمة"<sup>(1)</sup> وبعضاً منهم  
أنكر علمه السابق بأعمال العباد.

على أنه لا ينافي الإيمان بالقدر الأخذ بالأسباب التي أمرنا الله أن نأخذ بها. – قال  
رسول الله " ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة. فقالوا: يا  
رسول الله أفلأ نتكل على كتابنا؟ قال: اعملوا بكل ميسر لما خلق لكم. أما من كان من أهل  
السعادة فيصير لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاء فيصير لعمل أهل  
الشقاء. ثم قرأ قوله تعالى {فَإِمَّا مَنْ أُعْطَى وَآتَى ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ، فَسَيُبَشِّرُهُ لِلْيُسْرَى }  
(الليل 7)<sup>(2)</sup>.

ودخل رجل على النبي فترك ناقته خارجاً وقال "يا رسول الله: أعقلها أو أتوكل؟  
فقال له: أعقلها وتوكل"<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> الحديث حسن بطرقه وشهادته. قاله الألباني في المشكاة (107).

<sup>(2)</sup> متفق عليه.

<sup>(3)</sup> رواه الترمذى وحسنه وهو حسن بشاهد.

## أثر عقيدة القدر عند السلف الصالح

لقد كان لعقيدة القدر التي تلقاها الصحابة عن النبي أعظم الأثر. ويتجلى مفهوم القدر في الإسلام بأسماى معانٍ متمثلًا في حديثين:

\* أولهما : قوله لابن عباس "يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأّل الله، وإذا استعن فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعوا على أن يضروك: لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رُفعت الأقلام وجفت الصحف".

ثانيهما : قوله <sup>(1)</sup> "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف – وفي كل خير – احرص على ما ينفعك. واستعن بالله ولا تعجز. فإن أصابك شيء فلا تقل لو آتني فعلت كذا وكذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل. إن (لو) نفتح عمل الشيطان".

"هذه العقيدة ربّت في قلوبهم السكينة والعزّة، فارتاحت أعصابهم وهم منطلقون لتبلیغ هذا الدين إلى البشرية، وقد استصغروا قوى الأرض جمیعاً أمام إيمانهم بقدر الله عز وجل".

"فأي سعادة تضفيها هذه العقيدة على النفس، وأي شجاعة انطوت عليها قلوب آمنت أن الأمر بيد الله، وأن البشر لا أمر لهم: إن قوى الأرض جمیعاً لا تقف أمام إنسان يحمل هذا المبدأ وهذا الإيمان"<sup>(2)</sup>.

"إن الإنسان الذي يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن الأمة لو اجتمعت لن تضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها كما قال تعالى {ولَن يُؤْخِرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا} وقوله {فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقِيمُونَ}.

"إن هذا الإنسان وحده هو الذي يتحرر من العبودية للعباد بدخوله في العبودية لرب العباد، إذ كيف تتحني جبهته لأي قوة على ظهر الأرض وهو يعلم أن الأمر بيد خالق السموات والأرض. وكيف تذل نفسه لعبد من تراب؟"

"إن هذه العقيدة لتنزع كل مظهر للجبن من القلب الذي تعمره".

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم ( 2664 ) .

<sup>(2)</sup> من كتاب الإيمان ص 119 للشيخ محمد نعيم ياسين .

## الرضا بقضاء الله وقدره

إن المسلم ليفرح بنعمة أخرى وهي الرضا بقضاء الله وقدره في كل حال. ذلك أن هذه النفس ترى أن المقادير تجري بأمر الله ووفق مشيئته وتدبره. وأن الأحداث تتبع بحكمة الله وإرادته، وهو يعلم: والناس لا يعلمون. كما قال تعالى {وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} (البقرة 216)<sup>(1)</sup>.

لا سيما إذا تذكر عند المصيبة ذنبه ومعاصيه فإن المصيبة تهون حينئذ، لا سيما حين يرجو معها المغفرة وحين يعلم أن المصائب تجلب معها الكفارات ومحو الخطايا. قال تعالى {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَإِمَّا كَسَبَتُ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} (الزخرف 30).

وقال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدَ فَلَبَّهُ} (التغابن 11). فالمؤمن تنزل به المصيبة فيعلم أنها قدر الله، فيطمئن ويرضى ويسلم، ولا يعرض على خالقه، بل يرجو أن ينزل معها الثواب والمغفرة ورفع الدرجات.

ثم يتذكر أن الأنبياء كانوا أشد ابتلاءً من جميع البشر فيقتدي بهم في ذلك ويستصغر مصيبيته بجانب مصائبهم. قال رسول الله ﷺ "أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، يُبَتَّلِي الرَّجُلُ عَلَى حَسْبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةً أَبْلَلِيَ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رَقَّةً هُونَ عَلَيْهِ. فَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالرَّجُلِ حَتَّى يَدْعُهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ خَطِيئَةً"<sup>(2)</sup>. وقال "ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى الله به عن خطayah"<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> نفس المصدر 120 .

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى رقم (2400) بسنده صحيح .

<sup>(3)</sup> رواه البخارى ومسلم رقم (2573) .

والله يختبر مدى صبر عبده لأن الصبر من الإيمان. وقد وعد الصابرين بالثواب العظيم كما قال {وَبَشَّرَ الصَّابِرِينَ ، الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ، أَوْلَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُهَنَّدُونَ} (البقرة 156) وقال {إِنَّمَا يُؤْفَقُ الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بَغْيَرِ حِسَابٍ} (الزمر 10).

قال رسول الله<sup>(1)</sup> "عجبًا للمؤمن. إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن: إن أصابته سراء: شكر فكان خيرا له. وإن أصابته ضراء: صبر فكان خيرا له." وقد علمه نبيه ﷺ أن يقول عند المصيبة "إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واحلفي خيرا منها"<sup>(2)</sup>.

ومن هنا فإن الله تعالى لم يخلق شرًا من جميع الوجوه، فإن المرض مثلاً شر ومصيبة عاجلة. لكنها خير له في الآخرة. فقد تكون سبباً في مغفرة ذنبه.

أما غير المؤمن فإنه لا يرجو من ذلك شيئاً، ولا يزال أثر المصيبة يعمل عمله فيه حتى ينتكس ويصاب بالجزع والإحباط ويختل عند أدنى مصيبة فيصاب بالجنون فيفضل الانتحار على الصبر. فهو بين أن ينتحر أو يجن.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم ( 2999 ) .

<sup>(2)</sup> متفق عليه .

## هل الإنسان مخير أم مسير؟

لقد شغل هذا السؤال الكثرين وصار مدار جدلهم في مجالسهم. الأمر الذي نهى عنه رسول الله ﷺ . فقد قال حين رأى أصحابه يتخاصلون في القدر "أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزتم عليكم ألا تنازعوا فيه"<sup>(1)</sup>.

### والجواب على ذلك:

أن الإنسان مخير فيما أقدر الله على اختياره، فإن الله تعالى حثنا على اختيار الإيمان والعمل الصالح على الكفر والمعاصي. فنحن لنا الخيار في ذلك. والله يحاسبنا على سوء الاختيار.

وهو مسير فيما هو خارج عن قدرته مثل المرض وحوادث السيارات وغير ذلك مما هو خرج عن قدرتنا. ولذلك فإن الله لن يحاسب المريض لإصابته بالزكام مثلاً أو السرطان أو الشلل، ولن يحاسب العبد الذي أصابه حادث سيارة أو وقع عليه حائط أثناء مشيه اللهم إلا أن يكون التفريط منهم كائن في عدم الأخذ بأسباب اجتناب هذه الأمراض. ولن يحاسب العبد عن سبب حبس المطر أو عدم حصوله على الرزق لأن كل ذلك خارج عن نطاق القدرة البشرية. إلا أن يكون سبب انعدام ترك الأخذ بأسبابه.

فنحن في هذا ميسرون لا اختيار لنا، ولهذا قال ربنا عز وجل {وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ} (القصص 68). وقال {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كُفُورًا} (الإنسان 2). وقال {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكُفِرْ} (الكهف 28).

ففي الآية الأولى أثبت لنفسه الكريمة المشيئة والاختيار، ونفاهما عن غيره. وفي الآيتين الثانية والثالثة أثبت لعباده المشيئة والاختيار. إذن فليس هناك تعارض بين الآيات.  
**من فوائد الإيمان بالقدر**

1) أن يعلم الإنسان أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه قال تعالى {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} (التغابن 11).

2) الرضا والتسليم لقضاء الله وقدره. ففي تتمة الآية السابقة {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ} قال ابن عباس: أي يؤمن بقضائه وقدره. وقال ابن كثير في تفسير هذه الآية "أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره: صير واحتسب<sup>(1)</sup> واستسلم لقضاء الله وقدره: هدى الله قلبه وعوضه بما فاته من الدنيا هدى في قلبه ويقيناً صادقاً.

<sup>(1)</sup> إسناده حسن بشواهده (قاله الألباني في المشكاة 98).

<sup>(1)</sup> تفسير ابن كثير 375: 4.

3 ) أن لا يندم على ما فاته، فإن ما فاته لم يكن ليدركه. وقد قال جبريل للنبي أخبرني عن الإيمان؟ فقال "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره" زاد في رواية "وحلوه ومره".

وقد قال تعالى {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ بِقَدْرٍ} (القمر 49) وقال {وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا} (الفرقان 2) وقال {سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ، الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ، وَالَّذِي قَدَرَ فَهَدَى} .

## (كلمات حول صلاح حال الأمة)

**الاجتهاد والتقييد**

ويأتي التقليد الأعمى ليكون أحد الوسائل المفسدة للدين بعد الشرك والابداع:

وكما يوصَّف من ينكر عبادة المسيح بأنه يناسب المسيح العداء، وكما يوصَّف من ينكر على الشيعة غلوهم في الأئمة بأنه ناصبي يناسب أهل البيت العداء؛ وكما يوصَّف من ينكر على مبتدعة هذه الأمة غلوهم في قبور الموتى من الصالحين (الأولياء) بأنه عدو للأولياء:

كذلك يوصَّف المنكر على التقليد الأعمى بأنه يناسب الأئمة الأربع العداء ويدعو إلى نبذ مذاهبيهم.

**مثالان جديران بالتأمل والتدبر****المثال الأول:**

لو أن مريضاً أتى طبيباً فقال له الطبيب: إنك مصاب بالسرطان. ثم أتى طبيباً آخر فقال له: ليس بك شيء.

ماذا يفعل؟ هل يخاطر ويقلد فيقول: أنا آخذ بقول الطبيب الثاني لأن الأول زعم أنني مريض وأنا أحب أن لا يكون بي شيء. أم أنه يتحقق من الأمر ويتخذ أقصى احتياطاته ويأخذ من أقوال الأطباء ما ترجح عنده أنه أقربها إلى الصواب؟

ولو وصف كل منهم له دواءً مختلفاً عن الآخر فماذا يفعل؟ هل يقول: أنا آخذ بقول الطبيب الثاني لأن الدواء الذي وصفه أرخص الأدوية وأيسرها تناولاً وهل يتطلب هذا التحقق من المريض أن يكون طبيباً؟

فلماذا لا نفعل ذلك فيما يتعلق بالمذاهب إذا كنا حريصين على آخرتنا؟ فيتخير المسلم ما ترجح عنده أنه أقرب الأقوال إلى الصواب. ويكون حريصاً في دينه كحرصه في دنياه.

وهل أراد الأئمة باجتهادهم أن يكون لهم مذهبًا يقلده الناس أم كانوا يعرضون اجتهاداتهم التي هم فيها بين مصيبة ومخطئ ليعمل الناس بما ترجح صوابه وليكمل من يأتي بعدهم مسيرتهم العلمية فيجتهد في حسم المسائل وفي الحكم على القول الراجح من الأقوال بكل إنصاف وبلا تعصب.

وهل كان هؤلاء الأئمة ليغضبوا على من يميز القول الراجح من بين أقوالهم المختلفة أم أن مرونتهم وفهم واسعة عقولهم ورحابة صدورهم يجعلهم لا يعارضون ذلك؟ لقد كانوا يتسمون بالسماحة والمرونة التي نفتقد لهااليوم.

**المثال الثاني**

تصور لو أن الناس تعصبوا لمخترع لأول سيارة (مرسيديس) وأصرروا على أن تصميمه للسيارة هو الأصح والأكمل وأنه لا يجوز لأحد أتى بعده أن يعدل تصميمه ولا بطوره وإنما كان مجرئاً متطاولاً عليه، مدعياً أنه أفضل منه عملاً وأكمل منه ذكاء!!

لو أن هذا حصل لبقيت هذه السيارة القديمة على حالها اليوم من غير تطوير ولا تحسين.

إن اجتهادات الأئمة السابقين ليست وحشاً لا يجوز مساسه أو تغييره أو الاعتراض عليه، وإنما التعديل في اجتهاداتهم هو خطوة دينية في سبيل الأحسن. وإنما لو تعصينا واعتبرنا قولهم دائماً هو الحق لشابهنا بذلك الشيعة الفائلين: بأن كلام الأئمة هو من كلام الله وأن الراد عليهم راد على الله لأنهم يعتقدون أن الأئمة معصومين. وهذا التعصب كما سترى يتعارض تماماً مع منهج الأئمة النبلاء من هذه الأئمة أمثال الشافعي وأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم.

### أين نحن منهم؟

لقد كان الأئمة غاية في الإنصاف والتجرد للحق. يرجعون عن أقوالهم إذا تبين لهم مخالفتها للحق غير مبالين أن يصفهم أحد الجهال بالتناقض لأن الحق عندهم أحق أن يتبع. بخلاف من جاء بعدهم وجعل الرجال أولى بالاتباع من الحق. ولقد قال أبو حنيفة رحمه الله "نحن قوم نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً" يعني إذا تبين لنا أنه خطأ.

وبالتالي فالمحذر من التقليد الأعمى ليس داعياً إلى كفران فضلهم وإنما ينهى عما نهوا هم أنفسهم عنه من التقليد الأعمى حيث كانوا يقولون (لا تقلدوني). يحب علينا الاعتراف بفضلهم. ولا غنى لطالب العلم عن أقوال الأئمة واجتهاداتهم ليستعين بها في فهم نصوص الكتاب والسنة ولكن من غير أن يجعل مذاهبهم وفتاويهم مقدمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حاكمة بين الناس فيما اختلفوا فيه من دون التحاكم إلى الله والرسول. فإن هذا هو التقليد الذي كانوا يحذرُون منه.

ثم من ذا الذي يزعم أن المذاهب الفقهية كانت أربعة؟ من زعم أن المذاهب أربعة فقط يكون مخطئاً فالثورى كان له مذهب والأوزاعي وابن حزم. لكنها انقرضت وبقيت المذاهب الحالية.

### ما كان الشافعي شافعياً

لقد علمنا أن كلمة (شافعية) تعني: الذين ينتمون إلى الشافعى. ولكن ماذا كان مذهب الشافعى نفسه؟ هل كان الشافعى شافعياً أم أبو حنيفة حنفياً أم مالكياً أم كان مالكياً أم كان أحمد بن حنبل حنبلياً؟

لندعه يعلن بنفسه عن مذهبـه فيقول "إذا صـحـ الحديث فهو مذهبـي" وروى عنه المزنـي قوله "إذا وجدـتمـ في كتابـي خـلـافـ سـنـةـ رـسـوـلـ الله ﷺ فـقولـواـ بـهـ (أـيـ بـالـسـنـةـ) وـدـعـواـ ماـ قـلـتـهـ". وقال "كلـ ماـ قـلـتـ فـكـانـ عـنـ النـبـيـ ﷺ خـلـافـ ماـ قـلـتـ مـاـ يـصـحـ: فـحـدـيـثـ النـبـيـ

أولى فلا تقلدوني". وقال "أجمع المسلمين على أن من استبان له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد"<sup>(1)</sup>.

فالملقد هو الذي أساء بحق الأئمة لأنه خالفهم في منهجهم، واتخذ الناس من أئمة المذاهب ذريعة للتقليد الأعمى، يقلدهم في كل شيء إلا في قولهم "لا تقلدوني". والتقليد الأعمى ترويض على تحجيم العقل وتحجيره لأنه لا يبالي بالدليل وإنما هو متعلق بشخص: لا يدعني بلسانه أنه غير معصوم، ولكن لسان حاله يؤكّد اعتقاده بعصمته.

<sup>(1)</sup> سير الأعلام 33/10 آداب الشافعي ومناقبه . 69

ومعلوم أن اجتهادات الأئمة قد تضاربت وختلفت بين من يرى حل المسألة وبين من يرى حرمتها. ولا يغيب عنك أن الآراء الراجحة صارت مقسمة بين المذاهب، فتارة يكون الحق حليف الشافعى وتارة يكون حليف أبي حنيفة. وتارة يكون حليف مالك وتارة حليف أحمد. وهكذا. ولم يكن حليف مذهب واحد فقط دون الآخرين.

فإذا تنازعوا فيما بينهم وجوب الرجوع إلى كتاب الله والسنّة كما قال تعالى {فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} وهم مع فضلهم وعلمهم فإنهم بشر غير مخصوصين ولهم طاقات محدودة. والعلم يستوعب الرجال ولكن الرجال لا يستوعبون العلم كله. وإذا كان تقليد الشافعى يعتبر عند الأحناف إهانة لأبي حنيفة. وتقليد أحمد إهانة لمالك عند المالكية: أما الذين يدورون مع الحق فهم الممعظمون لجميعهم لأنه يعلم أن الحق لا ينفك عن واحد منهم.

## اختلافهم فتنة

والله يختبر مدى صدقنا وتجربتنا للحق من خلال أخطاء الأفضل وزلات العلماء. فإن اختلافهم فتنه واختبار من الله كما اختبر من قبلنا. ولذلك روى البخاري (7100) عن عمار بن ياسر أنه قال يوم خرجت عائشة على علي رضي الله عنه "والله إنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم: إيه طيعون أم هي".

فلماذا لا يختبر من بعدهم بأحمد والشافعي ومالك وأبي حنيفة. لقد اجتهد هؤلاء الأفضل في مسائل عديدة فأصابوا وأخطأوا وهم مثابون على خطئهم، فالشافعي مثاب على اجتهاده وإن أخطأ، أما المقلد له في الخطأ مع علمه بذلك فهو مازور غير مأجور. صحيح أن من اجتهد من أهل العلم وأخطأ فله أجر. لكن المقلد الأعمى المتعصب للعالم ليس له من الأجر نصيب. لا سيما حين تتبّع على مسامعه نصوص الكتاب والسنة ثم يصرّ مستكراً كأن لم يسمعها، وحجه دائمًا: هل كانت هذه لتخفي على إمام مذهب؟

وهذا لا يعني تحريم تقليد العامة لمذهب أو لإمام يثقون في دينه ولكن بشرط: متى ظهر لهم أن الحق يخالف المذهب في مسألة ما فعليهم أن يتركوا المذهب في هذه المسألة فقط ويدوروا مع الحق حيثما كان.

وإذا كان مقلداً لأحمد وتبيّن أن قوله في مسألة ما غير راجح وأصح منه قول الشافعي فإنه يذهب مع الشافعي في هذه المسألة دون أحمد ولا مانع أن يبقى في غير هذه المسألة على مذهب أحمد.

- فإذا قلد الشافعي ثقة به ولم يظهر له خطأه اجتهد في المسألة الفلانية فهو معفو عنه. فإنه يجوز للعامي تقليد مذهب من المذاهب وذلك بسبب عجزه عن طلب العلوم أو لكونه أمياً ولكن بشرط أن لا يتعصب لقول مذهبه فيما تبيّن له أنه راجح عند الإمام الآخر.

- وحينئذ لا يضر العامة تقليد أئمتهم في خطأ لم يتبيّن لهم، ما داموا على هذه النية مستعددين لتقديم قول الله ورسوله على قول المذهب والإمام. لا أن يكون حالهم كحال المقلدين القدامي الذين {إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَبْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ تَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا}.

## صور التعصب المذهبية

ولقد بلغ التعصب المذهبية أن صار في القرية الواحدة أربعة قضاة وأربعة مفتين: قاض ومفتي لشافعية وقاض ومفتي للحنبلية وقاض ومفتي للحنفية وقاض ومفتي للمالكية!

- واتخذ المسلمون من المذاهب شكلاً حزبياً بحثاً أساء إلى من تنتهي المذاهب إليهم قبل كل شيء، واتخذ التمذهب شكلاً إقليمياً فمن كان من أهل المغرب فهو بالتأكيد مالكي ومن كان من بلاد الهند وما وراء النهر فلا بد أنه حنفي! وصار من المستحيل تخيل باكستاني يدين بمذهب مالك، ومن المستحيل تخيل مغربي يدين بمذهب أحمد أو الشافعي.

- وبرزت تلك الصورة القاتمة المظلمة من العالم الإسلامي، فكلُّ له إمامه يتبعه في الفقه وفي العقيدة، وفي كل مدينة أربعة قضاة يقضي كل منهم حسب المذهب وصار في المسجد الواحد أربعة أئمة كل منهم يصلٍ وراء إمام مذهبة.

ولو قدر لشافعى أن يحيا بيننا وينظر التعصب الذي أحدهو باسمه لتبرأ من المنتسبين إلى مذهبة.

## التعصب ليس من سمات أمة الحق

لم يكن من اللائق بال المسلمين - وهم حملة الحق إلى العالم أن يتفضّلُ فيهم مرض التقليد الذي استنكره الله على الأمم الأخرى {وَإِذَا قيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَبَعُ مَا أَفَقِيْنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا} (البقرة 170) وفي آية أخرى {حَسَبْنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءِنَا}. لم يكن لائقاً أن يقع التقليد في الأمة التي أخرجت للناس بالحق والهدى والنور. فيظهر فيها من يقول لأنّة المذاهب سمعنا وأطعنا ولنصوص القرآن والحديث سمعنا وعصينا.

ولقد أنكر ابن عباس على قوم كانوا يعارضون السنة لقول أبي بكر وعمر فقال "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء. أقول لكم قال رسول الله، وتقولون قال أبو بكر وقال عمر!. وقال أبو بكر "أطيعوني ما أطعْتُ الله فيكم فإن عصيْتُه فلا طاعة لي عليكم". وبهذا يتبيّن أنّهم كانوا يدورون مع الحق والسنة.

## الحالات التي يجوز فيها التقليد

ولا ريب أن العلماء الماضين بذلوا غاية الجهد في تحقيق المسائل وتجميعها، وقاموا في ذلك خلاصة جهدهم وبحوثهم لنا، وكلٌّ كانت له أدلةه وبذل ما استطاع من أجل أن نختار الأصح منها بحسب استطاعتنا. فلم يبق علينا إلا النظر في اجتهاداتهم ومقارنتها أدلةهم بعضها ببعض ثم ترجيح الأصح منها، ومن الخطأ الفاحش اعتبار ما وصلوا إليه من تلك الأحكام فاصلاً نهائياً لا معقب لحكمهم فيها ولا استئناف وغير قابلة للنقاش.

- فلقد تم فحص الأحاديث وغربلتها وجمعها بما لم يكن متيسراً من قبل، ولا ننسى أن الأحكام الفقهية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحديث صحة وضعاً، ولقد احتاج أبو حنيفة رحمه الله بحديث "لا رباً بين مسلم وبين كافر حربي" وبنى عليه جواز أخذ الربا من الكافر الحربي، ولعله لم يتقطن إلى أن الرواية في ذلك غير صحيحة، ونحن نجزم أنه لو تبين له ذلك لترك الاحتجاج بها بناء على قوله صلى الله عليه وسلم:

## الإيمان باليوم الآخر

وهو الإيمان باليوم القيمة الذي يبعث الله فيه الخلق جميعاً من قبورهم، ويترقرر فيه مصير كل واحد منهم، وتتحدد نتيجة رحلة الحياة الطويلة. حيث يُعرَضون على الله لينال كل منهم جزاء ما عمل في الدنيا. إن خيراً فخير، وإن شراً فشر. إنه الوعد الحق الذي أنذره الرسل قومهم. يوم الثواب للطائعين المؤمنين. ويوم العقاب للمجرمين. فاللهم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل.

- المؤمن بالله يعلم تمام العلم أن هذه الدنيا ليست له بداربقاء وإنما هي دار عمل وامتحان. وأنه مهما طال به الأجل، فإنه منتقل عن هذه الدنيا لا محالة: إما إلى فوز وسعادة وإما إلى خسران وشقاء.

- وللإيمان باليوم الآخر أثر عظيم في حياة الإنسان. حيث هو الموجه الأكبر له للحرص على العمل الصالح والصدقة. ولذلك قال رسول الله ﷺ "الصدقه برهان" أي برهان على صدق إيمان أصحابها لأنها يفقد بصدقته شيئاً من الدنيا لكنه يؤمن بأن الله يضاعف له ثواب ذلك يوم القيمة ويعطيه أضعاف ما أنفق.

- ولو قارنا بين اثنين أحدهما يؤمن باليوم الآخر والآخر لا يؤمن به: نجد الأول منضبطاً في عمل الخير مجتبأ للشهوات المحرمة لعلمه بضررها على آخرته. وأما الثاني فمنغمس في شهواته. الأول يحثه إيمانه باليوم الآخر على الصبر على مصاعب الحياة ونوابتها رجاء الثواب على صبره في الدار الآخرة. بينما نجد غير المؤمن باليوم الآخر سريع الجزع واليأس لأن الدنيا بالنسبة إليه إما جنة إن حصل على ما يشتهي، أو جهنم إن حُرم مما يشتهي. فدنياه هي جنته وجهنم.

لذا كان الإيمان العملي باليوم الآخر من أهم أسباب أمن النفس وطمأنيتها وأعظم مشجع لها على الصبر فيما تواجهه من نكبات الحياة ومصائبها.

## اهتمام القرآن بموضوع اليوم الآخر

ويلاحظ اهتمام القرآن بذكر اليوم الآخر حيث المرحلة التي تلي اختبار الدنيا.  
ولنتأمل هذه الآيات:

{فَمَا أُوتِيتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (الشورى 36).

{كُلُّ نَسْمَةٍ ذَاقَتُهُ الْمَوْتُ وَإِنَّمَا تُوقَنُ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ رُحْزَ حَرَّ عَنِ التَّارِ  
وَأَدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ} (آل عمران 185).

{فَلِمَّا نَعَمَ الْمَوْتُ وَالْأَخْرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلِمُونَ فَتَيَّلُ} (النساء 77).

{تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} (الأنفال 67).

{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} (الأعلى 16).

{وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} (الرعد 26).

\* وجعل الله إيثار الدنيا ونسيان الآخرة من أعظم الضلالات والسقوط إلى عالم البهيمية. فقال {وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ، الَّذِينَ يَسْتَحْبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى  
الآخِرَةِ} (إبراهيم 3). وقال {وَدَرَ الَّذِينَ أَخْدُوا دِينَهُمْ لَعْبًا وَلَهُوَ وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} (الأنعام 70). وقال {إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَأَطْمَأْنُوا بِهَا وَالَّذِينَ  
هُمْ عَنِ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ، أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ الْتَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يوسوس 7). وحكي عن  
مؤمن آل فرعون قوله لهم {يَا قَوْمَ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} (غافر 39).

\* وربط به الإيمان بالله فقال {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ أَمْنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (التوبه 18). وقال {فَإِنَّ تَنَازَ عَثْمٌ فِي شَيْءٍ فَرُدُودُهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} (النساء 59). وقال {ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ} (البقرة 232). وقال {أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمِ الْآخِرِ} (العنكبوت 36). وهكذا  
لا تكاد تمر على موضع من القرآن إلا وفيه ذكرُ اليوم الآخر، ومع هذا فمعظم الخلق عنه  
غافلون.

## اهتمام النبي ﷺ بموضوع اليوم الآخر

وقال النبي ﷺ "كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل"<sup>(1)</sup>. وأعطى نموذجاً رائعاً في التقرير بين الدارين فقال "ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه في اليم: فلينظر: يم ترجع<sup>(2)</sup>؟"

فعداب الآخرة أشد وأبقى، وثواب الآخرة خير وأبقى. قال ﷺ "يُؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيمة فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبَاغَةً ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطْ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ نَعِيمٍ قَطْ؟ فَيُقَوْلُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ.

وَيُؤْتَى بأشد الناس بؤساً من أهل الجنة فَيُصْبَغُ صَبَاغَةً فِي الْجَنَّةِ فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطْ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ شَدَّةٍ قَطْ؟ فَيُقَوْلُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَبَّ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطْ، وَلَا رَأَيْتُ شَدَّةً قَطْ.

لقد أنسَتْ هذه الصبغة الصغيرة الكافرَ كلَّ ما تمتَّع به في الدنيا. وأنسَتْ هذه الصبغة من الجنة المؤمن كل شقاء ومرارة تعرض لها في الدنيا.

\* وذكر ﷺ أن الله يقول للكافر يوم القيمة: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تقدي بي؟ فيقول: نعم. فيقول الله: قد سئلت ما هو أيسر من ذلك: أن لا تشرك بي ولا أدخلك النار فأبكيت إلا الشرك".

فالعمل الصالح رصيد المؤمن الذي ينجو به، والعملة التي يتداولها الناس يوم القيمة، ولا يعود التعامل بالدرهم والدينار. فلا عجب حينئذ أن ترى المؤمن بالآخرة يسابق إلى الخيرات لا يقصد بها مصالح الدنيا الفانية وإنما يرجو بذلك النجاة والفوز برضا ربه وثوابه في الآخرة. ولهذا قيل "الدنيا مزرعة الآخرة" فكل ما تزرعه يا ابن آدم من العمل الصالح في الدنيا تحصد ثماره في الآخرة.

<sup>(1)</sup> البخاري 6146.

<sup>(2)</sup> مسلم 2858.

<sup>(3)</sup> مسلم 2807.

<sup>(4)</sup> مسلم 2805.

## من هو المفلس؟

وشر الناس "المفلس" ليس مفلس المال وإنما مفلس الحسنات الذي يعطي حسناته يوم القيمة من كان يظلمهم.

قال رسول الله ﷺ "أتدرؤن من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع! قال: إن المفلس من يأتي يوم القيمة بصلوة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقدف هذا وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فَتَّيْتْ حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أَخِذَ من خطاياهم فطُرَحَتْ عليه ثم يُطرح في النار"<sup>(1)</sup>.

والاليوم الآخر ينقسم إلى:

\* يوم خاص يتعلق بأخر حياة المرء عند موته. وفيها يمر الميت بعدة مراحل تعدد المرحلة الأولى.

\* ويوم عام يكون آخر يوم على هذه الأرض. وهو المرحلة الثانية.

---

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2581).

(المرحلة الأولى)

## الموت

إذا كانت الولادة هي الطريق إلى الدنيا، فإن الموت هو الطريق إلى الدار الآخرة. قال تعالى {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ تُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} (العنكبوت 57). وقال {أَيُّنَّا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} (النساء 78). وإذا حانت لحظة الموت فلا قدرة على تأجيلها، قال تعالى {وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلَهَا} (المنافقون 11).

### لحظات الموت الحرجة

وتتنزل الملائكة على المؤمن في أحرج لحظاته، وفي أشد ما يحتاج فيه إلى المعاونة والتثبيت: تتنزل كرامة له لتبشره برحمته وثوابه وجنته. ويجلس عند رأسه ملك يستخرج روحه برفق ويقول: أخرجي أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان".

قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ تُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (فصلت 30). فإذا بالخوف يذهب ويحل مكانه السرور والبشرى والشوق إلى لقاء الله عز وجل.

### من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه

ولهذا لما قال النبي ﷺ "من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه".

قالت عائشة: أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت!

قال: ليس كذلك. ولكن المؤمن إذا بُشِّرَ برحممة الله ورضوانه وجنته: أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله فكره الله لقاءه.

(وفي رواية) ولكن إذا سخط البصر، وحشرج الصدر، واقشعر الجلد، وتشنجت الأصابع: فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه<sup>(1)</sup>.

وتتنزل على الكافر فتبشره بغضبه وعدابه وناره. ويجلس عند رأسه ملك يستخرج روحه فينزعها نزعاً يقطع معه العروق والعصب. فتخرج كأنتن ريح وجدت.

يقول الله تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذَا الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوهُمْ أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَوْلُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ} (الأنعام 93).

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

(المرحلة الثانية)

## عذاب القبر ونعيمه

القبر: تلك الحفرة الضيقة التي تنتظرنا ولا مهرب منها، بل نزداد دنواً منها يوماً بعد يوم. تضيق عند ذكرها الصدور. وتزعج عند تخيلها العقول. ولكن: سواءً: أتذكرة الناس أم غفلوا عنها إنهم قادمون عليها رضوا أم أبوا. وهي إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار.

## البرزخ

ويقضي الناس بعد موتهم فقرة تسمى "البرزخ" تبقى ما بعد الموت حتى تقوم الساعة، ثم يبعث الله الخلائق للحساب كما قال {حتى إذا جاء أحدهم الموت فَلَرَبِّ ارجُعُونَ ، لَعَلَّي أَغْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكَتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمَنْ وَرَأَهُمْ بَرْزَخٌ إِلَيْيْهِ يَوْمٌ يُبَعَّثُونَ} (المؤمنون 100). وقال عن فرعون {النَّارُ يُعَرَّضُونَ عَلَيْهَا عُذُوفًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخُلُوا إِلَيْهِ فَرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} (غافر 46).

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف عند قبر بكى حتى تبتلى لحيته فيقال له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكى من هذا؟ فقال: قال رسول الله ﷺ "أن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه. وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه" وكان يقول "ما رأيت منظراً قط إلا والقبر أفظع منه"<sup>(1)</sup>.

## فتنة القبر

قال ﷺ "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلو لا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه. ثم قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر"<sup>(2)</sup>.

وفتنة القبر: هي الامتحان فيه، وذلك أن الله يرسل إلى الميت بعد دفنه ملائكة يسألانه عن أربعة أشياء:

من ربك؟ ما دينك؟ ما كتابك؟ ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ (يعني النبي محمد ﷺ).

وهذه الأسئلة تبدو سهلة الإجابة الآن. وهي كذلك. ولكن الله هو الذي يثبت المؤمن على الإجابة عليها كما يضل الكافر عن الإجابة عليها في هذا الموقف، لأنه لم يكن يعلم بموجبهما في الدنيا.

ولا ينفع حينئذ تلقين الملائكة الذين يلقنونه الإجابة على هذه الأسئلة<sup>(1)</sup> إن لم يكن قبل موته عاملاً بمقتضاهما في الدنيا، لأن التثبت من عند الله أصلًا وليس بتلقين الملائكة.

<sup>(1)</sup> رواه أحمد وأبو داود بإسناد حسن (المشكاة رقم 132).

<sup>(2)</sup> أخرجه مسلم (2867).

قال تعالى {يُبَتِّلُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ التَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضَلِّلُ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَقْعُلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ} (إبراهيم 27). قال النبي ﷺ عن هذه الآية "نزلت في عذاب القبر يقال له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، ونبي محمد"<sup>(2)</sup>.

فإذا أجاب المؤمن الملائكة "ينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، واقتحوه بباباً إلى الجنة. ف يأتيه من روحها وطبيها، ويُفسح له في قبره مُدّ بصراً، ويُنور قبره. ويقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة. فيقول: دعونني أعود إلى أهلي فأخبرهم فيقال له: نعم كنومه العروس<sup>(3)</sup> لا يوقظه إلا أحباب أهله إليه.

وأما الكافر إذا سئل لم يجب، وإنما يقول "هاه لا أدرى" (وفي رواية) سمعت الناس يقولون ذلك فكنت أقول مثله. فينادي مناد من السماء أن كذب فأفرشو له من النار، واقتحوه بباباً إلى النار، ف يأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره، ويقال للأرض: الثنمي عليه حتى تختلف أضلاعه. ويرى مقعده من النار فيقول: رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة".

لقد كان ذكر القبر يضيق صدره ويشير اشمئزازه، وهو هو الآن يرضى بالقبر منزلًا ومستقرًا. لأنه بظلمته وعذابه وضيقه أهون من النار التي تنتظره.

ثم يسلط الله عليه ملكاً معه مرزبة، فيضربه بها ضربة لو ضرب بها جبل لصار تراباً، يسمعها جميع الخلق ما عدا الجن والإنس<sup>(1)</sup>.

### الذين يؤمنون بالغيب

وما ورد من النصوص من العذاب أو النعيم للميت في عالم البرزخ فإننا نصدق به، سواء أقرب الميت أم أكلته الوحش أو غرق في البحر. فإن ذلك حقيقي يحصل لجسده وروحه. فإن من لم يغرق أو تأكله الوحش فسيأكله الدود وهو في قبره. فما الفرق بين أكل الوحش له وبين أكل الديدان!.

وأما الروح ف تكون بعد مفارقة الجسد إما في نعيم أو عذاب. وليس الأمر كما قالت الفلسفه أن العذاب يشعر به الميت كالحلم المزعج وأنبعث يكون للروح فقط دون الجسد.

فهذا تكذيب لما أخبر الله به على لسان رسوله. فإن الأحاديث أفادت أن العذاب حقيقي يؤلم الجسد. وأن الملائكة يُتعذّبون العبد فيضرره أحدهما ضربة يصير منها تراباً. ويضيق قبره حتى تختلف أضلاعه.

<sup>(1)</sup> والتلقين أن يقال للميت بعد دفنه: إذا جاءك الملائكة فقال لك من ربك فقل: الله ربى . . . الخ. وهذا من بدع الجنائز.

<sup>(2)</sup> متفق عليه .

<sup>(3)</sup> العروس يطلق على الذكر والأنثى (مختر الصاحح 423).

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود بإسناد حسن (المشكاة رقم 133).

إن هؤلاء لا يدركون أن القبر عالم آخر له سنته وقوانينه التي تختلف عن عالم الدنيا فيجب الإيمان به ولا نخوض فيه بعقولنا فإن العقول لا خبرة لها بعالم الآخرة وكيفيته فإذا حكمت عليه من خلال السنن والقوانين الدنيوية كان الحكم خاطئاً.

### نماذج من عذاب القبر

ومن نماذج عذاب القبر ما رواه البخاري ومسلم أن النبي ﷺ مر بقبرين يعذب أحدهما ف قال: أنهما يعذبان وما يعذبان في كبير. ثم استدرك قائلاً: بل إنه الكبير. أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة<sup>(2)</sup>.

---

<sup>(2)</sup> النميمة هي نقل كلام الآخرين على وجه الإفساد بينهم .

## ( المرحلة الثالثة )

## يوم القيامة

فإذا كان قبل يوم الحساب وبينما الناس في كفر وإعراض إذ طلعت الشمس من مغربها، ويبعث الله ريحًا لا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته، ثم لا يبقى على الأرض من يقول لا إله إلا الله - ولا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق - لا يعرفون معرفةً ولا ينكرون منكراً. يسارعون إلى الشر والرذيلة ويحجمون عن الخير والفضيلة.

فيؤمِن الناس حين يرون هاتين الآيتين من آيات قيام الساعة، غير أنه لا ينفع إيمانهم يومئذ ولا تُقبل منهم بعد ذلك توبة. قال تعالى {يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} (الأنعام 158).

ولَا عِلْمَ لِأَحَدٍ بِمَوْعِدِ قِيَامِ السَّاعَةِ: لَا نَبِيٌّ وَلَا مَلِكٌ. قَالَ تَعَالَى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا فَلْ إِنَّمَا عَلِمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لَوْقَتَهَا إِلَّا هُوَ تَقْلِيْتُ فِي السَّمَاءَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَعْثَةً يَسْأَلُونَكَ كَائِنَكَ حَقِّيْعَةً عَنْهَا فُلْ إِنَّمَا عَلِمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (الأعراف 187).

وفي آية أخرى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا 42 فَيَمَّا أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا 43 إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا 44 إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذُرٌ مِنْ يَخْشَاهَا} فقد سأله جبريل النبي ﷺ عن موعد قيام الساعة فقال له "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. أي أن السائل والمسؤول كلاهما لا يعلمان وقت قيامها". غير أنه كان يعلم أمارات قيامها وعلاماتتها.

## علامات القيامة

وتنقسم علامات الساعة وأشراطها إلى قسمين:  
علامات صغرى. وعلامات كبرى.

### \* علامات الساعة الصغرى

علامات الساعة الصغرى:

1- عودة غربة الإسلام عن أهله حتى تكون السنة بدعة والبدعة سنة. ويصير المتمسك بالسنة غريباً شاذًا بين الناس. قال رسول الله ﷺ "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ: فطوبى للغرباء"<sup>(1)</sup>. وهذا من علامات نبوته ﷺ فإن المتمسك بالسنة صار في أيامنا غريباً بين أهله وعشيرته، حيث يعتبرون تمسه تزمناً وتطرفًا وتشدداً وغير ذلك من الألقاب التي يوحى بها الشيطان.

\* ويعود الإسلام إلى المدينة حيث انطلق منها. قال ﷺ "إن الإسلام ليأرз إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حرها". وذلك بعد أن ينقض المسلمين عرى دينهم. ويشربون الخمرة يسمونها بغير اسمها.  
ويتبعون سنن من كانوا قبلهم من اليهود والنصارى و" يأتي زمان لا يبالي فيه المرء ما أخذ منه: أمن حلال أم من حرام"<sup>(2)</sup>.

2- ومع هذا تبقى طائفة من أمته ﷺ تعتصم بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ولا تتجزّ إلى ما هلك فيه الناس من ركوب الأهواء والبدع. قال ﷺ "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرّهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك"<sup>(3)</sup>. أي لا يضرّهم فساد الناس ولا اتهامهم بالتشدد والتطرف وغير ذلك من الألقاب التي أوحى بها الشيطان ليضلّ بها عن طريق الحق.

3- أن تلد الأمة ربتها<sup>(4)</sup>.

4- أن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاة يتطاولون في البناء.

5- أن يتبااهي الناس في زخرفة المساجد. قال ﷺ "لا تقوم الساعة حتى يتبااهي الناس في المساجد"<sup>(1)</sup>.

6- استفاضة المال حتى يعطي الرجل مائة دينار فيظل ساخطاً<sup>(2)</sup>.

7- تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً كما كانت من قبل<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> روah مسلم (145).

<sup>(2)</sup> روah البخاري (2059).

<sup>(3)</sup> روah مسلم (1925).

<sup>(4)</sup> البخاري رقم 50 ومن معاني ذلك أن يبلغ عقوق البنت والدتها حتى تصير كأنها هي التي ولدتها.

<sup>(1)</sup> صحيح أبي داود رقم 475.

<sup>(2)</sup> البخاري رقم (3176).

<sup>(3)</sup> روah مسلم.

- 8 - أن يحسر الفرات عن جبل من ذهب<sup>(4)</sup>.
9. مقتلة عظيمة بين فتئين عظيمتين دعواهما واحدة<sup>(5)</sup>.
10. فتنة عظيمة لا يبقى بيت من بيوت العرب إلا دخلته<sup>(6)</sup>.
11. قتال بين المسلمين واليهود. قال ﷺ "لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود"<sup>(7)</sup>.
12. هدنة بين العرب وبني الأصفر تعقبها غدرة منهم، يتداعون على المسلمين تحت ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفاً<sup>(8)</sup>.
13. تقارب الزمان. قال ﷺ "لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان"<sup>(9)</sup>.
14. يكون في آخر الزمان ثلاثون دجاءً كلهم يزعم أنه نبي كما قال النبي ﷺ  
(10)
15. كثرة الزلزال وخسف ومسخ يلحق بهذه الأمة لاستحلالها الخمر والقينات والمعازف والفوائح وقطيعة الرحم. قال ﷺ "سيكون في آخر الزمان خسف وقدف ومسخ: إذا ظهرت المعازف والقينات واستحللت الخمر"<sup>(1)</sup>.
16. ظهور الفاحشة علانية حتى يأتي الرجل المرأة على قارعة الطريق فيقول الناس "لو تتحى هذان جانبأً لكان خيراً". وإذا أعلن الناس الزنا سلط الله عليهم الأمراض والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم. وها نحن اليوم نرى مصداق قول الرسول ﷺ فقد أعلن الناس الزنا فسلط الله عليهم أمراضًا لم يكن آباؤهم يعرفنها من قبل كالأيدز وغيره.
17. نار عظيمة بالحجاز تضيء لها أعنق الإبل ببصري<sup>(2)</sup>.
18. قبض العلم وذهاب العلماء وفسو الجهل وإسناد العلم إلى رؤساء جهال لقول ﷺ "لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم"<sup>(3)</sup> و قوله "إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور العلماء وإنما يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً واحداً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فأفتووا بغير علم فضلوا وأضلوا وهلكوا وأهلكوا"<sup>(4)</sup>.
- 
- (4) متفق عليه .
- (5) متفق عليه .
- (6) البخاري . 1763
- (7) متفق عليه .
- (8) البخاري (3176)
- (9) رواه البخاري رقم 7121 .
- (10) رواه الترمذى (2219) بإسناد صحيح .
- (1) رواه الطبرانى والترمذى (صحىح الجامع 3559) .
- (2) متفق عليه .
- (3) رواه البخاري 36 .
- (4) رواه البخاري 100 .

19- إسناد مقاليد الحكم إلى غير أهلها. قال رسول الله ﷺ "إذا وُسِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة"<sup>(5)</sup>.

20- تضييع الأمانات. قال رسول الله ﷺ "إذا ضُيِّعَتِ الأمانة فانتظر الساعة"<sup>(6)</sup>.

---

<sup>(5)</sup> رواه البخاري رقم 59.

<sup>(6)</sup> رواه البخاري رقم 59.

21- ظهور الفتنة وكثرة القتل، حتى لا يدرى القاتل فيما قُتل، ولا المقتول فيم قُتل، لقوله ﷺ "لا تقوم الساعة حتى.. تظهر الفتنة ويكثر الهرج. وحتى يمر الرجل بقبل الرجل فيقول يا ليتني مكانه"<sup>(1)</sup>. ولذا دعانا إلى المبادرة إلى العمل الصالح قبل أن تموي الفتنة فتحول بيننا وبين ذلك. فقال "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم: يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسى مؤمناً ويصبح كافراً: يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل"<sup>(2)</sup> أي بادروا بالعمل الصالح قبل أن تدرككم هذه الفتنة العظيمة التي بسببها يصبح أناس كفاراً بعد أن كانوا قبل ذلك: مؤمنين.

22- قيام الساعة يوم الجمعة. لقول النبي ﷺ "لا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة"<sup>(3)</sup>.

<sup>(1)</sup> متفق عليه .

<sup>(2)</sup> رواه مسلم (118) .

<sup>(3)</sup> رواه مسلم رقم 854 .

علمات الساعة الكبرى

١- خروج الدخان: قال تعالى {فَإِذْنُقُبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاء بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ١٠ يَعْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابُ الْيَمِّ} (الدخان ١٠). وهذا الدخان يأخذ الله به أنفاس الكافرين، قال رسول الله ﷺ "لَنْ تَقُومِ السَّاعَةَ حَتَّى تَرَوْا قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ". ذكر منها "الدخان والدجال"<sup>(١)</sup>.

2- ظهر المهدى: وقد صحت الأحاديث في المهدى وأفادت بأنه من نسل نبينا  
وعلى شبهه. يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. قال ر<sup>(2)</sup> "لو لم يبق  
من الدهر إلا يوم لبعث الله رجالاً من أهل بيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً  
وظلماً. يملك سبع سنين (وفي رواية) "يُواطئ اسمه" اسمى واسم أبيه اسم أبي".

3- ظهور المجال الذي يدعى الألوهية وعلى يديه تكون فتنة عظيمة، يتبعه على ضلاله كثيرون، وكان نبينا ﷺ يحذر من فتنته ويستعيذ منها عقب كل صلاة، ويكون ظهوره واتباع الغالبية له ثمرة كفرهم وفسادهم في الأرض. ويأتي ومعه نهران يجريان أحدهما تراه العين ناراً والآخر تراه ماءً أبيض. قال ﷺ "فليأت النهر الذي يراه ناراً وليرغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد" <sup>(3)</sup>.  
وتبقى فتنته أربعين يوماً. يأمر السماء فتنبت. ويأمر الأرض فتخرج كنوزها. لا يزال كذلك حتى يقتلته عيسى بن مريم ويريح الناس من شره. وقد أمرنا نبينا ﷺ أن نعلم أولادنا أوائل وأواخر الآيات العشر من سورة الكهف كيما تضرهم فتنته <sup>(4)</sup>. ومن علاماته أنه أعور مكتوب بين عينيه (كافر) يقرأها كل مؤمن.

3- خروج يأجوج ومأجوج. قال تعالى {هَنَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} (الأنبياء 96) أي يسرعون في الإفساد في الأرض. وقد ذكر القرآن وجودهم في الأرض، غير أنه لم يعين لنا شيئاً عن مكان وجودهم. وقال فيهم رسول الله ﷺ "وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فَيَمْرُ أَوْ ائِلَهٍ مَعَهُمْ عَلَى بَحِيرَةٍ طَرِيقَةٍ فَيُشَرِّبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمْرُ أَخْرَهُمْ فَقَوْلُونَ: لَقَدْ كَانَ مِرَّةٌ بِهَذِهِ مَاءٌ<sup>(1)</sup>

٤ نزول عيسى علي السلام إلى الدنيا لا كرسول، بل يتبع شريعة نبينا الذي قال "والذي نفسي بيده ليوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها"<sup>(2)</sup> وليلضعن الجزية.. ولتذهبن الشحنة والتباغض

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (2901).

<sup>(2)</sup> رواهُ أَحْمَدُ وَالْتَّرْمِذِيُّ بِسْنَدِ حَسْنٍ (الْمُشْكَاهُ 3: 24).

. (رواه مسلم) (2249) <sup>(3)</sup>

<sup>(4)</sup> البخاري 7131

<sup>(1)</sup> رواه مسلم رقم (2937).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري رقم 2222 و 3448.

"والحسد"<sup>(3)</sup> ومعنى وضع الجزية هنا أنه لا يقبل إلا الإسلام أو السيف. ولا يقبل منهم الجزية.

ويهلك الله تعالى به الدجال وقوم يأجوج ومأجوج. بعد أن يستجيب لدعوته فيهم فيهلكون جميعهم<sup>(4)</sup>.

5- عودة البشرية إلى الجاهلية القديمة وإلى الشرك، وتلتحق بهم طائفة من هذه الأمة. قال ﷺ "لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق"<sup>(5)</sup> وقال "لا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتى بالمسركين، ويعبدون الأواثان"<sup>(6)</sup>.

6- شروق الشمس من مغربها كما تقدم. عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال "لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها. فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعين: فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها: لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً"<sup>(7)</sup>.

7- خروج الدابة التي تبهر الناس فيجعلها الله تتكلم. قال تعالى {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَلُّوا بِآيَاتِنَا لَا يُوْقِنُونَ} (النمل 96).

<sup>(3)</sup> رواه مسلم رقم (155).

<sup>(4)</sup> رواه مسلم رقم (2937).

<sup>(5)</sup> رواه مسلم رقم (2949).

<sup>(6)</sup> رواه أبو داود بإسناد صحيح (3072).

<sup>(7)</sup> رواه البخاري (4635).

## النفخ في الصور

فإذا جاء وعد القيمة أمر الله الملك فينفخ في الصور، فلا يبقى أحد سمع صوت النفخة إلا صعق وخرّ ميتاً في الحال. في ذلك اليوم، يبدل الله الأرض، فتصير على خلاف هيئتها المعهودة.

قال تعالى {يَوْمَ تُبَدِّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} (إبراهيم 48).

\* وينفخ في الصور ثانية، بعد أن مات الناس كلهم، ويأمر الله الملك فينفخ نفختين: نفخة يصفع منها كل حي، فيماوت جميع الأحياء، ويبقى ربنا الحي الذي لا يموت. ونفخة أخرى يقوم منها الناس قال تعالى {وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخْتُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قَيَامٌ يَنْظَرُونَ} (الزمر 68).

## نفخة البعث

فالنفخة الأولى تسمى نفخة الصعق، والنفخة الثانية تسمى نفخة البعث ويقوم الناس لهذه النفخة الثانية. ويبعث الله جميع الموتى. فيقومون من قبورهم لرب العالمين، ويحشرون بين يدي خالقهم حفاة عراة غرلاً<sup>(1)</sup>.

لا ينظر بعضهم إلى بعض من شدة الموقف، كل إنسان مشغول بنفسه يطلب لها الأمان والنجاة. قال تعالى {وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخْتُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قَيَامٌ يَنْظَرُونَ} (الزمر 68).

وقال {وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ، قَالُوا يَا وَيْلًا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقُدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ، إِنْ كَانَتْ إِلَيْهَا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ، فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (يس 51).

<sup>(1)</sup> أي على خلقهم الأولى من غير اختنان.

## أدلة البعث وحكم من أنكره

وال المسلم يشهد أن البعث حق لمجرد أن الله تعالى أخبر به، وأنه من مقتضى الحكمة والعدل أن يأخذ للمظلوم من الظالم، وإنما: فلو لم يكن يوماً آخر يجازى فيه الظالم ويؤخذ للمظلوم بحقه لصار الظالم أفضل من المظلوم لأنه أخذ حق المظلوم ومات بعد أن تمنع به. وفي هذه الحال ينتصر الباطل على الحق.

\* وليس الأمر كذلك. فإن الله أعد للناس يوماً يجزي فيه الظالم بظلمه والعادل بعده. فالإيمان بالبعث هو الذي يليق بجلال الله وعدله وحكمته. والعقل السليم يشهد بذلك. والنفس السليمة تطمئن إليه.

\* ولهذا قال رسول الله ﷺ "لِتَوْدُنَ الْحَقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ". فإذا لم يعد الحق لأهله في الدنيا ولا في الآخرة فمتى يعود إذن؟ هل يجوز أن تكون عاقبة الأمور على هذا النحو المجحف؟

### مفاسد إنكار البعث

لذا كان في إنكار البعث مفاسد عديد في الاعتقاد:

**أولاً:** نسبة الظلم إلى الله. لا سيما إذا مات الظالم والمظلوم من غير أن يحصل المظلوم على حقه.

**ثانياً:** أن في إنكاره تكذيب الله ولرسوله. لأننا قد علمنا خبر البعث من خلال ما أوحى الله إلى رسليه. وما من رسول إلا وأنذر قومه يوم الحساب.

**ثالثاً:** أن من أنكر البعث لا بد أن يعتقد أن وجود الكون ضرب من العبث.

ولقد بين الله في القرآن أن من أنكر البعث لن يرى هناك أية جدوى من خلق هذا العالم. فقال {أَفَخَسِبُتُمْ أَنَّمَا خَلَقَنَاكُمْ عَبَّادًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ، فَقَعَالَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ} (المؤمنون 115).

وإنكار حكمة الله واعتقاد البعث في فعله كفر لا تنفع معه صلاة ولا صيام، ولا إيمان بالرسل ولا بالكتب. قال تعالى {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ لَنْ يُبَعَّثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبَعَّثُنَّ مَمَّا لَتَبَعُّذُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} (التغابن 7).

إن الله تعالى ما خلق السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق، وبعث هذا الخلق يسير على الله القدير. كيف لا وهو القائل {مَا خَلَقْنَاهُمْ لَا يَعْنَتُهُمْ إِلَّا كَفَّسَ وَاحِدَةٌ} (لقمان 28).

وقال {لَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} (غافر 57) ويقول {أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2582).

مِثْلُهُمْ بَلٰى وَهُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ، فَسُبْحَانَ  
الَّذِي بِيَدِهِ مَلْكُوتُ كُلٌّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} (يس 81).

## نماذج من أنواع المبعوثين

ويختلف البعث من شخص لآخر:

\* فمن مات في الحج وهو محرم ولم يُكمل حجه بعد، فإنه يُبعث يوم القيمة وهو يلبي، يموت وتبقى أحكام الإحرام جارية عليه السلام كتحريم لبس المخيط وتغطية الوجه والرأس. فإذا رد الله إليه روحه استأنف التلبية (لبيك اللهم لبيك).

فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً كان واقفاً مع النبي ﷺ بعرفة فوقع من راحلته فأوقسته (دقن عنقه) فقال النبي ﷺ "اغلسوه بماء وسدر وكفنوه في ثوبيه ولا تخمروا (تغطوا) وجهه ولا رأسه فإنه يُبعث يوم القيمة ملياً"<sup>(1)</sup>.

\* ومن كان يأكل الربا الحرام في الدنيا: فإنه يُبعث يوم القيمة كالمصروع المسعور من مس الشيطان كما قال تعالى {الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُونَ الَّذِي يَتَخَبَّطُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ} (البقرة 275).

\* ويُبعث المتكبرون المكذبون بيوم القيمة، فيتصرون عياناً ما جحدوه قال تعالى {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظَرُونَ} فتمتلئ قلوبهم حسرة وندما ويقولون {يَا وَيَلْتَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ} فيخاطبهم الله {هَذَا يَوْمُ الْقِصْلَةِ الَّذِي كُلُّنَا بِهِ تُكَبَّبُونَ، احْسُرُوا الَّذِينَ طَلَمُوا وَأَرْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ، مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُو هُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ 23 وَقُفُوْهُمْ إِلَّهُمْ مَسْؤُلُونَ، مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ، بَلْ هُمُ الْيَوْمُ مُسْتَسْلِمُونَ} (الصفات 14). فيندمون أشد الندم ولكن لا ينفع الندم يومئذ. ويقولون {يَا وَيَلْتَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَبِنَا} فيجيبون {هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ، إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعُ لَدِينِنَا مُحْضَرُونَ، فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْنَمْ تَعْمَلُونَ} (يس 52).

لقد كانوا في الدنيا يقولون بسخرية {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ} (المؤمنون 37) {إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ، أَيْدِيَ مِنْنَا وَكُلَّا تُرَابًا وَعَظَامًا أَيْنَا لِمَبْعُوثِينَ، أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ} فيجيبهم الله {فَلَنْ تَعْمَلُ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظَرُونَ}.

## الحضر

ثم يساق الناس جميعاً إلى الموقف العظيم حيث يقفون فيه، ينتظرون قضاء الله تعالى بين العباد. وفي هذا الموقف يصيب الناس منه كرب شديد، حيث تدنو الشمس من الخالق ويتصبب منهم العرق: كل بحسب عمله. فمنهم من يصل عرقه إلى كعبه، ومنهم من يصل إلى ركبتيه. ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً حتى يبلغ فوق الرؤوس.

\* ويشتد الكرب حينئذ على الناس فيفزعون إلى الأنبياء يستشفعون إلى الله أن يريحهم من هذا المكان.

ويأتون آدم فيقولون له "أنت آدم، أبوخلق، خلقك الله بيده، ونفح فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لهم:

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

لست لها ولكن ائتوا نوحاً. فـيأتون نوحاً فيجيبهم بمثل ذلك ويحيلهم على النبي الذي كان بعده، وكلهم يقول نفسي حتى يأتوا عيسى عليه السلام فيقول لهم: لست لها ولكن ائتوا محمداً، عبداً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. ويقول كل منهم "إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله قبله، ولن يغضب مثله بعده".

حتى يأتوا محمداً  $\text{P}$  فيقولون: يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول "أنا لها أنا لها"<sup>(1)</sup>. فيشفع عند الله ويخر ساجداً تحت العرش، قال:

"فـيأتوني، فأـستأذن على ربـي، فـيؤذن ليـ، فـاتـي تحت العـرـشـ، فـيؤذـن لـيـ، فـإـذا أـنـا رـأـيـتـهـ وـقـعـتـ سـاجـدـاـ لـربـيـ، ثـمـ يـفـتـحـ اللـهـ عـلـيـ مـنـ مـحـامـدـ وـحـسـنـ الثـنـاءـ عـلـيـهـ شـيـئـاـ لـمـ يـفـتـحـهـ عـلـىـ أـحـدـ قـبـلـيـ، فـيـدـعـنـيـ مـاـ شـاءـ اللـهـ، فـيـقـالـ: يـاـ مـحـمـدـ اـرـفـعـ رـأـسـكـ، وـقـلـ يـسـمـعـ لـكـ، وـسـلـ ثـعـطـهـ، وـاـشـفـعـ ثـعـقـعـ. فـيـرـفـعـ رـأـسـهـ فـيـقـولـ: يـاـ رـبـ، أـمـتـيـ، وـيـقـولـ: يـاـ رـبـ، أـئـذـنـ لـيـ فـيـمـنـ قـالـ: لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ، قـالـ: فـلـيـسـ ذـلـكـ إـلـيـكـ، وـلـكـ: وـعـزـتـيـ وـكـبـرـيـائـيـ وـعـظـمـتـيـ لـأـخـرـ جـنـ منـهـ مـنـ قـالـ: لـاـ إـلـهـ إـلـاـ اللـهـ<sup>(2)</sup>".

\* ويرى كل منهم ما قدم من عمل في الدنيا، فتعطى له صحيفة مكتوب فيها كل ما عمل في الدنيا. قال تعالى {بِيَوْمِ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ، وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُدًا} (مريم 85). وقال {وَحَسَرَنَا هُمْ فَلَمْ يُغَادِرُنَّ مِنْهُمْ أَحَدًا ، وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفَّا لَقَدْ جَنَّمُوا كَمَا خَلَقْنَاهُمْ أَوَّلَ مَرَّةً بَلْ زَعَمْنَاهُمْ أَنَّنَّنَا نَجَعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ، وَوُضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَقِينَ مَمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلَّا مَالَ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (الكافرون 47) ويقال لهم {هـذـاـ كـتـابـنـاـ يـنـطـقـ عـلـيـكـمـ بـالـحـقـ إـنـاـ كـانـاـ سـتـنـسـخـ مـاـ كـنـثـمـ تـعـمـلـونـ} (الجاثية 29).

\* ويحشر المعرضون عن الله عمياً كما قال تعالى {ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكًا وتحشره يوم القيمة أعمى. قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً؟ قال كذلك أنتك آياتنا فنسيتها: وكذلك اليوم ننسى} (طه 124).

\* ويحشر مانع الزكاة فيعذب بكنزه الذي كان يخفيه أهله. {وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الدَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفَثُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرُهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكُوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هـذـاـ مـاـ كـنـثـمـ لـأـنـفـسـكـمـ فـذـوـفـواـ مـاـ كـنـثـمـ تـعـمـلـونـ} (التوبة 35).

قال رسول الله  $\text{P}$  "ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقه إلا إذا كان يوم القيمة صفحات له صفات من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكون بها جنبه وجبينه وظهره، كلما برئت أعيت له في يوم مقداره ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار (ويقال هذا مالك الذي كنت تدخل به)<sup>(1)</sup>".

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

<sup>(2)</sup> أخرج البخاري (7510) ومسلم (193).

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

ويُحشر الكافرون يوم القيمة على وجوههم عميّاً وبِكُماً وَصُمّاً، جزاء تكبرهم وجحودهم وتناسيهم يوم القيمة. قال تعالى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْدَرٍ ، يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي التَّارِىَلَى وُجُوهُهُمْ دُوْقُوا مَسَّ سَقَرَ} (القمر 48) وقال {وَتَحْشِرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبِكُماً وَصُمّاً مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلُّمَا خَبَثْ زَدَنَاهُمْ سَعِيرًا} والسبب {ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَئِذَا كُلُّا عِظَامًا وَرُفَاقًا إِنَّا لِمَبْعُوثُونَ خَلْفًا جَدِيدًا} (الإسراء 98).

سئل رسول الله ﷺ "يا نبی الله کیف یحشر الکافر علی وجوہہ؟ فاجاب "اللیں الذی امشاء علی رجلیہ فی الدنیا قادرًا علی ان یمشیہ علی وجوہہ یوم القيمة؟ قال قتادة: بلی وعزۃ ربنا"<sup>(1)</sup>. ويُحشر المتكبرون المتعالون المتألهون يوم القيمة أمثال الذر يطؤهم الناس إمعاناً في إذلالهم جراء تكبرهم وتجبرهم في الدنيا.

---

<sup>(1)</sup> مسلم رقم (2806).

## الآمنون من فرع اليوم الأكبر

وفي المقابل يؤوي الله أنواعاً من الصالحين إلى ظله يوم لا ظل إلا ظله<sup>(1)</sup> يؤمنهم وينجيهم مما يغشى الناس من الفزع والحر والخوف، منهم:

- 1 - إمام عادل.
- 2 - وشاب نشا في عبادة الله.
- 3 - ورجل قلبه معلق بالمساجد.
- 4 - ورجلان تحابا في الله: اجتمعوا عليه وتفرقوا عليه.
- 5 - ورجل طلبه امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله.
- 6 - ورجل تصدق بصدقه فأخفاها حتى لا تعلم شماليه ما تتفق يمينه.
- 7 - ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.

يؤمنهم الله بما يفرج عن الناس يوم القيمة. قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقُتْ لَهُمْ مَا  
الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ، لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَى أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ، لَا  
يَحْرُثُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَنَاقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} (الأنبياء 102).

وقد استعرض القرآن حال الفريقين فقال {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِنْ  
فَرَعَ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَلَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هُلْ تُجْزَوُنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ}. وبين أنه لا وجه للمقارنة بين الفريقين فليعمل كل منهم ما شاء.

قال تعالى {أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي أَمْمًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ  
إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (فصلت 40). وقال {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنَّنَا  
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءَ مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} (الجاثية 21).  
وقال {لَا يَسْتُوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائزُونَ} (الحشر 20). وقال {أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ، مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ} (القلم 35).

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

## الحوض

ويرد المسلمين حوض النبي ﷺ العظيم الذي هو أبيض من اللبن، وأحلى من العسل وأنيته أكثر من عدد نجوم السماء، يمد من نهر الجنة وهو غاية في الاتساع ويكفيك أن تعلم أن كل زاوية من زواياه مسيرة شهر. وذلك ليشربوا منه، وكلما شربوا منه ازداد اتساعاً.

قال رسول الله ﷺ "حوضي مسيرة شهر، مأوه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وأنيته كعدد نجوم السماء: من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً" إلا أنه يحال بين المبتدعين وبين الحوض فيقول<sup>(1)</sup> النبي ﷺ آنذاك: أصيحيابي أصيحيابي، فيقال له: إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدهك. فيقول "سحقاً".

ويقول الله تعالى<sup>(2)</sup> "من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتابع من كان يعبد القمر القمر، ويتابع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت. فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب (ومن كانوا يعبدون عيسى وعزيرا) إلا يتلقون في النار".

وهو لاء لا يحاسبون على ما اقترفوه من الذنوب التي هي دون الكفر والشرك. كما قال تعالى {وَلَا يُسْأَلُ عَنْ دُّنُوبِهِمُ الْمُجْرُمُونَ} (القصص 78). فإن جريمة الشرك وتکذیب الرسل من أعظم الذنوب، والعقوبة عليهم أشد أنواع العقوبات.

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

<sup>(2)</sup> متفق عليه.

## الحساب والجزاء

وبعد بعث العباد وحشرهم يبدأ عرض أعمالهم ومن ثم الحساب والجزاء. قال تعالى {إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابُهُمْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ} (الغاشية 25). وقال فيما أخبر عنه النبي ﷺ "يا عبادي إنما هي أعمالكم أحسبها لكم ثم أوفيكم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلوم من إلا نفسه"<sup>(1)</sup>.

يوقف الله تعالى عباده بين يديه، ويعرفهم بأعمالهم التي عملوها وأقوالهم. وتتطاير الصحف والسجلات كما قال تعالى {وَإِذَا الصُّحْفُ تُشَرَّتْ} وهي مع انتشارها وتتطايرها فإن الله قادر على أن يوصل كل صحيفة إلى صاحبها، فيستلمها. لا يحصل في ذلك لبس ولا اختلاط.

ويُعطى كل واحد كتابه: إما بيمنيه إن كان سعيداً، لا يمكن أن يستلمها بشماله، ويستلمها بشماله إن كان شقياً، لا يمكن أن يتسلمها بيمنيه. وهذا من مشاهد الإعجاز الإلهي. قال تعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتَيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُمُ افْرَوْوا كَيْابِيْهُ ، إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلِاقٌ حِسَابِيْهُ ، فَهُوَ فِي عِيشَةِ رَأْضِيَّةِ ، فِي جَلَّةِ عَالِيَّةِ ، فُطُوفُهَا دَانِيَّةُ ، كُلُّوا وَأَشْرِبُوا هَنِيَّةً بِمَا أَسْلَقْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَّةِ ، وَأَمَّا مَنْ أُوتَيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كَيْابِيْهُ ، وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيْهُ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْفَاضِيَّةُ ، مَا أَعْنَى عَنِي مَالِيَّةُ ، هَلَّكَ عَنِي سُلْطَانِيَّةُ}.

ثم يؤمر به فيؤخذ إلى حيث مأواه ومستقره {خُذُوهُ فَعُلُوْهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوْهُ ، ثُمَّ فِي سُلْسِلَةِ دَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْكُنُوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ، وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِنِينَ} (الحاقة 20).

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2577).

## ولا يظلم ربك أحداً

فإذا تسلم العباد كتبهم وقرأوها، تذكروا عند ذلك ما كانوا يعملونه في الدنيا:  
 {فَإِذَا جَاءَتِ الْطَّامِةُ الْكُبْرَىٰ ، يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ، وَبُرَزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ بَرَىٰ ، فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ، وَأَثْرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ} (النازعات 36).  
 {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَىٰ لَهُ الدُّكْرَىٰ ، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي فَدَمْتُ لِحَيَاةِي} (الفجر 24).

{وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقْفُوا عَلَى النَّارِ قَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَدِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَلَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (الأنعام 27).

فالمسبح أحصيت له تسبيحاته.  
 والمصلحي أحصيت له صلواته.  
 والمتصدق أحصيت له صدقاته.  
 والزانى أحصي عليه زناه.  
 والسارق أحصيت سرقاته.  
 وأكل الربا والحرام أحصي حرامه.

قال تعالى {فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ، فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ، وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ، وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ، فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ، وَيَأْتِي سَعِيرًا} (الإنشقاق 8).

### أحصاء الله ونسوه

ويذهلهم ما تضمنه هذا الكتاب من دقة متناهية في تسجيل وإحصاء كل ما عملوه  
 {وَوُضِيعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَقِينَ مَمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيَلْتَئِمَا مَالَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} (الكهف 47-49). {وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنْقِهِ وَأَخْرَجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَأْقَاهُ مَنْشُورًا ، افْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} (الإسراء 14).

وهذا مقتضى العدل الإلهي، فإن أعمال الناس مرتبطة بهذا اليوم.

قال تعالى {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} (المائدة 9).

قال <sup>(1)</sup> "لا تزول قدمًا عبد يوم القيمة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفاده، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله: من أين اكتسبه وفيه أنفقة، وعن عمله: ماذا عمل به."

وقال <sup>(2)</sup> "ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه يوم القيمة ليس بينه وبينه ترجمان. فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى (2419) وهو حسن بشواهدہ.

فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه. فاتقوا النار ولو بشق تمرة. ومعناه ولو أن تتصدقوا بشق تمرة لأن الصدقة تدفع النار عن أصحابها.

---

<sup>(2)</sup> متفق عليه .

## أول ما يُسأل عنه العبد

وأول ما يحاسب عليه العبد: عن توحيده وإخلاصه لربه.  
ثم أول ما يُسأل عنه من الأعمال الصلاة. فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن  
فسدت فسد سائر عمله<sup>(1)</sup>.  
وأول ما يُقضى بين الناس في الدماء<sup>(2)</sup>.

## أول من تشتعل بهم النار

وأول أنواع الناس يدعون للحساب ثلاثة ورد ذكرهم في حديث أبي هريرة أن  
النبي ﷺ قال<sup>(3)</sup>: "إن أول الناس يدخل النار يوم القيمة ثلاثة نفر:

1 - عالم جمع القرآن أي حفظه.

2 - مجاهد قُتِلَ في سبيل الله.

3 - وغنى كثير المال.

فأولُ من يُدعى للحساب قارئ القرآن، فيقول الله له:

الْمَ أَعْلَمُكَ مَا أَنْزَلْتَ عَلَى رَسُولِي؟

قال: بلى يا رب.

قال: فماذا عملتَ فيما علمتَ؟

قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار رجاء ثوابك.

فيقول الله: كذبت، وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردتَ أن يقال: فلان  
قارئ، وقد قيل ذلك (أي قالوا فيك ما كنت ترجوه منهم). اذهبوا به إلى النار.

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد؟

قال: بلى يا رب.

قال: فماذا عملتَ فيما آتيتاك؟

فيقول: رب قد رزقني مالاً فوصلت به الرحم، وتصدقـت به على المساكين رجاء  
ثوابك وجنتك.

فيقول الله له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت. ويقول الله: إنما أردت أن يقال: فلان

جواد. وقد قيل. اذهبوا به إلى النار.

ثم يؤتى بالذى قُتِلَ في سبيل الله فيقول الله: فيم قتلت؟

فيقول: رب خرجت في سبيلك فقاتلت حتى قتلت رجاء ثوابك وجنتك.

فيقول الله كذبت. وتقول الملائكة كذبت. ويقول الله: إنه كنت تقاتل ليقال أنك  
جريء وشجاع، وقد قيل. خذوا به إلى النار.

قال رسول الله ﷺ : يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسرع بهم النار يوم  
القيمة.

ويأتي أقوام: لا يكلّهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، منهم:

الشيخ الزاني.

والملك الكاذب الغاش لرعيته.

والفقر المستكبر.

<sup>(1)</sup> رواه الطبراني بإسناد حسن (صحيح الترغيب 222).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري في كتاب الديات، ومسلم رقم (1678).

<sup>(3)</sup> رواه الحاكم 111:2 بإسناد صحيح.

ورجل حلف على سلعة وهو كاذب، قد أعطي بحلفه أكثر مما تستحق سلعته.  
والعاق لوالديه.  
والزناة والزواني.  
وأكل أموال الناس ظلماً. والديوث<sup>(1)</sup>.  
والمنتسبون بالنساء من الرجال، والمنتسبات من النساء بالرجال.

- ويؤتى بشارب الخمر فأول عقوبته أن يسقيه الله من طينة الخبال وهي عصارة فروج المومسات التي تخرج منها في النار. وهذا الماء المنتن يتناسب ونتن الخمر الذي كان يشربه في الدنيا. قال ر<sup>(2)</sup> "تكلف الله لشارب الخمر في الدنيا أن يسقيه من طينة الخبال، قالوا وما طينة الخبال يا رسول الله؟ قال: عصارة فروج المومسات".

<sup>(1)</sup> هو الذي يرضي الفاحشة والفساد في أهله.

<sup>(2)</sup> مسلم (2002) وغيره.

## الميزان

وتوزن أعمال العباد بميزان الله الحكم العدل يوم القيمة. وهو أعدل الموازين وأدقها، فلا يظلم يومئذ عنده أحد. ويكون بعد مرحلة الحساب. قال تعالى {وَتَضَعُ  
الْمَوَازِينَ الْقِسْطُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِنْ قَالَ حَبَّةً مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا  
وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنياء 47). وقال {وَالْوَرْزُنْ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ  
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَقَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِأَيَّاتِنَا يَظْلِمُونَ}  
(الأعراف 8).

وقال رسول الله ﷺ "يوضع الميزان يوم القيمة، فلو وزن فيه السماوات والأرض لو سمعت. فتفقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله: لمن شئت من خلقي. فتفقول الملائكة: سبحانك ما عبادك حق عبادتك، ويوضع الصراط مثل حد الموسى، فتفقول الملائكة: من تجيز على هذا؟ فيقول: من شئت من خلقي، فيقولون: سبحانك ما عبادك حق عبادتك" <sup>(1)</sup>.

ومع عظمة هذا الميزان وسعته، فإن من رحمة الله أن يسرّ لعباده المؤمنين من قليل الذكر ما يملأ هذا الميزان حسنات يوم القيمة. قال رسول الله ﷺ "الحمد لله تملا الميزان. وسبحان الله تملا ما بين السماء والأرض" <sup>(2)</sup>. وقال "كلماتان خفيتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم" <sup>(3)</sup>.

ونعلم أنه مهما كثرت أعمالنا الصالحة ومهما بلغت بنا العبادة، فإنه لا يمكن أن تتكافأ مع فضل الله وجزيل نعمه. فلو وزنت أعمال العباد الكثيرة بنعمة البصر التي أنعم الله عليه وكانت هذه النعمة تفوق جميع أعماله. ولكن تنقيل الحسنات ومحو السيئات فضل ونعمة من الله الغني الكرييم، والله ذو الفضل العظيم. فنسأل الله تعالى أن يعاملنا يوم القيمة بعفوه وفضله لا بعده. فإنه إن عاملنا بعده: فأي شيء يعدل ويكافى نعمة؟

وذكرت عائشة النار يوماً فبكت، فقال لها النبي ﷺ "ما يبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيمة؟ قال: أما ي ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أي خفيف ميزانه أم يثقل. وعند الكتاب حتى يعلم أين يقع كتابه: أبي يمينه أم في شماله؟ وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم: حتى يجوز الصراط".

وتجنو الأمم بأعدادها الهائلة على الرُّكُب تترقب نتيجة أعمالها وقرار الله عز وجل فيها. قال تعالى {وَتَرَى كُلُّ أُمَّةٍ جَانِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ مَا كُنْتُمْ  
تَعْمَلُونَ ، هَذَا كِتَابُنَا يَنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُلُّنَا نَسْتَسْعِي مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخَلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ، وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ  
تَكُنْ آيَاتِي تُثْلِي عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبِرُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ} (الجاثية 28).

<sup>(1)</sup> رواه الحاكم 586/4 وصححه ووافقه الذهبي.

<sup>(2)</sup> رواه مسلم (223).

<sup>(3)</sup> رواه مسلم رقم (2694).

<sup>(1)</sup> رواه أبو داود (4755) بسند حسن.

وَلَدْعَى الْأُمَّ بِأَوْثَانَهَا وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، وَلُصُورٌ لَهُمْ صُورٌ تُشَبَّهُ مِنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ فِي الدُّنْيَا: وَيُنَادَى: لِتَتَّبَعُ كُلَّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَنْصَابِ إِلَّا يَسْاقُطُونَ فِي النَّارِ.

وَيَقَالُ لِلَّهُوْدِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ عَزِيزًا "كَذَبْتُمْ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا".  
وَيَقَالُ لِلنَّصَارَى الَّذِينَ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْمَسِيحَ "كَذَبْتُمْ؛ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا". وَيُؤْمِرُ بِهِمْ فِيْكَبُونَ فِي جَهَنَّمْ.

## فضيحة المنافقين

وبعد أن يكب الكفار والمشركون على وجوههم إلى جهنم، هكذا ومن غير حساب يبقى:

**النوع الأول:** المؤمنون ظاهراً وباطناً، وهم أتباع الرسل الموحدون، وفيهم أهل الذنوب والمعاصي. الذين خلطاوا من الأعمال الصالح والعمل السيئ. واقترفوا من كبائر الذنوب وصغارها. فهو لاءٌ يعطون نوراً، غير أن هذا النور يختلف من مؤمن لآخر بحسب أعمالهم الصالحة أو السيئة. ويقال لهم "أمضوا على قدر نوركم" أي سيروا على الصراط وتكون نجاتكم بحسب ما معكم من عمل.

**النوع الثاني:** قوم أظهروا الإيمان وأبطئوا الكفر، وهم المنافقون الذين كانوا يندسون بين صفوف المؤمنين يرجفون ويثبطون ويتربيصون بالمؤمنين ويدينون بالولاء إلى الكفار والمشركين. فيبينما هم واقفون إلى جانب المؤمنين يتأنبون معهم لمحاورة الصراط، وبينما يعطي الله جميع المؤمنين نوراً ليمشوا به على الصراط مع كل مؤمن نور يمشي به: إذا بنور المنافقين ينطفئ فجأة فينكشف حالهم ويفتضح نفاقهم، فيسألون المؤمنين أن يمدوهم بشيء من نورهم، ولكن يحال بينهم وبينهم.

قال تعالى {يَوْمَ يُقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُوْنَا نَعَيْسَ مِنْ نُورِكُمْ قَبْلَ ارْجَعُوْا وَرَاءَكُمْ فَالَّذِي مُسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بَسُورٌ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قَبْلِهِ الْعَذَابُ ، يُنَادِيَنَّهُمُ الَّمَنْكُرُ مَنْ كُنْ مَعَكُمْ فَالْلَّوْا بَلِي وَلَكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَصْتُمْ وَارْتَبَّتُمْ وَغَرَّتُمُ الْأَمَانِيَّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ، فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنْكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَأَكُمُ التَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِسْنَ الْمَصِيرُ} (الحديد 13).

وهكذا؛ فالجزاء من جنس العمل، فكما كان المنافقون يتظاهرون في الدنيا بالإيمان وهم في حقيقة أمرهم يبطتون الكفر، ويختذلون من أيمانهم ستاراً واقياً، يخادعون الله والذين آمنوا، لكنهم لم يكونوا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، فكل ذلك اليوم ينطفئ نورهم وينكشف حالهم، ويعرف نفاقهم كل مؤمن ويستحقون اللحق بالكافر والمشركين.

\* أما سبب تأخرهم عن اللحوق بالمشركين فإنما كان مقابلة لخداعهم الله وللمؤمنين بخداع من جنسه. فإنهم ظنوا أنهم باخراطهم في صفوف المؤمنين يستطيعون التستر بثوب الإيمان كما كانوا يفعلون في الدنيا.

وهكذا كانت نتيجة انطفاء نورهم بين الناس:

1 - كشف نفاقهم.

2 - مقابلة خداعهم بخداع مثله.

3 - زيادة في حسرتهم وندمهم حيث ظنوا أن نفاقهم سيمر يوم القيمة من غير عقوبة وأن موعد دخول الجنة قد اقترب: وإذا بهم يُحرّمون منها بعد أن صاروا على مشارفها. وهكذا ينقلب خداعهم إلى خداع مثله في الآخرة. فما كادت السعادة تدخل قلوبهم وما كادوا يظنون حتمية النجاة حتى تحول كل شيء فجأة. فانقلبت السعادة حسراً وتبدل الاطمئنان بالخوف والندم العظيم. انطفأ نورهم، وانكشف حالهم بين المؤمنين.

قال تعالى {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَأُونَ النَّاسَ وَلَا يَذَكَّرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا} (النساء 142).  
ثم تأتي الآية التي تليها لتبيّن عاقبتهما وأنهم سيذوقون يوم القيمة أشد العذاب {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْقُلَ مِنَ النَّارِ} (النساء 145) ولا يحique المكر السيئ إلا بأهله.

وهكذا يفرق الله بين الفريقين: كل يمشي في طريق واتجاه مختلف عن الآخر.  
المنافقون يلتحقون بركب الكفار والمرجفين. والمؤمنون يلتحقون بركب رفاقهم من أهل الجنة.

## الصراط

وبعد الحساب والميزان ينصرف الناس من الموقف إلى الصراط، وهو جسر يُنصَب فوق جهنم موصلاً إلى الجنة وعليه كلاميب معلقة وخطاطيف مأمورة تأخذ من أمرت به. فمخدوش ناج قد تصيب جوانبه النار، ومكوس في النار. والناس يمشون عليه ليصلوا إليها، تجري بهم أعمالهم، ويكون مشيهم على الصراط بحسب استقامتهم على صراط الله المستقيم في الدنيا:

فمن كان صراطه على دين الله مستقيماً: كان وروده على صراط الآخرة المنصوب يوم القيمة سريعاً.

ومن كان منحرفاً عنه يميناً وشمالاً كان مروره على صراط الآخرة عسيراً.

### أنواع المارين على الصراط

ويؤمرون بالمضي عليه، تجري بهم أعمالهم:  
 فمنهم من يمر مثل لمح البصر.  
 ومنهم من يمر مثل البرق.  
 ومنهم من يمر مثل الريح.  
 ومنهم من يمر يudo عدواً.  
 ومنهم من يمشي مشياً.

ومنهم من تعجز عنه أعماله، حتى يجيء فلا يستطيع السير إلا أن يزحف زحفاً.  
 ومنهم من تزل قدمه وبهوي في جهنم. قال أبو هريرة راوي الحديث "والذي نفس أبي هريرة بيده، إن قعر جهنم لسبعين خريفاً"<sup>(1)</sup>. قال تعالى {وَإِنْ مَنْكُمْ إِلَّا وَأَرْدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتَّمًا مَّقْضِيًّا، ثُمَّ نَجِيَ الَّذِينَ آتَقْوَا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا حَيْثِيًّا} (مريم 71) كل ذلك ونبينا ﷺ قائم على الصراط يقول: رب سلم سلم .

<sup>(1)</sup> مسلم 195 .

## الشفاعة في أهل الكبائر

أما من هو عن الصراط من أهل الكبائر والذنوب من المؤمنين الموحّدين، فإنهم يمكثون فيها ما شاء الله لهم أن يمكثوا. ثم يخرجون منها بالشفاعة.

قال أنس رضي الله عنه "سألتُ رسول الله ﷺ أن يشفع لي فقال: أنا فاعل إن شاء الله، قلتُ: فأين أطلبك؟ قال: أول ما تطلبني على الصراط، قلتُ: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبني عند الميزان، قلتُ: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: فاطلبني عند الحوض: فإني لا أخطئ هذه الثلاثة مواطن"<sup>(1)</sup>.

## قدر شهادة التوحيد عند الله

"حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً من أراد الله تعالى أن يرحمه ومن يقول: لا إله إلا الله".

## قدر السجود عند الله

فتعرفهم الملائكة في النار، يعرفونهم بأثر السجود. تأكل النار من ابن آدم كل شيء إلا أثر السجود. فإن الله قد حرم على النار أن تأكل مواطن وآثار السجود، وذلك تعظيمًا لقدر السجود عند الله تعالى. قال رسول الله ﷺ "وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود"<sup>(2)</sup>. فتأمل كيف نفعته صلاته وسجوده حتى في هذا المكان.

<sup>(1)</sup> رواه الترمذى 2435 بسنده جيد .

<sup>(2)</sup> البخارى رقم (806) .

## شفاعة الشافعيين

حتى إذا خلص المؤمنون من النار فيسألون الله عن إخوان لهم بقوا في النار، يقولون "ربنا، إخواننا كانوا يصومون معنا، ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرقتم. فتحرم صورهم على النار. ويعرفونهم بصورهم، لا تأكل النار صورهم، ويُخرجون خلقاً كثيراً.

فمنهم من أخذته النار إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه.

فيقولون: ربنا أخرجنا من أمرتنا.

فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً.

فيقول الله: أخرجوا من كان في قلبه وزن نصف دينار . . . مثقال ذرة.

فيقولون: ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً مما أمرتنا.

فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من الخير فأخرجوه. فيُخرجون خلقاً كثيراً.

ثم يقولون: ربنا لم نذر أحداً ممن أمرتنا.

فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه. فيُخرجون خلقاً. إلى أن يقولوا: ربنا لم نذر فيها خيراً قط<sup>(1)</sup>. فإذا خرجوا من النار أدخلهم الله الجنة.

---

<sup>(1)</sup> مسلم رقم (183).

### شفاعة أرحم الراحمين

ويخرج كثير من الخلق بالشفاعات: فيشفع الأنبياء والعلماء والشهداء فتخرج بشفاعاتهم أعداد كثيرة من البشر من النار، حتى إذا فرغ أهل الشفاعة من الشفاعة:

بقيت أعظم الشفاعات، وهي شفاعة ربنا أرحم الراحمين، التي بها يسعد أضعاف أضعاف من خرجوا بشفاعة غيره. فيقول ربنا جل جلاله "ذهبت شفاعة الشافعين، وبقيت شفاعة أرحم الراحمين. شفعت الملائكة، وشفع النبيون وشفع المؤمنون: ولم يبق إلا أرحم الراحمين.

فيقبض قبضة أو قبضتين من النار، فيخرج منها أقواماً لم يعملوا الله خيراً قط. قد صاروا حمما، فيؤتى بهم ويُلقون في نهر اسمه "نهر الحياة" فيصبّ عليهم فينبعتون فيخرجون كما تخرج الحبة في حميّل السيل<sup>(1)</sup>.

ويأمر ملائكته فيقول "أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام. أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان" حتى لا يبقى في النار موَحَّد. يعصّهم توحيدهم من الخلود الأبدى في النار، ثم يدخلون بعد ذلك الجنة.

فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ، في أعناقهم الخاتم (عتفاء الله) فيقال لهم ادخلوا الجنة، فما تميّتم أو رأيتم من شيء فهو لكم، عندي أفضل من هذا. فيقولون: ربنا! وما أفضل من ذلك؟ فيقول: رضائي عليكم، فلا أسطط عليكم أبداً<sup>(2)</sup>.

<sup>(1)</sup> مسلم 183.

<sup>(2)</sup> رواه أحمد 94/2 بسنده صحيح.

## الشفاعة

والشفاعة فضل من الله وإظهار لشرف خواص عباده بين سائر الخلق يوم القيمة يمنحها من يشاء هو وحده. لا يشفع أحد إلا بإذنه، ولا يُشفع لأحد إلا بعد أن يرضي الله الشفاعة فيه. قال تعالى {يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قوله} (طه 109). وقد جمع الله هذين الشرطين في آية واحدة {وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضي} (النجم 26).

## الشفاعة المشروعة والشفاعة الممنوعة

وقد ضل المشركون في مفهوم الشفاعة وخلطوا فيها الحق بالباطل حتى اتخذوا من دون الله آلهة زعموا أنهم شفاء لهم عند الله يتقربون بهم إليه، استدرجهم الشيطان بهذه الذريعة إلى الشرك. قال تعالى {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضْرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هُؤُلَاءِ شَفَاعَوْنًا عِنْدَ اللَّهِ} (يوحنا 18).

وإذا نظرنا في الآيات التي ذكرت حال المشركين وبينت أسباب شركهم نجدها تدور حول ثلات مسائل:

- 1 - دعاؤهم شفاء من دون الله {إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْ تَأْلَمُونَ فَادْعُوهُمْ فَلَيَسْتَحْيِبُوْلَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} (الأعراف 194).
- 2 - اتخاذهم شفاء يتقربون بهم إلى الله. قال تعالى {أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ} {قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا} (الزمر 43) {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَ} (الزمر 3).
- 3 - تحليلهم ما حرم الله وتحريم ما أحل. قال تعالى {وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَسْنَنُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ} (النحل 116) {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ لَهُنْ وَلَا آباؤُنَا وَلَا حَرَمَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ} (النحل 35). فطالبهم الله بالدليل فائلاً {قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} (الأنعام 148).

فالشفاعة منها ما هو مقبول ومنها ما هو مردود:

1 - الشفاعة الشرعية المقبولة: هي التي يطلبها الموحد من ربه مع علمه بشروط الشفاعة على النحو الذي علمنا الله إياه. سواء كانت بشفاعة الله أم بشفاعة غيره كالأنبياء والشهداء والعلماء.

2 - الشفاعة الشركية الممنوعة: وهي ما يطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله. وفيما لم يأذن به الله .

### مسائل مهمة في الشفاعة

أن الشفاعة لا ينالها من كان مشركاً مخالفًا للتوحيد. سئل رسول الله "من أسعد الناس بشفاعتك؟" فقال: من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه". وقال "الكلنبي دعوة مستجابة، فتعجل كلنبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيمة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتى لا يشرك بالله شيئاً".

فجعل أحد أعظم أسباب نيل الشفاعة: تحقيق التوحيد.  
أما الذين إذا سألوا: سألوا غير الله، وإذا استعنوا: استعنوا بغير الله واستغاثوا بالأموات من دون الحي الذي لا يموت ويتمسحون بجدران وتراب قبورهم ويتخذونها قبلة للدعاء فما أبعدهم عن نيل الشفاعة. فالشفاعة لأهل التوحيد.

3 - أن أعظم أنواع الشفاعة شفاعة ربنا الذي يخرج بشفاعته من النار أضعاف من شفع لهم الأنبياء وغيرهم، حتى إذا شفع الشافعون قال تعالى "ذهبت شفاعة الشافعين وبقيت شفاعة أرحم الراحمين". وهذا يغفل عن المشركون الذي يرجون من القبور ما لا يرجون من ربهم.

وقد ثبت أن الصيام والقرآن والصدقة يشفعون كما قال "القرآن شفاعة مشقّع"<sup>(3)</sup>، وكما أنه لا يصح لك أن تقول أيتها الصدقة اشفعي لي عند الله، أيها الصيام اشفع لي. أيها القرآن: اشفع لي عند الله. فكذلك لا تقول: أيها النبي أيها الصالح اشفع لي عند الله".

### شفاعة محمد ﷺ

<sup>(1)</sup> رواه البخاري (99).

<sup>(2)</sup> رواه البخاري رقم (6304).

<sup>(3)</sup> رواه ابن حبان بسند صحيح (انظر صحيح الجامع 4443).

وأعظمها بين شفاعات المخلوقين: شفاعة نبينا محمد ﷺ. وهي على نوعين:

1 ) شفاعة عامة وتسماى "الشفاعة العظمى" ، وهي الشفاعة العامة في كل البشر مؤمنهم وكافرهم، أن يعجل الله في نقلهم من مرحلة الموقف إلى الحساب. حين يشتد بهم الكرب، وتتدنو الشمس من الخلائق ويشتد حرها، فيأتون الأنبياء جمِيعاً فيقول كلنبي منهم "لست لها" حتى يأتوا مهداً فيقول "أنا لها أنا لها". فيُشفع للناس جميعهم في تجاوز ذلك الموقف. وحينئذ يبعثه الله ذلك المقام المحمود الذي يحمده الناس (مؤمنهم وكافرهم) عليه. وهذه الشفاعة العامة التي تتفع المؤمن وغيره. ويومئذ يتحسر كل كافر سمع به أو رأه ولم يؤمن به.

2 ) شفاعة خاصة للمؤمنين الموحدين من أمتة، قال ﷺ "لكلنبي دعوة مستجابة، فتعجل كلنبي دعوته، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتى يوم القيمة". وقال "شفاعتي لأهل الكبار من أمتى"<sup>(1)</sup>.  
أنواع الشفاعات والشفاء

فالشفاعات التي يكرم الله بها نبيه ﷺ :

1 - الشفاعة العامة عند الموقف يوم يحشر الله الناس على صعيد واحد.

2 - الشفاعة في قوم استوجبوا دخول النار: لا يدخلوها.

3 - الشفاعة فيمن دخلوا النار أن يخرجوا منها.

4 - الشفاعة فيمن خلدوا في النار أن يخف عنهم فيها.

5 - الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم بدخول الجنة.

كيفية الفوز بشفاعة النبي ﷺ .

وقد علمنا النبي ﷺ كيفية الفوز بشفاعته:

قال "إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشرأ، ثم سلو الله لي الوسيلة<sup>(1)</sup> فإنها منزلة في الجنة لا ينبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو

<sup>(1)</sup> متفق عليه.

<sup>(1)</sup> أي سلو الله أن يبلغني هذه المنزلة العظيمة في الجنة.

أن أكون هو. فمن سأله لي الوسيلة: حلت له الشفاعة"<sup>(2)</sup> وقال م "من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاه القائمه آت محمداً الوسيلة والفضيله والدرجة الرفيعه، وابعثه مقاماً محموداً كما وعدته: حلت له شفاعتي"<sup>(3)</sup>.

فتتأمل نص كلام النبي م كيف علمنا أن نسأل الله له لزنال شرف شفاعته لا أن نسألة من دون كما يفعل بعض المعاندين الذين لا يفقهون سنته لا يقنفون أثره.

وكثرة الصلاة عليه سبب آخر للشفاعة. فعن أبي الدرداء أن النبي م قال "من صلى على حين يصبح عشرأً وحين يمسى عشرأً: أدركته شفاعتي يوم القيمة"<sup>(4)</sup>.

<sup>(2)</sup> أخرجه مسلم رقم (384) في الصلاة.

<sup>(3)</sup> رواه البخاري (614).

<sup>(4)</sup> رواه الطبراني بإسنادين أحدهما جيد. وصححه الألباني في صحيح الترغيب (ص 346).

## الجنة

وتنتظرهم الجنة، المسكن الأبدي الذي لا يفنى ولا يبيد، من دخلها لا يخرج منها أبداً. دار النعيم، ودار الثواب التي تفوق الوصف، والتي شوقنا الله إليها قائلاً "أعدت لعبادِي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلبِ بشر" <sup>(1)</sup>.

**قال تعالى {مَثُلُ الْجَنَّةُ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَعُقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ}**

**وقال {مَثُلُ الْجَنَّةُ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَدَّةٌ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسلٍ مُصَفَّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ النَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ} (محمد 15).**

**وقال {جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاورَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرَيرٌ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ، الَّذِي أَحْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لُعُوبٌ} (فاطر 34).**

ويزيّن الله كل يوم جنته، ولا يزال يزيدها كرامة وجمالاً استعداداً لأهلها الذين هم في طريقهم إليها. ليطمئنوا ويسعدوا بعدما قاسوا في الدنيا أنواع الباطل من طغيان وكفر وفساد وفتن.

بل إن قطرة واحدة من نعيم الجنة تُنسِّيهم كل ما لا يراه من اضطهاد وتعذيب وشدة. قال <sup>(2)</sup> "يُؤْتَى بِأَنَّعِمَ أَهْلَ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبَاغَةً ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطْ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ مِنْ نَعِيمٍ قَطْ؟" فيقول: لا والله يا رب. ويُؤْتَى بأشد الناس بؤساً في الدنيا، من أهل الجنة. فـ"يُصْبَغُ صَبَاغَةً فِي الْجَنَّةِ" فيقال له: يَا ابْنَ آدَمَ! هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطْ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شَدَّةً قَطْ؟ فيقول: لا والله يا رب، ما مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطْ، وَلَا رَأَيْتَ شَدَّةً قَطْ".

إنه لم يكذب لكنه ذاق قطرة من نعيم الجنة التي لا تساوي الدنيا بأجمعها شيئاً منه.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2824).

<sup>(2)</sup> مسلم 2807.

فإذا اجتاز أهل الجنة الصراط ومرروا عليه آمنين مطمئنين، وقبل قدومهم على الجنة: يُحبسون في قنطرة بين الجنة والنار ويُقتصر بعضهم من بعض، فإذا هدّبوا وتقدّموا أذن لهم بدخول الجنة. وجاء في ذلك أن الله يُري صاحب الحق قصره فتبهره روعته وعظمته: فيقول: رب لمن هذا؟ فيقول الله: هذا لمن يعطي ثمنه.

فيقول: بأي ذهب هذا بأي فضة هذا؟

فيقول: هو لك أن عفوت عن أخيك. فيبادر إلى العقو عنه ويقول "اللهم إنيأشهدك أني قد عفوت عنه".

وعند وصولهم إلى مشارف الجنة يجدون الملائكة قد فتحت لهم الأبواب فإذاً لهم بدخولها. قال تعالى {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْ رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا<sup>(1)</sup> حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَرَنَّهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبِّنُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ، وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعَدَنَا وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَنَبَّوْ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءَ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} (الزمر 73).

فإذا دخلوها عرفوا منازلهم فيها. قال رسول الله ﷺ "إذا خلس المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصلون مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا تقدّموا وهدّبوا: أذن لهم بدخول الجنة، فوالذين نفس محمد بيده: لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا"<sup>(2)</sup>.

ولا عجب: فالذي هدى الرضيع من الإنسان والحيوان إلى ثدي أمه عند اللحظة التي يخرج فيها من بطنهما: قادر على أن يهدي أهل الجنة إلى مساكنهم فيها. إن الله على كل شيء قادر.

<sup>(1)</sup> أي جماعات.

<sup>(2)</sup> رواه البخاري (2440).

أول الداخلين إلى الجنة

ويُساق أهل الجنة إلى الجنة يمشون زمراً، وتنقدمه زمرة السبعين ألفاً ممن يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب. وجوههم مضيئة كالقمر ليلة البدر، يتقدمهم رسول الله ﷺ وهو أول الداخلين قال ﷺ "آتني بباب الجنة يوم القيمة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أمرت، لا أفتح لأحد قبلك"<sup>(1)</sup>.

وتزدحم الأمم عند باب الجنة، أكرمها هذه الأمة ﷺ قال "أنت موفون سبعين أمة أنت آخرها وأكرمها على الله عز وجل"<sup>(2)</sup>.

وتبلغ هذه الأمة نصف عدد أهل الجنة قال ﷺ<sup>(3)</sup>: "أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ قالوا: نعم. فقال: أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ قالوا: نعم. فقال: أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟ قالوا: نعم. قال: والذي نفس محمد بيده إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة. ويسبق القراء الأغنياء كما قال "يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام"<sup>(4)</sup>.

ويُدعى الناس لدخولها: فأهل الصلاة يُدعون من باب الصلاة، وأهل الجهاد يُدعون من باب الجهاد، وأهل الصدقة يُدعون من الصدقة. وأهل الصيام يُدعون من باب الريان.

ومن الناس من يأتون وقد جمعوا بين أعمال الخير هذه جميعها، فيُدعون من هذه الأبواب جميعها تكريماً لهم لكثره مسابقتهم إلى كل أبواب الخير. وقد شهد النبي ﷺ لأبي بكر بأنه سيكون واحداً من يُدعون من هذه الأبواب جميعاً، وذلك حين سأله قائلاً "هل هناك من يُدعى من هذه الأبواب جميعاً؟ قال ﷺ "نعم. وأرجو أن تكون منهم"<sup>(1)</sup>.

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (197).

<sup>(2)</sup> رواه أحمد 447/4 والحاكم 84/4 وصححه ووافقه الذهبي.

<sup>(3)</sup> رواه البخاري (6528).

<sup>(4)</sup> رواه الترمذى (2354) بسنده صحيح.

<sup>(1)</sup> رواه البخاري (1897).

وينزلون في الجنة مراتب مختلفة ومنازل بعضها فوق بعض.  
يتقاوتون فيها بحسب تفاوتهم في العمل الصالح.  
- فيقال لصاحب القرآن<sup>(2)</sup> الذي كان يكثر من تلاوته وحفظه  
"اقرأ وارتق كما كنت ترتل في الدنيا: فإن منزلتك عند آخر آية  
تقرؤها".

- ويدخل والد الرجل الصالح بدعاء ولده له كما قال م "إن  
الرجل لترتفع درجته في الجنة، فيقول: أني لي هذا، فيقال: باستغفار  
ولدك لك"<sup>(3)</sup>. و"إن الرجل ليكون له عند الله المنزلة فما يبلغها بعمل،  
فما يزال الله يبتليه بما يكره حتى يبلغه إياها"<sup>(4)</sup>.  
موت الموت

وبعد دخول أهل الجنة وأهل النار: ي جاء بالموت على هيئة كبس  
أملح<sup>(5)</sup> ويُجعلَ بين الجنة والنار ويُذبح. وينادي مناد يا أهل الجنة خلود فلا  
موت، ويا أهل النار خلود فلا موت. فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرجمهم،  
ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم<sup>(6)</sup>.

<sup>(2)</sup> رواه أحمد 192/2 بإسناد حسن .

<sup>(3)</sup> رواه أحمد 509/2 بسند صحيح .

<sup>(4)</sup> رواه الحاكم 344/1 بسند صحيح .

<sup>(5)</sup> أي مختلط البياض والسود .

<sup>(6)</sup> رواه البخاري 6548 ومسلم 2850 .

## نداء الله لأهل الجنة

ويناديهم ربهم "يا أهل الجنة: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وإن أن تنعموا فلا تبتئسوأبداً"<sup>(1)</sup>.

وهم فيها لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخرون. وإنما هي سعادة أبدية. ويعطى المؤمن منهم قوة مائة من الجماع<sup>(2)</sup>. لهم فيها ما تشهي نفوسهم ولدى الله مزيد. قال رسول الله ﷺ "من يدخل الجنة ينعم، ولا ييأس. ولا تبلى ثيابه. ولا يفنى شبابه"<sup>(3)</sup>.

وهي درجات، أقل أهلها منزلة رجل آتاه الله مثل الدنيا وعشرة أمثالها، يظن أنه أكثر أهل الجنة منزلة. وأنه في الحقيقة أقلهم<sup>(4)</sup>. ويناديهم مناد "يا أهل الجنة: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجركموه. فيقولون: ما هو؟! ألم يثقل موازيننا ويبليض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟

فيكشف الله لهم الحجاب ويرون ربهم، فما أعطاهم الله شيئاً أحب إليهم من النظر إلى وجهه الله عز وجل<sup>(5)</sup>.

ويقول لهم "يا أهل الجنة. فيقولون: لبيك ربنا وسعدتك والخير في يديك، فيقول: هل رضيت؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا ربنا وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: وأي شيء أفضل؟ فيقول: أحلى عليكم رضوانى فلا أ Sext عليكم بعده أبداً"<sup>(6)</sup>.

يقول تعالى {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الَّيَوْمَ فِي شׁُعْلٍ فَاكِهُونَ ، هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَايَكِ مُتَكَبُّونَ ، لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَعُونَ ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحْمَم} ثم ينتقل الخطاب الإلهي إلى أهل النار: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ}

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2837).

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى 2539.

<sup>(3)</sup> رواه مسلم 2386.

<sup>(4)</sup> رواه مسلم (182) وسيأتي الحديث بتمامه.

<sup>(5)</sup> رواه أحمد والترمذى عن صهيب بسند صحيح.

<sup>(6)</sup> رواه البخارى (7518).

مُبِينٌ ، وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ، وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبْلًا كَثِيرًا  
أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ، هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنُتمْ تُوعَدُونَ ، اصْلُوْهَا الْيَوْمَ بِمَا  
كُنُتمْ تَكُفِّرُونَ ، الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشَهَّدُ أَرْجُلُهُمْ  
بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (يس 60).

آخر الداخلين إلى الجنة  
وآخر أهل الجنة دخولاً هو آخر أهل النار خروجاً منها، يخرج منها زحفاً فيقول الله له اذهب وادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها. فيسعد ويهدأ، ويظن أنه أكثر أهل الجنة عطاء وأعلاهم منزلة، وهو في الحقيقة أدناهم منزلة، وأقلهم عطاء.

قال رسول الله<sup>(1)</sup> "سأل موسى ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعدهما أدخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة.

فيقول: يا رب، كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أحذاتهم<sup>(2)</sup>.  
فيقال له: أما ترضى أن يكون لك مثل ملك ملوك الدنيا؟

فيقول: رضيت يا رب.  
فيقول (الله) لك ذلك ومثله ومثله ومثله. فقال في الخامسة: رضيت رب.

فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهرت نفسك ولدَتْ عينك.

فيقول: رضيت رب.

قال (موسى) : فأعلاهم منزلة؟

قال: أولئك الذين أردتُ، غرسْتُ كرامتهم بيدي، وختمت عليها، فلم تر عين ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر".

قال رسول الله<sup>(3)</sup> "لو أن ما يقلُّ ظفرٌ مما في الجنة بدا: لتزخرفت له ما بين خوافق السماوات والأرض، ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدأ أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم".

<sup>(1)</sup> رواه مسلم 189 والترمذى 3196.

<sup>(2)</sup> أي نزلوا منازلهم المختصة بهم في الدنيا.

<sup>(3)</sup> رواه أحمد 1/169 وهو صحيح.

ويحمدون الله أن أذهب عنهم الحزن والنصب والتعب. فلا يتحسرون في الجنة إلا على شيء واحد: يتحسرون على ساعات قضوها في الدنيا: لم يذكروا الله فيها. قال رسول الله ﷺ "ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله عز وجل فيها".<sup>(1)</sup>

ولا يزيدهم ما هم فيه من النعمة إلا زيادة في الثناء على الله وشكره لما هم فيه من النعم والخير الدائم فيقولون {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنَوْدُوا أَنْ تَلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورثَتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} (الأعراف .43).

### له الحمد في الأولى والآخرة

قال تعالى {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَفَضْيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقَيْلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} (الزمر .75).

- فاستفتح الله لنفسه بالحمد عند بداية الخلق {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ}.

- واختتم لنفسه بالحمد عند نهاية الخلق {وَفَضَيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقَيْلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

- وجمع ذلك بقوله {وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظَهَرُونَ، يُخْرُجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرُجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ} (الروم .18).

فالحمد لله أولاً وأخراً. له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن.

<sup>(1)</sup> رواه الطبراني بسند صحيح وصححه الألباني ( صحيح الجامع 5322).

## تحية السلام في دار السلام

ويدخلون الجنة (دار السلام) بسلام كما قال تعالى {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (الأنعام 27) وقال {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعَيْنِينَ، اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ أَمْنِينَ} وقال {وَأَزْلَفْتِ الْجَنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ، هَذَا مَا ثُوَّعْدُونَ لِكُلِّ أَوَابٍ حَفِظٍ، مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنُ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقُلُبٍ مُنْبِيبٍ، اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ، لَهُمْ مَا يَشَاؤُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَرْيَدٌ} (ق 33).

وتكون تحيةهم فيما بينهم {سلام} وتكون تحية الملائكة لهم {سلام} :

كما قال تعالى {جَنَّاتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَدُرْرِيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ، سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنَعْمَ عَقْبَى الدَّارِ} (الرعد 23) بل يلقاهم الله بهذه التحية كما قال {تَحِيَّهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعْدَ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا} (الأحزاب 44).

وتزداد محبة أهل الجنة ومودتهم في بينهم. قال تعالى {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّاعَةِ أَن تَأْتِيهِمْ بَعْثَةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ، الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ، يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ، اذْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ} ويصف ما هم فيه من النعمة والسعادة قائلاً {يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشَهِّدُهُ الْأَنْفُسُ وَتَلْدُ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ، وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ، لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ} (الزخرف 73-66).

## النار

وهي مأوى كل من كفر بالله وعصى رسle، قال تعالى {إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ، لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ، وَمَا ظلمُنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ، وَتَادُوا يَا مَالِكَ لِيَقْضِي عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنُونَ ، لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ، أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرُمُونَ ، أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرَسَّلْنَا لِدِيْهِمْ يَكْتُبُونَ} <sup>(1)</sup> (الزخرف 78). وقال {إِنَّ اللَّهَ لَعَنِ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، يَوْمَ تُقَبَّلُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ} <sup>(2)</sup> (الأحزاب 66) وقال {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغْيِثُوا يُغَاثُوا بِمَا كَالْمُهْلَ يَشْوِي الْوُجُوهَ يُنْسِ الشَّرَابَ وَسَاعَةً مُرْتَفَقًا} <sup>(2)</sup>.

- لباسهم وشرابهم وطعمتهم من نار، لا يموتون في جهنم. كلما أذابت النار جلودهم بدلهم ربهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب جراء كفرهم ومعاصيهم. قال تعالى {فَالَّذِينَ كَفَرُوا فُطِّعْتُ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَارٍ يُصَبَّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ، يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ، وَلَهُمْ مَقَامٌ مِّنْ حَدِيدٍ ، كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمًّا أَعِدُّوا فِيهَا وَدُوْقًا عَذَابَ الْحَرِيق} <sup>(1)</sup> (الحج 19).

- لا يموتون فيها، إذ لو ماتوا لاستراحتوا. قال تعالى {وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كُفُورٍ ، وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرَجَنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} <sup>(1)</sup> فيجيبهم الله {أَوْلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَدُوْقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ} <sup>(2)</sup> (فاطر 34). أولم يعطهم الله فسحة من العمر يتذكرون فيها وأرسل لهم الرسل!

- وأما طعامهم فمن شجرة الزقوم في جهنم وغيره. قال تعالى {إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُومِ، طَعَامُ الْأَتْيَمِ ، كَالْمُهْلَ يَعْلَيُ فِي الْبُطُونِ ، كَغَلِي الْحَمِيمِ ، خُدُوْهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ، ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ

<sup>(1)</sup> أي الملائكة المكلفوون بتسجيل أعمال العباد.

<sup>(2)</sup> أي سورها.

عَذَابِ الْحَمِيمِ} (الدخان 43). قال م "لو أن قطرة من الزقوم قترت في دار الدنيا، لأفسدت على أهل الدنيا معيشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟"<sup>(1)</sup>.

- وإذا شربوا هذا الماء تقطعت أمعاؤهم كما قال تعالى {كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ} (محمد 15) ثم يعيدها الله على ما كانت عليه ثم يضطر إلى شربها لأنها أخف من نار جهنم غير أنها لا تلبث أن تقطع أمعاءه مرة أخرى.

فيما لها من خسارة عظيمة؟ كما فاتهم من خير الدنيا؟ لقد حرموا أنفسهم خير الدنيا والآخرة، قال تعالى {كُمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ، وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ، وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ، كَذَلِكَ وَأُورَتَنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ، فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} (الدخان 25). هذا عن خسارة الدنيا! فكم تكون الخسارة أعظم حين يكون الأمر خسارة جنة الآخرة وعيونها.

وأقلهم عذاباً: رجل يقف على حمرتين من نار يغلي منها دماغه. ويظن أنه أكثر أهل النار عذاباً وإنه في الحقيقة لأقلهم عذاباً.

- ويعظم الله أجسادهم أضعاف ما كانت عليه في الدنيا، قال رسول الله م "إن الرجل من أهل النار ليعظم للنار حتى يكون الضرب من أضراسه كأحد"<sup>(2)</sup>.

ويركضون يميناً وشمالاً عليهم يجدوا ملجاً يؤويهم أو مخرجاً ينجيهم من النار، فتقابلهم الملائكة ويضربونهم ويقولون لهم آخر جوا أنفسكم من النار. قال تعالى {وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوُفُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} (الأنفال 50) وقال {وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلُّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقَيلَ لَهُمْ ذُوُفُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} (السجدة 20).

<sup>(1)</sup> رواه أحمد 1/338.

<sup>(2)</sup> رواه أحمد 4/366 بسنده صحيح.

فيكون الدم لفرط الندامة ويصرخون إلى مالك خازن جهنم أن يريحهم الله من هذا المصير ولو بأن يموتوا. {وَتَادُوا يَا مَالِكَ لِيَقْضِ  
عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ، لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ  
كَارِهُونَ} (الزخرف 78). إنهم الآن يتمنون الموت بعد أن كانوا  
يتمنون الحياة في الدنيا. ولكن حتى الموت يحرمون منه. فيا لها من  
متعة قليلة أعقبها سوء المصير الخالد.

بل يطلبون إلى الملائكة أن يسألوا الله لهم تخفيف العذاب ولو  
ليوم واحد {وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفَّفُ عَنَّا  
يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ، قَالُوا أَوْلَمْ نَكُ تَأْتِيْكُمْ رُسُلُّكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا  
فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} (غافر 49).

حوار بين أهل الجنة وأهل النار  
وأثنار ذلك يلتفت أهل الجنة إلى أهل النار ويذكرنون كيف كانوا يستهزئون بهم، ويصفونهم بأنشـع الأوصاف، وكم يعتريهم اليوم الأسى والندم الشديد وهو يرون ما حل بأنفسهم من الشقاء والعذاب.  
وما انتهى إليه حال المؤمنين من النعيم الأبدي في جنة الخلد.

وقد وضع سور بين أهل الجنة وأهل النار له باب: باطنـه الذي يلي أهلـ الجنة: فيه الرحمة. وظاهرـه الذي يليـ أصحابـ النار: فيه العذابـ. فيخاطـبـهمـ أهلـ الجنةـ يومـ القيـامةـ مـمـنـ كانواـ يـعـرـفـونـهـمـ فيـ الدـنـيـاـ منـ وـرـاءـ هـذـاـ السـورـ كماـ قـالـ تـعـالـىـ:

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةَ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا} فلا يملكـ أهلـ النارـ إلاـ أنـ يقولـواـ {نعمـ} فيـنـاديـ منـادـ منـ أـهـلـ الجـنـةـ أـنـ {لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ، الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْعُونَهَا عَوْجًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ كَافِرُونَ} (الأعرافـ 50ـ).

فانظرـ كيفـ صارـواـ فيـ غـايـةـ الذـلـةـ بـعـدـ أـنـ كـانـواـ فيـ الدـنـيـاـ غـايـةـ فيـ الاستـكـبارـ: إنـهـمـ الآنـ يـسـتجـدونـ منـ أـهـلـ الجـنـةـ أـنـ يـلـقـواـ عـلـيـهـمـ شيئاـ منـ الجـنـةـ يـخـفـ عنـهـمـ حرـ جـهـنـمـ. {وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةَ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقْنَا لَهُمُ اللَّهُ قَاتَلُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهُوَا وَلَعِبًا وَغَرَّهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالِيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} (الأعرافـ 51ـ).

ويـجـارـونـ إـلـىـ اللهـ أـنـ يـنـجيـهـمـ مـاـ هـمـ فـيـهـ فـيـقـولـ لـهـمـ {لـا تـجـارـوـاـ الـيـوـمـ إـنـكـمـ مـنـاـ لـا تـتـصـرـوـنـ} وـيـتـوجهـونـ إـلـيـهـ بـتـضـرـعـ وـخـشـيـةـ قـائـلـينـ {رـبـنـاـ غـلـبـتـ عـلـيـنـاـ شـفـقـتـنـاـ وـكـنـاـ قـوـمـاـ ضـالـلـينـ، رـبـنـاـ أـخـرـجـنـاـ مـنـهـاـ فـإـنـ عـدـنـاـ فـإـنـاـ ظـالـمـونـ، قـالـ اـخـسـوـواـ فـيـهـاـ وـلـاـ تـكـلـمـونـ، إـنـهـ كـانـ فـرـيقـ مـنـ عـبـادـيـ يـقـولـونـ رـبـنـاـ آمـنـاـ فـاعـفـرـ لـنـاـ وـأـرـحـمـنـاـ وـأـنـتـ خـيـرـ الرـاحـمـينـ، فـأـخـذـنـمـوـهـمـ سـخـرـيـاـ حـتـىـ أـنـسـوـكـمـ ذـكـرـيـ وـكـنـتـمـ مـنـهـمـ تـضـحـكـونـ، إـلـيـ جـزـيـهـمـ الـيـوـمـ بـمـاـ صـبـرـوـاـ أـنـهـمـ هـمـ الـفـائـزـونـ} (105ـ).

- كانوا يضحكون من المؤمنين ويستهذون بهم. غير أن الأمر سيختلف في الآخرة عما كان عليه في الدنيا {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَتَعَامِزُونَ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ، وَإِذَا رَأُوهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لِضَالُونَ، وَمَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ، فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ، عَلَى الْأَرَائِكَ يَنْظَرُونَ} (المطففين 29).

- كانوا يتهمون المؤمنين بالضلاله والتطرف، ويحكمون عليهم بأنهم من أهل النار، وهاهماليوم يبحثون عنهم في النار لكنهم لن يجدوهم {وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُلُّا نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ، أَنَّا خَدَنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} أعلمهم معنا في جهنم لكننا لا نراهم أننا كنا نحكم عليهم زوراً بالضلاله. ثم يختتم الله هذا المشهد بقوله {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌ تَخَاصِّمُ أَهْلُ الْأَرَارِ} .

### تخاصم أهل النار فيما بينهم

وفي ذلك اليوم تظهر العداوات بين أهل النار يوم أن يلقاهم الله فيها أفواجاً وجماعات فوق إخوانهم. وتكون تحية أهل النار لبعضهم {لا مَرْحَبًا بِكُمْ} كما قال تعالى {هَذَا فَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ ، قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ}. ويلعن كل منهم الآخر {قَالَ ادْخُلُوهُ فِي أَمْمَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ الْجِنِّ وَالإِنْسَنِ فِي النَّارِ كُلُّمَا دَخَلْتُمْ أُمَّةً لَعَنْتُ أَخْتَهَا}.

وقد أخبر إبراهيم p قومه المشركين بأنهم يجتمعون اليوم على الشرك غير أن كل واحد منهم سيتبرأ من الآخر يوم القيمة ويلعنه {وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أُوتَانَا مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُفُّ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَا وَأَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} (العنكبوت 25).

وتبدو ملامح هذه العداوة بين المجرمين من خلال تخاصمهم كما بينه القرآن:

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ، قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْثُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ، قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ، وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طاغِينَ ، فَحَقٌّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِفُونَ ، فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ} ويختتم الحوار بين المتخاصمين بقوله {فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ، إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ} (الصفات 19).

ويزداد خصامهم ويتبادلون التّهّم، ويلقي كل منهم التّبعة على كاهل الآخر بينما يحاول الآخر التّنصل منها بشتى الحيل {وَإِذْ يَتَحَاجُونَ فِي النَّارِ قَيْقُولُ الضُّعَفَاءِ لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنَوْنَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا إِنَّا كُلُّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ} (غافر 47).

{وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا قَالَ الْضُّعَفَاءِ لِلَّذِينَ اسْتَكَبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْنَوْنَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَذَا اللَّهُ

لَهُدِيَّا كُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزَ عَنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ} (إبراهيم) (21).

{وَلَوْ تَرَى إِذ الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضِ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُمْ مُؤْمِنِينَ ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنْحُنُ صَدَّنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بِلِّكُنُّمْ مُجْرِمِينَ ، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بِلِّمَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَا أَنْ تَكُفُّرَ بِاللَّهِ وَتَجْعَلَ لَهُ أَنَدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لِمَا رَأَوُا الْعَذَابَ} (سبأ 30).

ويطالب كل فريق أن يزيد الله من عذاب الفريق الآخر ويقولون {رَبَّنَا هُوَلَاءِ أَضْلَلُونَا فَاتَّهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ} فيجيبهم الله تعالى {رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزَرَدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ} فيجيبهم الله تعالى {إِلَّا ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ}. بل يتمنون يومئذ أن يظفروا بهم ليدوسوهم بأقدامهم. قال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَلَنَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسَنِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ} (فصلت 29).

### الشيطان خطيب القوم في جهنم

ويقف المجرم الأكبر والعدو الأكبر لبني آدم، الذي كان وراء كل فساد في الأرض وسبب دخول جميع أهل النار فيها: يقف خطيباً على منبره في النار ليعلن براءته من كل ما ثُبِّطَ إِلَيْهِ مِنَ الْتَّهَمَّ. {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لِمَا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَقْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجَبْتُكُمْ لِي فَلَا تَلُومُنِي وَلَوْمُوا أَنفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخَكُمْ وَمَا أَنْتُ بِمُصْرِخِي إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونَ مِنْ قَبْلِ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} (إبراهيم) (22).

ويتبرأ كل فريق من الآخر {وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْفُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ، إِذْ تَبَرَّا الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ، وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنَ كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} (البقرة 166).

وتظهر هذه الحسرة والندامة بجلاء ووضوح كما قال ربنا تبارك وتعالى {إِنَّ اللَّهَ لِعَنِ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَ لَهُمْ سَعِيرًا ، حَالَدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ، يَوْمَ تُقَبَّلُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطْعَنَا اللَّهَ وَأَطْعَنَا الرَّسُولُ ، وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطْعَنَا سَادَتَنَا وَكَبَرَاءَنَا فَأَضْلَلُونَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا أَتَهُمْ ضِعَفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَيْرًا} (الأحزاب 68).

ويندمون ويتحسرون ويتمنون لو أنهم أطاعوا رسلهم، قال تعالى {وَيَوْمَ يَعْضُظُ الظَّالِمُ عَلَى يَدِيهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ، يَا وَيَلَّتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ، لَقَدْ أَضْلَلْنِي عَنِ الدُّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خُدُولاً} (الفرقان 27).

تلك هي أنباء اليوم الآخر أوضحها الإسلام بعد أن خفيت معالمها في الكتب السابقة حتى إن العهد القديم من الكتاب المقدس بالرغم من كبر حجمه وكثرة صفحاته قد أغفل ذكر شيء عن اليوم الآخر وصرف الناس بذلك عن تذكره والعمل له. قارن ذلك بما قاله النبي ﷺ حين أتاه رجل يسأله عن موعد قيام الساعة فأجابه النبي ﷺ قائلاً: ماذا أعددت لها.

### الفائدة من الإيمان باليوم الآخر

وموضوع اليوم الآخر يصنف عادة في الرقائق وأبواب الزهد. وهو في الحقيقة من أهم الأمور. فإن تذكره والاستعداد له سبب كل خير، ونسائه والإعراض عنه سبب كل شر. قال رسول الله ﷺ "من كانت الدنيا همّه: فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له. ومن كانت الآخرة همّه: جمع الله له أمره، وجعل غناه في قلبه، وأنتهى الدنيا وهي راغمة"<sup>(1)</sup>.

فلو صدق النصراني في تفضيل الآخرة على الدنيا والخوف من عذاب الله لبادر إلى تحري الدين الحق غير عابئ بما يلقى في سبيل ذلك. ولا يظنن ظان أن غير المسلمين حريصون على العمل بتعاليم دينهم، حريصون على اليوم الآخر.

فمع أهمية اليوم الآخر فإن أكثر الناس معرضون عنه. قال تعالى {قُلْ هُوَ نَبِأٌ عَظِيمٌ، أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ} (ص 67) وقال {وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءَ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ} (الروم 8) وهم الأغلب والأكثر إلا من رحم الله. قال تعالى {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} (الأنعام 116).

والله ما خلق الخلق لمجرد أن يعلموا أن هناك يوماً آخر ثم يقرروا به إقراراً نظرياً، وإنما أراد أن يستعدوا له ويعلموا له ليكون إيمانهم عملياً مثمراً. ولذلك يقول تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ السَّعْجَلَةَ عَجَّلَنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءَ لِمَنْ تُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا} ثم قال {وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لِهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانُوا سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا} (الإسراء 18).

فاشترط لمن أرد الآخرة شرطين:

- 1 ) أن يسعى لها سعيها ولا يتمنى على الله الأماني.
- 2 ) أن يكون مؤمناً.

<sup>(1)</sup> رواه ابن ماجة بسنده صحيح (سلسلة الصحيح 949).

ولما ظن بعضهم أن الإيمان باليوم الآخر مجرد إقرار به واعتراف لفظي فقط صار إيمانهم نظرياً، وشجرة لا ثمر لها. ولذا تجدهم يخافون نار الدنيا أكثر من نار الآخرة مع أن نار الآخرة أشد. وصار طمعهم في يواب الدنيا أعظم من الطمع في ثواب الآخرة.

- وربما زعموا أن الأشغال قد كثرت عليهم حتى شغلتهم عن الصلاة. وتراءهم يفنون أعمارهم في تجميع حطام الدنيا، وهم معرضون عن ثواب الآخرة، قال تعالى {أَلَهَاكُمُ الْتَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْثُمُ الْمَقَابِرُ، كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلَا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ}.

تسألهم: ألستم تؤمنون باليوم الآخر فيقولون بلـ. غير أن لسان حالهم يخالف لسان مقالهم. فإنهم في الواقع يطلبون ثواب الدنيا ولا يبالون بالآخرة. ولو أنهما عملوا للأخرة لکسبوا ثواب الدنيا والآخرة، قال تعالى {فَإِنَّا هُنَّ لَهُ تَوَابُ الدُّنْيَا وَحُسْنَ تَوَابُ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} (آل عمران 148). وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ تَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنَّ اللَّهِ تَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ} (النساء 134).

### من أحب دنياه أضر بآخرته

- ولقد آل حب الدنيا بأقوام إلى الشرك. وبآخرين إلى النفاق فقعدوا عن jihad في سبيل الله. وقد حذر الله المؤمنين أن يحذوا حذوهم فيركنا إلى الدنيا فقال {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنَّا قَلَّمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيْمُ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَنَاعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} (التوبه 38).

- وأودى بآخرين إلى اتباع الهوى حتى صارت قلوبهم قابلة لكل فتنـة، يبيعون دينهم بدنياهـم كما قال ﷺ "فتـنـقطع اللـيل المـظلـمـ". يـصبحـ الرـجـلـ فـيهـاـ مـؤـمنـاـ وـيـمـسيـ كـافـرـاـ، يـبـيعـ دـيـنـهـ بـعـرـضـ مـنـ الدـنـيـاـ قـلـيلـ".

- وحمل قوماً آخرين على التـحـاسـدـ وـالـتـبـاغـضـ حتـىـ سـفـكـواـ دـمـاءـ بعضـهـمـ ماـ أـفـسـدـ عـلـيـهـمـ آخـرـتـهـمـ. قال رـسـولـ اللهـ ﷺ "إـيـاـكـمـ

والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم: حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم<sup>(1)</sup>. والشح سببه حب الدنيا.

إن ذكر اليوم الآخر بهذا التفصيل لا بد أن يثير العزة والخوف من سوء المصير، ويثير بالتالي العمل للهروب من النار ولطلب الجنة.

ولقد عجب رسولنا ﷺ من يخافون النار ولا يأخذون بأسباب النجاة منها. ومن قوم يطلبون الجنة وهم نائمون متکاسلون عن اتخاذ أسباب الفوز بها، قال ﷺ "ما رأيت مثل النار: نام هاربها، ولا مثل الجنة نام طالبها"<sup>(2)</sup>.

أن الله أنذر الناس على السنة رسلاه ذلك اليوم، ووعد الله حق وصدق. والناس مأمورون بالتصديق بذلك، وهم في ذلك بين مصدق ومكذب فالمؤمن يقول {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ}. والكافر يقول {مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} (الأحزاب 12 و 22).

أن الله أثنى على المؤمنين بالغيب (من غير شك ولا تردد) أنهم مهتدون ومفلحون.

أن المؤمن باليوم الآخر سيدفعه إيمانه إلى طاعة الله فيما أمر ونهى لا سيما إذا كان الفوز والنجاة يوم القيمة متوقف على العمل.

إخراج المؤمن من عبودية الدنيا الفانية أو التعلق بها، وتزويجه بها. وربطه (وهو في دار الدنيا الفانية) بالدار الآخرة الباقيه وتسويقه إليها. ولذلك كان من دعاء نبينا ﷺ "اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا".

ولما افتن الناس بكنوز قارون في زمن موسى عليه السلام حذرهم أهل العلم من ذلك قائلين {وَيَلْكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} (القصص 80). فتفضيل

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (2578).

<sup>(2)</sup> رواه الترمذى (2604) بسند صحيح (سلسلة الصحيحه 953).

الآخرة على الدنيا لا يمنع من التعامل مع الدنيا بقدر ، والتمتع بنعم الله وإنفاق الأموال ولكن بشرط أن لا يؤدي إلى تفضيلها على الآخرة.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر: التواضع والتقوى والحذر من التكبر. فإن الله كتب الجنة للمتواضعين المصلحين في الأرض فقال {تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْتَقِيْنَ} (القصص 83). وقال رسول الله ﷺ "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"<sup>(1)</sup>. والمؤمن إذا سمع هذا الحديث أرجع غم نفسه على التواضع إذا علم أن جهنم مأوى المتكبرين. وبذلك يذيب حرصه على ثواب الآخرة كل روابط الكبر في قلبه.

ومن ثمرات الإيمان باليوم الآخر: الصبر. قال تعالى {وَلَا يُلَّاقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ} (القصص 80). وقال {إِنَّمَا يُؤْكَلُ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ يَغْيِيرُ حِسَابِ} (الزمر 10). ولهذا يصبر المؤمن في الدنيا طلبًا لثواب الله في الآخرة.

أن من كان لا يرجو إلا الدنيا وثوابها دون الآخرة: أعطاه الله شيئاً مما يشتهيه منها ثم حرمه من ثواب الآخرة. قال تعالى {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَاهَا تُوَفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالُهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُنْخَسِّنُونَ ، أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبَطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} (هود 16). وقال {مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ} (الشورى 20).

ولهذا كان حب الدنيا وتقديمها على الدار الآخرة باب لكل شر. ووسيلة إلى الشرك والكفر.

## فهرس الموضوعات

3	.....	المقدمة
	الباب الأول	
5	.....	العودة إلى العقيدة الصافية

<sup>(1)</sup> رواه مسلم (91) وأبو داود (4091).

..... الدين الصحيح والأديان الباطلة
..... سبب تعدد الأديان
..... الرب واحد ودين واحد – السعادة وسبيل تحقيقها
..... الإنسان بين غذاء الجسد وغذاء الروح
..... يا أيها الناس اعبدوا ربكم
..... قاعدتان ثمينتان ذهبيتان

### **الباب : الثاني توحيد الله**

..... الحاجة إلى علم التوحيد
..... مزايا عقيدة التوحيد في الإسلام

### **الباب الثالث : الإيمان بالله وأقسامه**

..... الرب هو الخالق الرازق وحد
..... إعراض عن الله وليس إنكاراً لوجوده
..... ( 1 ) الرب الواحد إله واحد
..... غالية الإيمان بالله وروح العبادة
..... ( 2 ) الله الأسماء الحسنى
..... ثلاثة قواعد في أسماء الله وصفاته
..... أنواع الصفات
..... التأويل بدعة متأخرة

### **الباب الرابع : مسائل التوحيد**

..... شهادة التوحيد ميزة هذا الدين
..... شروط لا إله إلا الله
..... نواقص الشهادة
..... علامات التوحيد الصحيح
..... علامات المحبة الصادقة

### **الباب الخامس : مصادر تلقي العقيدة**

..... القرآن الكريم هو المصدر الأول – القرآن المعجزة
..... السنة النبوية المصدر الثاني
..... تاريخ تدوين السنة
..... التثبت من روایة الحديث
..... الصحابة أعلم بمعاني الكتاب والسنة
..... المحافظة على صفاء المصدر واجتناب البدع
..... آخر الوصايا النبوية – قسمة ضيزى
..... موقف السلف من الابتداع في الدين
..... عاقبة انتشار البدع

### **الباب السادس : أركان الإسلام**

..... مفهوم الإسلام ومقضياته
..... الشهادة لله بالوحدانية
..... الشهادة لمحمد بالرسالة: المعنى والممضى وعلامات صدق محبة النبي

العالم قبل نبوة محمد ﷺ .....	.....
مizza نبوته على الأنبياء السابقين .....	.....
إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت .....	.....

### **الباب السابع : الإيمان بالله**

تعريفه وحقيقة ..... الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ..... نور الإيمان وظلمة الكفر .....	.....
---	-------

### **أركان الإيمان بالتفصيل**

( 1 ) الإيمان بالله .....	.....
( 2 ) الإيمان بالملائكة : صفاتهم - كثرة مهامه - الحكمة من خلقهم ..... قيمة المؤمن عند الملائكة .....	.....
التفاضل بين الملائكة والبشر - آثار الإيمان بالملائكة .....	.....
( 3 ) الإيمان بالكتب ..... نسخ القرآن للتوراة والإنجيل ..... حالة الكتب السابقة اليوم ..... الطعن في الله وأنبيائه ..... نصوص جنسية فاضحة ونصوص عنصرية ..... نصوص تدعى إلى القتل والدمار والقتل العشوائي للنساء والأطفال ..... نصوص العهد القديم خالية من ذكر اليوم الآخر ..... اعتراف الكتاب المقدس بوقوع التحرير فيه ..... موقعنا من هذه الكتب إذن ..... اختلافهم على نوع الكتاب المقدس وفائدة إيماننا بها .....	.....
( 4 ) الإيمان بالرسل عليهم السلام ..... طبيعتهم البشرية .....	.....

### **الباب الثامن : الشرك ومظاهره**

أقسام الشرك وأنواعه .....	.....
شرك الدعاء لغير الله والرياء .....	.....
صور من الشرك .....	.....
لا خالق ولا مشرع إلا الله .....	.....
صور من الشرك الأصغر : الرياء .....	.....

### **الباب التاسع : الأولياء ومفهوم الولاية**

الأولياء: تعريفهم - تعظيم القبور والغلو في الصالحين أصل شرك الجاهلية الأولى .....	.....
القول الحق في التوسل وأنواعه .....	.....
كرامات الأولياء - ولماذا تكون الكرامة .....	.....
الشهادة بالولاية لشخص بعينه - أفضل الأولياء .....	.....
اجتماع الولاية والعداوة - هل يجوز لإنسان أن يقول أنا ولی .....	.....

## الباب العاشر : الشفاعة

شروط الشفاعة – مسائل مهمة في الشفاعة وأنواعها .....

## الباب الحادي عشر : مبحث الكفر

أنواع الكفر .....	
الحكم بغير ما أنزل الله – هل هو كفر أكبر أم أصغر .....	
كفر التفاق والاتهام به .....	

## التكفير و موقف أهل السنة منه

خطورة التكفير .....	
ما يترتب على تكبير المسلمين .....	
أصول مهمة في مسائل التكبير .....	
طريقة أهل البدع في تكبير الناس .....	
حكم تكبير شخص بعينه .....	
إقامة الحجة قبل التكبير .....	
الكلام في الناس بعلم وعدل .....	
ومن الغلو : التسرع في الحكم على الآخرين .....	
كيف يستغل الشيطان بذرة الغلو .....	
مسألة العذر بالجهل .....	
حكم أهل الفترة .....	

## الباب الثاني عشر : الولاء والبراء

ومن الموالاة للمؤمنين .....	
ومن الموالاة للكافرين .....	
أسباب اللعنة على اليهود .....	
قدوتنا الصالحة في الولاء والبراء .....	
الفرق بين البر والموالاة .....	
مصدر هذا التقرير .....	

## الباب الثالث عشر : السحر والشعودة

أقسام السحر .....	
حكم السحر في الإسلام .....	

## الباب الرابع عشر : الكهانة والعرفة

لا يعلم الغيب إلا الله .....	
حكم تعليق الحجب .....	
حكم من أتى كاهناً .....	
حكم الكاهن نفسه وكيف تكشف الكاهن .....	
التوجيه من أنواع السحر .....	
ما البديل عن العرافين .....	
خطوات التحصين من الشيطان .....	
شبهتان وجوابهما .....	

الطيرة وحكمها – التمام – الرقى .....
تحضير الأرواح .....
طريقة تحضير الأرواح .....

### **الباب الخامس عشر : الإيمان بالقضاء والقدر**

تعريف القضاء والقدر والفرق بينهما .....
مفهوم القدر بين الإفراط والتغريب .....
أصل الإيمان بالقدر .....
مفاسد اعتقاد الجبرية .....
تفنيد حجج المنحرفين في القدر .....
أثر عقيدة القدر عند السلف الصالح .....
الرضا بقضاء الله وقدره .....
هل الإنسان مصير أم مخير .....
فوائد الإيمان بالقدر .....

### **الباب السادس عشر : كلمات حول صلاح الأمة الاجتهاد والتقليد**

مثالان جديران بالتدبر والتأمل .....
أين نحن من أئمة المذاهب؟ هل كان الشافعي شافعياً؟ .....
اختلافهم فتنة .....
صورة التعصب المذهبى – التعصب ليس من سمات أهل الحق .....
الحالات التي يجوز فيها التقليد .....

### **الباب السابع عشر : الإيمان باليوم الآخر**

موقف المؤمن من اليوم الآخر .....
اهتمام القرآن والسنة بموضوع اليوم الآخر .....
من هو المفلس .....
<b>المرحلة الأولى</b>
الموت – لحظات الموت الحرجة – من أحب لقاء الله أحبت لقاءه .....
<b>المرحلة الثانية</b>
عذاب القبر ونعيمه – فتنة القبر – الذين يؤمدون بالغيب .....
نماذج من عذاب القبر .....
<b>المرحلة الثالثة</b>
يوم القيمة .....
علامات الساعة الصغرى والكبرى .....
<b>النفح في الصور : نفح الصدق ونفحة البعث</b>
أدلة البعث وحكم من أنكره – مفاسد إنكار البعث .....
نماذج من أنواع المبعوثين .....
<b>الحشر</b> .....
الآمنون من يوم الفزع الأكبر .....
الحوض .....
<b>الحساب والجزاء</b> .....
ولا يظلم ربك أحداً - أحصاء الله ونسوه .....
<b>أنواع الحساب يوم القيمة</b> .....

* نماذج الحساب البسيير .....	* نماذج الحساب العسير .....
* وشهد شاهد من نفسه .....	* أول ما يسأل عنده العبد – وأول من تستعمل بهم النار
الميزان .....	الميزان .....
فضيحة المنافقين .....	فضيحة المنافقين .....
الصراط .....	الصراط .....
الشفاعة في أهل الكبائر – قدر شهادة التوحيد والسجود عند الله .....	شفاعة الشافعيين .....
شفاعة أرحم الراحمين .....	شروط الشفاعة – الشفاعة المشروعة والشفاعة الممنوعة .....
مسائل مهمة في الشفاعة .....	مسائل مهمة في الشفاعة .....
شفاعة محمد ﷺ .....	أنواع الشفاعات والشافعيين .....
كيفية الفوز بشفاعة النبي ﷺ .....	كيفية الفوز بشفاعة النبي ﷺ .....

## الجنة

أول الداخلين إلى الجنة .....	موت الموت .....
نداء الله لأهل الجنة .....	آخر الداخلين إلى الجنة .....
له الحمد في الأولى والآخرة .....	تحية السلام في دار السلام .....

## النار

طعام أهل النار وشرابهم ولباسهم .....	حوار بين أهل الجنة وبين أهل النار .....
تخاصم أهل النار .....	الشيطان خطيب القوم في جهنم .....
الفائدة الإيمان من اليوم الآخر .....	من أحب دنياه أضر بأخرته .....